الدور الإيراني
في العصر الأموي

تأليف

الدكتور محمد عبد الحميد الرفاعي

كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

الدور الإيراني
في العصر الأموي

تأليف

الدكتور محمد عبد الحميد الرفاعي

كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

موضوعات البحث

****

تقديم

الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على سيد الأنام وخاتم المرسلين .

وبعد . . .

فقد تركزت دراسات الباحثين في تاريخ الإسلام ، وبخاصة في عصوره الأولى على العنصر العربي ، ولم تحظ الشعوب الأخرى التي دخلت في إطار الإسلام وحضارته ، من فرس وترك وبربر وهنود وغيرهم ، بنفس القدر من الاهتمام ، ويرجع ذلك إلى تصدر العنصر العربي وتقدمه في تلك الحقبة ، وإلى تركيز المصادر التاريخية القديمة عليه ، فقد كتب معظمها في حاضرة الخلافة العباسية بغداد ، فكان من الطبيعي أن يكون محور اهتمامها هو أخبار الخلفاء والعرب ، ويقل اهتمامها بالأمصار ومناطق الأطراف .

ومع تقدم الشعوب الإسلامية غير العربية ، وبروز دورها القيادي ظهرت دراسات تاريخية متخصصه في دراستها ، مثل " تجارب الأمم وتعاقب الهمم" لمسكوية ، الذي سجل أخبار أمراء بني بويه ، وهم من العنصر الديلمي الإيراني ، وظهر كتابان في تاريخ السلاطين الغزنويين الذين ينتمون إلى العنصر التركي ، هما " تاريخ اليميني" الذي كتبه أبو نصر العتبي (ت ٤٣١) كاتب السلطان محمود الغزنوي وتاريخ البيهقي" لأبي الفضل البيهقي كاتب السلطان مسعود بن محمود الغزنوي ، وقد ترجمه عن الفارسية الدكتور يحيى الخشاب وصادق نشأت ، وبعد ذلك ظهرت موسوعة ابن خلدون" العبر"التي

تناولت تاريخ العجم والبربر إلى جانب تاريخ العرب.

وإذا كانت المادة التاريخية تسعفنا إلى حد كبير في دراسة الفترات التي برزت فيها هذه الشعوب غير العربية، فإنها فيما يختص بالعصر الأموي الذي نتناوله بهذه الدراسة، شحيحة ضنينة وتحتاج من الباحث إلى مضاعفة الجهد في تتبع المصادر التاريخية بعين واعية لالتقاط مايرد فيها من لمحات أو إشارات، قد تكون عابرة موجزة، ولكنها ذات أهمية بالغة، كما أنه من الواجب مراجعة المصادر الأخرى الجغرافية والأدبية، وكتب الفرق والموسوعات، لعلنا نظفر منها بما يثرى المادة التاريخية ويغذيها.

وقد اتجهتُ منذ البداية في مجال دراستي إلى تاريخ هذه الشعوب الإسلاميه غير العربية، فتناولت تاريخ الغزنويين الأتراك الذين حكموا أفغانستان وايران وجزءا من الهند، في رسالة الماجستير كما تناولت الحركات الاستقلالية في إيران في القرنين الثالث والرابع الهجريين، في رسالة الدكتوراه، وسجلت ماأعطيته للطلاب من" محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس" في كتاب. وركزت فيه على تاريخ البربر، وأتبعته ببحث في مجلة ندوة التاريخ الإسلامي التي تصدرها كلية دار العلوم عن" التيارات المشرقية التي أثرت في تاريخ المغرب حتى قيام دولة المرابطين".

وتعتبر هذه الدراسة خطوة أخرى في نفس المسار، وكان موضوعها يراودني منذ سنوات، واعترف أنني أمضيت وقتا طويلا في التماس المدخل الذي أدلف منه إليه، وتصور الشكل الذي يمكن

أن يكون عليه ، واعتقد أنه أصعب الخطوات وأهمها لأنه يتناول تاريخ العنصر الإيراني في العصر الأموي ، وهو موضوع لا تسخو فيه المصادر بالمادة العلمية ، ويلتقي فيه الباحث بآراء ونظريات تحتاج إلى المناقشة وإعادة النظر.

وأهمية هذه المرحلة أن العصر الأموي شهد بداية انطلاق هذه الشعوب الجديدة ، التي لم يظهر لها دور واضح في عهد الخلفاء الراشدين ، لأنها كانت فترة فتح وجهاد ، وتعرُّف من هذه الشعوب على الدين الجديد وحضارته ، وكان العنصر العربي وحده صاحب الدور الرئيسي في مسرح الأحداث ، ثم أخذت أوضاع هذه الشعوب تستقر ، وبدأت تشارك وتتفاعل ، وتتطلع إلى مركز مرموق في الصفوف القيادية ، ولذا حفل العصر الأموي بكثير من الحركات والثورات التي كان للموالي دور بارز فيها سواء في المشرق أو في المغرب.

وفي هذا العصر حدث التمازج بين العنصر العربي والعناصر الأخرى ، وكانت إيران بوتقة الانصهار بين العرب والعناصر الفارسية ونقطة التقاء بين العرب وأجناس أخرى في ثغور ماوراء النهر والسند ونتج عن ذلك آثار هامة جديرة بالدراسة والبحث.

وكان العصر الأموي عصر الفتوحات العظيمة ، وكانت إيران إحدى القواعد الهامة التي انطلقت منها الجيوش الفاتحه نحو الثغور المجاورة ، والمناطق الإيرانية التي لم يكن قد استكمل فتحها ولا يمكن أن نتصور أن الإيرانيين وقفوا موقف المتفرج ، ولم يكن لهم

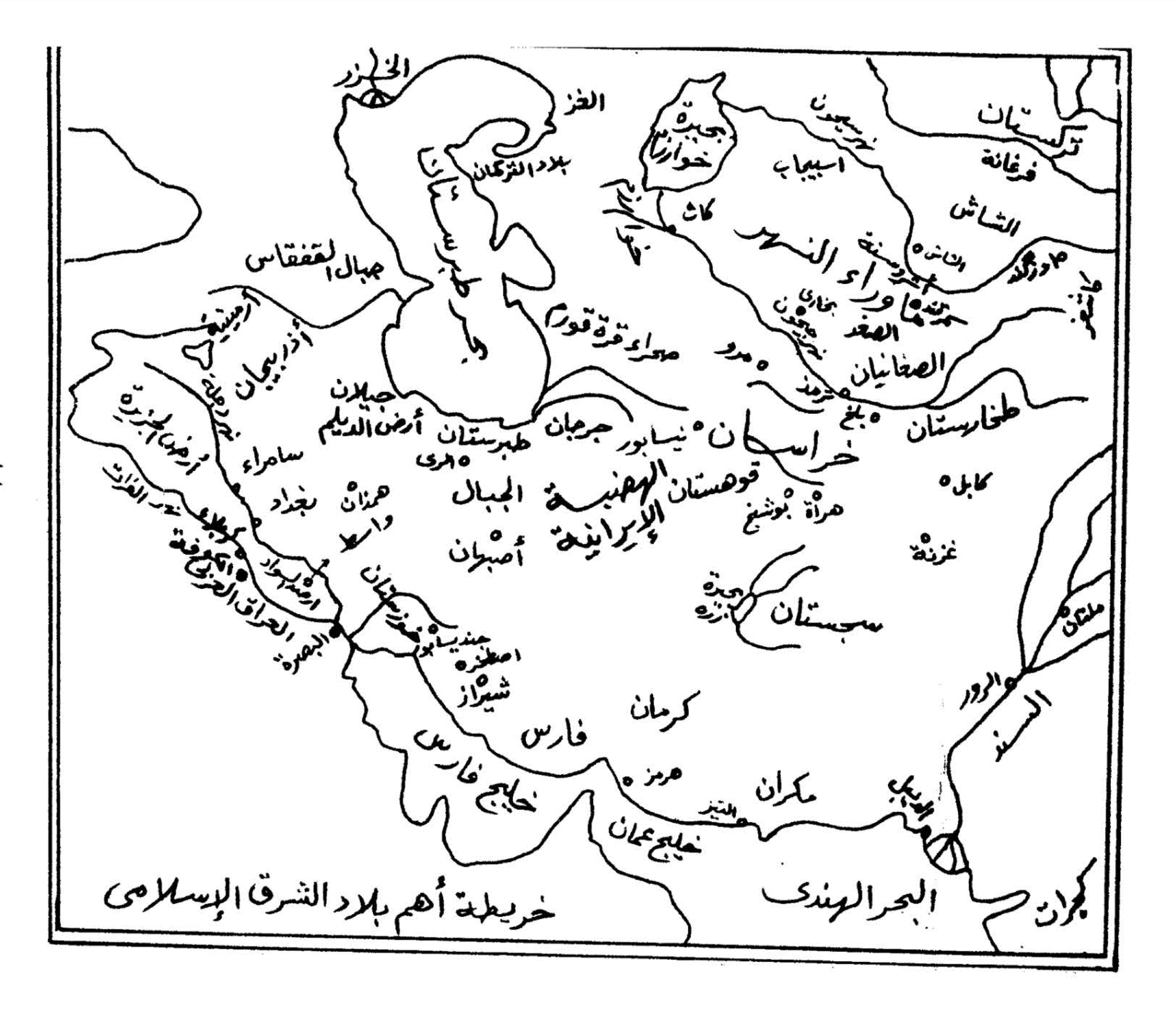
نصيب أو مشاركة فى هذه الفتوحات، ويحتاج دورهم إلى مزيد من الوضوح والجلاء.

وشهدت إيران خلال هذا العصر دعوات عديدة، وثورات كثيرة، من القادة الطامحين، والأحزاب السياسية المناهضة، والفرق الدينية المعارضة، وفى مقدمتهم الخوارج والشيعة وأصحاب الدعوة العباسية، والذين رفعوا راية الاصلاح مطالبين بتصحيح أوضاع الموالى، وتطبيق المبادئ الإسلامية، ولم يكن الإيرانيون بالقطع بمعزل عن هذه الحركات التى تدور على أرضهم، وتمور بين أظهرهم.

وكان للدولة الأموية أسلوب إدارى وسياسى، وعمال وولاه يقومون على تنفيذه، فما هو هذا الاسلوب، وماتأثيره على أهل البلاد وهل شارك الإيرانيون فيه، أم التزموا جانب المعارضة له.

كل هذه الأمور نرى أنها جديرة بالبحث ولا شك أنها كانت بواعث قوية وراء هذه الدراسة التى حاولنا فيها أن نكون موضوعيين غير متحيزين، بعيدين عن السير فى ركاب الغير، دون تبصر أو تدبر، ونأمل أن يكون فيها من الجديد المفيد، والنافع الشافع، مايلقى الرضى والقبول، فان كان ذلك فهو مانرجو، وان كان غير ذلك فحسبنا أننا سلكنا وعر الشعاب، وخضنا البحر العباب، والله من وراء القصد، وله وحده المنة والفضل.

"محمد الرفاعى"



خريطة أهم بلاد المشرق الإسلامي
تركستان
فرغانة
الشاش
اسبيجاب
بحيرة خوارزم
الغز
بلاد التركمان
الخزر
جبال القفقاس
أرمينية
أذربيجان
جيلان
أرض الديلم
طبرستان
جرجان
صحراء قره قوروم
مرو
نيسابور
خراسان
بلخ
ترمذ
الصغانيان
الصغد
بخارى
ما وراء النهر
طخارستان
كابل
غزنة
هراة
بوشنج
قوهستان
الهضبة الإيرانية
الجبال
أصبهان
همذان
بغداد
سامراء
الجزيرة
العراق العربي
البصرة
شيراز
فارس
كرمان
هرمز
خليج فارس
خليج عمان
مكران
سجستان
الديبل
السند
الرور
ملتان
البحر الهندي
كجرات

لمحه جغرافيـــة

تسميـــة "إيران":

فضلنا فى عنوان هـذا البحث وفى ثناياه أن نستخدم كلمه "إيران" برغم أنها لم تكن شائعة فى كتابات المؤرخين المسلمين الاوليـــن الذين استخدموا بدلا منها كلمتى" بلاد فارس" و " خراسان" ، واعتمدنا فى هـذا التفضيل على عدة اعتبارات اولها ان هـذه التسمية هى الأقدم تاريخا ، إذ يرجع ظهورها إلى ماقبل ميلاد المسيح بعدة قرون ،فى هـذا الوقتالذى نزحت فيه العناصر الآريه من موطنهـــا القديم جنوب بحر " آرال" واستقرت بصفه نهائيه فى الهضبه المرتفعه الواقعه جنوب بحر قزوين ،والتى نسبت اليهم فيما بعد وعرفـــت بالهضبه الايرانيه ،وسمى هـذا الوطن الجديد باسمهم فاطلق عليــه " ايرانشـهر" أى موطن الاريين ، لان كلمة " شـهر" فى اللغةالفارسية تعنى " بلد " أو "وطن" (١) ، وقد تستخدم هـذه التسمية مشطـــورة فيقال "إيران" (٢)

وهـذه التسمية - بالإضافه إلى ذلك - هى الأوسع مدلولا إذ يقول ياقوت(٣) : "إيرانشهر هى بلاد العراق وفارس والجبال وخراسان

---

١) دونالد ولبر : ايران : ماضيها وحاضرها - ترجمة الدكتوريـــن عبد النعيم حسنين وابراهيم امين الشواربى - القاهره ١٩٥٨- ص ١

٢) ياقوت الحموى : معجم البلدان - دار صادر فى بيروت سنـــه ١٩٨٤ - حـ ١ص٢٨٩

٣) المصدر السابق ونفس الصفحة .

يجمعها كلها هذا الاسم ولكننا نستبعد من تعريف ياقوت"العراق" لأن هذا التعريف اعتمد على ماكانت عليه الأوضاع السياسيه في العهد الساساني ، عندما كانت العراق جزءا من دولة الفرس وكانت عاصمتهم المدائن فيها ، لكن العراق أصبح منطقه بذاتها في العهود الاسلامية ، كما ان طبيعته الجغرافية والسكانية وأوضاعه السياسية تجعله إقليما متميزًا عن المناطق الإيرانية .

وتسمية "إيران" هي الأكثر دقةومطابقة للمدلول بالنسبة للتسميتين الأخريين "فارس" و خراسان" اللتين استعملهما المسلمون مرادفتين لها ، إذ يقول ياقوت(١) : " وكانت أرض فارس قديمًا قبل الإسلام مابين نهر بلخ إلى منقطع أذربيجان وأرمينية الفارسية ، إلى الفرات إلى برية العرب ، إلى عمان ومكران ، وإلى كابل وطخارستان" ، ويقول المقدسي (٢) : " خراسان وفارس كانتا عند العرب شيئًا واحدًا" .

ولكن استعمال هاتين الكلمتين للدلالة على إيران فيه كثير من التجوز والتساهل في التعبير ، وهو من باب إطلاق الجزء على الكل ، لأنهما في الأصل اسمان لاقليمين من الأقاليم الإيرانية ثم أطلقا على إيران كلها ، ويسوغ ذلك ان خراسان تعد اعظم

---

١) معجم البلدان ٤ / ٢٢٧٢

٢) احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم - طبعة ليدن ١٩٠٩ م ص ٣٥٢

الاقاليم الايرانيه واوسعها ، وان " فارس" كانت مركزا لدولة الفرس الاكمنيه التى اسسها كورش سنة ١١٨١ ق.م[1] واتخذ ملوكها عاصمتهم فى هذا الإقليم ، وشيدوا فيه قصورهم ، ثم غلب اسم الإقليم على إمبراطوريتهم ، وأطلق على دولتهم كلها ، وانتشهر بين الأمم الأخرى بهذا المدلول ، فأصبح عند اليونان " برسبوليس" منذ عهد الاسكندر الأكبر ، وعُرِّب إلى لغة العرب فأصبح " فارس" .

ولكن هذا الاسم توارى فى عهد الدولة الساسانية التى قامت سنة ٣٦٩م ، وبرزت التسميه القديمه "إيران" من جديد وأصبحت الاسم الرسمى للدولة طوال عهدها حتى الفتح الإسلامى ، أما لغة البلاد التى هى فى الأصل لغة إقليم " بارسا" القديم الواقع فى الجنوب الشرقى من إيران ، فقد بقيت الى اليوم تحمل اسم هذا الإقليم ، وتُعرف باللغة الفارسية أو " فارسى"

وبالإضافة إلى كل الاعتبارات السابقة فإيران هى التسمية التى ارتضاها أهل هذه البلاد فى العصر الحاضر ، وطالبت حكومتها منذ عام ١٩٣٥م الدول الأخرى أن تستعمل هذا الاسم مراعاة للتنسيق والتوحد (٢) .

حدود إيران وطبيعتها :

تعتبر إيران وحدة جغرافية متميزة من الناحيتين الطبيعية والبشرية ، فهى تشمل رقعة متجانسة من الارض تتوسطها الهضبه الايرانيه ، ولها حدود واضحه كانت تمتد من العراق غربا إلى

١) انظر محمود شاكر : ايران (من سلسلة مواطن الشعوب الاسلاميه ص
١) دونالد ولبر ص١

السند شرقا ، ومن نهر جيحون وبحر قزوين شمالا إلى الخليج العربى وبحر الهند جنوبا ، والعناصر البشرية التى تسكنها يرجع أغلبها إلى أصل واحد هو الجنس الآرى الذى يضم البارثيين والميديين والبكتريين ، ويتكلمون بلغة واحدة هى اللغة الفارسيه .

وقد اختلفت وجهات النظر حول الإقليم الواقع على ضفتى نهر جيحون مباشرة ويمتد شماليه قليلا ، الذى يعرف بإقليم " ماوراء النهر" وهل يعد من المناطق الإيرانيه أم خارجًا عنها ، ويرجع هذا الاختلاف إلى أرتباطه الوثيق بإيران ، وانتماء سكانه إلى العناصر الآريه جنسًا ولغة ، كما أنه يعد ملتقى الحضارتين الإيرانيه والطورانيه ، والعنصرين الفارسى والتركى ، ولذلك اتجه بعض الباحثين إلى اعتباره جزءًا من إيران (١)

ويقترب المقدسى(٢) من هذا الاتجاه إلا أنه استخدم تعبيرًا آخر هو " إقليم المشرق" ، وجعله ذا جانبين : جانب هيطل (٣) وهو " ماوراء النهر" وجانب خراسان الذى يضم " سجستان" أيضًا .

ولكننا نميل إلى اعتبار ماوراء النهر إقليما مستقلا عن إيران ، ويعضد هذا الرأى قول ياقوت (٤) : " فأما ماوراء النهر ، فهى

---

١) انظر الاستاذ الدكتور : حسن محمود : العالم الاسلامى فى العصر العباسى - دار الفكر العربى سنه ١٩٦٦م - ص٧٩ .

٢) احسن التقاسيم ص٢٦٠ .

٣) نسبة الى هيطل بن عالم بن سالم بن نوح الذى يقال انه نزل هذه المنطقه .

٤) معجم البلدان ٢ / ٣٥١

بلاد الهياطلة، ولاية برأسها" ، كما أنه من الناحية الجغرافية منفصل عن خراسان بنهر جيحون، كما أنه أكثر ارتباطا بتركستان لاستيطان قبائل الترك شماله وشرقه، وأصبح ارتباطه بها أمرا مؤكدا منذ عام ٣٨٩هـ عندما سيطرت عليه العناصر التركيه، وتمكنت الأسرة القراخانيه من توجيه الضربة النهائية لحكامه السامانيين .

وقلب إيران هو الهضبة الايرانية المرتفعه ، التى يبلغ متوسط ارتفاعها مابين ثلاثة آلاف قدم إلى خمسة آلاف قدم (١٠٠٠ - ١٦٠٠ متر) وتحيط بها من جميع جهاتها عدا جهتها الشرقية حوائط جبلية معقدة ، وتتداخل من جهتها الشرقية مع هضبة أخرى هى هضبة أفغانستان ، وتقطع سطحها سلاسل من التلال ، إلا من الناحيه الشرقيه التى تمتد فيها السهول الصحراوية ، وهذه الجبال والتلال ذات أهميه عظيمة لإيران ، لأن الثلوج الهائلة التى تتوج قممها لا تلبث ان تذوب فى مواسم الدفء ، وتمد الأنهار والوديان الصغيرة بالماء ، وتجعلها مناطق صالحة للاستقرار والعمران .

أما مناطق السهول فإنها فى الساحل الجنوبى ضيقه جداً لأن جباله تطل على البحر مباشرة ، ولا تترك إلا شريطاً ساحلياً ضيقا يغلب عليه الجفاف والقفر ، أما فى الشمال على سواحل بحر قزوين فيوجد شريط ساحلى آخر يمتاز بالخصب ووفرة الأمطار ، وفى الجنوب الغربى من إيران يوجد إقليم منخفض هو " خوزستان " المجاور للجزيره الفراتيه (١) .

---

١) الشرقاوى والصياد : هذا العالم : دار المعارف بمصر سنة ١٩٥١ - ص ٢٨٥

والصحارى فى إيران واسعة ممتدة من الشمال الغربى إلى الجنوب الشرقى ، وأكبرها " دشت لوت" أى الصحراء الخالية" و" دشت كوير" أى الصحراء المالحة ، وتتداخل هذه المساحات الصحراوية بعضها فى البعض الآخر (١) .

وتوجد فى إيران عدة أنهار يصب بعضها فى بحر قزوين وتكثر مياهها فى الربيع، ويصب بعضها الآخر فى الخليج العربى مثل نهر قارون ، وهو أكبر أنهارها (٢) .

أقاليم إيران وأقسامها :

كانت إيران القديمة تضم مناطق أكبر وأوسع من إيران الحالية إذ كانت تشمل جزءاً كبيراً من أفغانستان ، وبلاد التركمان الروسيه وبذلك كانت تشمل أقاليم: خراسان وسجستان وبلاد الديلم والجبال ، وخوزستان ، وفارس ، وكرمان ، ومكران .

وخراسان أكبر هذه الأقاليم وأعظمها ، واسمها مكون من كلمتين فارسيتين هما : " خر" و " سان" ومعناهما : بلاد الشمس المشرقة(٣) وتحدها من الشرق سجستان وبلد الهند ، ومن الغرب مفازة الغزية ونواحى جرجان ، ومن الشمال بلاد ماوراء النهر وجزء من بلد الترك ومن الجنوب مفازة فارس وقومس إلى نواحى جبال الديلم (٤) ، وهى

١) ولبر ص ١٦ ٢) ولبر ص ١٤
٣) دائرة المعارف الاسلاميه - مادة خراسان مجلد ٨ ص ٢٨٢
٤) ابن حوقل : صورة الارض - الطبعة الثانيه - ليدن ١٩٦٧م - ص ٤٢٦ .

بـــذلك تزيد على ضعف المساحه التى تعرف اليوم باسم"خراسان" اذ يدخل الشطر الأكبر منها فى التركمان الروسيه وأفغانستان (١)

وكور خرسان هى : "بَلْخ" و "هَرَاة" و "جُوزجانان" و "مَـرْو الشاهِجان" و "نيسابور" و "قُوهِستان" . وقد أضاف إليهـــا المقدسى "سِجِسْتَان" و "غَزْنين" و "بُست" ، ولكننا نعتبر هــذه الأقاليم الثلاثة التى أضافها إقليماً واحداً مستقلاً عن خراسان هــو "سجستان" ، وإلى ذلك ذهب ابن حوقل [٢] والإصطخرى [٣] لأنها كانت كذلك فى معظم عهودها سياسيا واداريا ، وأعظم مدن خرسان على الترتيب: نيسابور ، ومَرْو ، وبَلْخ ، وهَراة ، وكانت حواضـــر خراسان فى عهود مختلفه .

أماسجستان فتقع أقصى شرقى إيران ، وتسمى أيضا "نيمـــروز" وهى كلمة فارسيه معناها : نصف يوم ، لأنه قيل إنها بخيراتهـــا وثرواتها تساوى نصف ماتطلع عليه الشمس ، وذلك على سبيل المبالغة لا الحقيقة [٤] ، وتحدها الصحراء من الشرق والجنوب ، وبلاد الهند (التى كانت قديما تشمل كابل) من الشمال ، وخراسان من الغـرب [٥]

---

١) دائرة المعارف الإسلاميه مجلد ٨ ص ٢٨٢
٢) صورة الارض ص ٤١١
٣) المسالك والممالك - تحقيق الدكتور الحينى - القاهره ١٩٦١م - ص ١٤٥ .
٤) ياقوت ٥ / ٣٣٩
٥) الإصطخـــرى ١٣٩

وإقليم " فارس" يقع على الشاطئ الشمالى للخليج الفارسى ويتكون من ست كور هى من الغرب: " أَرَّجَان" و " أَرْدَشِيرخُرَّه" "دارابجِرد" و " شِيراز" و " سابور" و " إِصْطَخْر" ، وتغلب عليه الطبيعه الجبليه(١) .

والى الشرق من فارس توجد " كرمان" ،التى تعد امتدادا طبيعيا له ،وحدودها من الشرق مُكْران ، ومن الشمال الشرقى سجستان ،ومن الشمال خراسان ، ومن الغرب فارس منتن الجنوب بحر فارس(٢) ، وهى تجمع بين صفات الاقاليم المحيطه بها ، من الناحيتين الطبيعيه ، والبشريه ، ولكنها أقل مساحة وعمرانًا من فارس وبها نهر كبير اسمه " جِيْرَفْت" (٣)

وشرقها توجد مكران ،ويحدها شرقا الهند ،وغربا كرمان وجنوبا بحر الهند ، وشمالا سجستان ، وهى ناحية واسعة عريضه تغلب عليها المفاوز ويسودها القحط(٤)

وتوجد بلاد الديلم شمالى إيران ، وسميت بذلك نسبة إلى العنصر البشرى الذى يسكنها ، وهم الديلم سكان المناطق الجبلية والى جوارهم الجيل سكان المناطق السهلية، وهما فى الأصل فرعان لعنصر واحد ،" وأكثر الناس لا يكادون يفرقون بينهما"، وهم

---

١) المقدس ٤٧١
٢) ياقوت ٥/١٨٠
٣)احسن التقاسيم ٣٥٥
٤)المقدس ٣٥٣

أكثر العناصر الإيرانيه تخلفافى مجال الحضارة إذ يقول عنهم المقدسى(١) : " لاترى لهم لباقة ولا علم ولا ديانه" . وهذا الإقليم يقع حول بحر قزوين ويضم خمس كور ، أربعة منها تطل على البحر وهى جُرْجَان وطبرستان والدَّيْلَمَان والخَزَر ، والخامسة تقع الى الجنوب ويفصلها عن البحر كورة طَبَرِستان ، وهى " قُومِس" (٢)

وتتميز بلاد الديلم بالطبيعة الجبلية القاسية ، والأمطار الغزيرة التى تسقط على سواحلها طوال العام ، وتتراكم الثلوج على قمم الجبال العاليه فتظل متوجة بها حتى أواخر الصيف ، وربما اتصل المطر فى طبرستان سنة ، فلا يرى أهلها الشمس(٣)

ويقع إقليم خوزستان على الطرف الشمالى الشرقى للخليج بين فارس والبصرة وجبال اللور المجاورة لأصبهان ، وهو أشبه بأرض العراق وهوائها وصحتها ، وبخاصة المناطق القريبة من دجلة ، ويكثر فيه النخيل ، " ولا توجد ناحية منه تخلو من أشجاره" (٤)

---

١) أحسن التقاسيم ٣٥٥
٢) المقدس ٣٥٣
٣) ابن حوقل
٤) ياقوت ٢ / ٤٠٤ ، ٤٠٥

الفصل الأول

الهجرة العربية إلى إيـران

الفصل الأول

الهجرة العربية إلى إيران

طريق الهجرة :

شهدت إيران مع الفتح الإسلامي وفى أعقابه حركة هجرة واسعة قامت بها القبائل العربية لاستيطان المناطق المفتوحة ، ولم تتم هذه الهجرة أو الهجرات العربية من جزيرة العرب إلى المناطق الإيرانيه مباشرة ، وإنما امتدت إليها عبر العراق ، واتخذت منه محطة وسطى ، إذ أنها استقرت فيه أولا ، وارتبطت به ، وانطبعت بسماته وخصائصه ، ثم اندفعت روافد منها نحو خراسان وغيرها من الأقاليم الإيرانية ، حتى كان عرب خراسان يسمون بالعراقيين إلى جانب تسميتهم بالخراسانيين (١) ، وأدى ذلك إلى مزيد من الارتباط والتلاحم بين العراق وايران حتى أصحا يشكلان ميدانا واحداً ، ويعدان ولاية واحدة .

والارتباط بين العراق وايران ارتباط قوى ومؤثر على مدى التاريخ ، وهو ارتباط طبيعى لتجاور الإقليمين بغير فواصل حادة تحول دون الاتصال والتاثير المتبادل بينهما ، وهو ارتباط تاريخى متأصل منذ كان العراق جزءاً من الدولة الساسانية ، واتخذ فيه ملوك الفرس حاضرتهم " المدائن " على نهر دجلة ، حتى عدة بعض المؤرخين (٢) المسلمين جزءا من " إيران " وكانت القبائل العربيه

---

١) انظر خطبة قتيبه بن مسلم فى عرب خراسان - الطبرى : تاريخ الامم والملوك - دار الفكر ببيروت - ص ٨ ص ١٠٥

٢) انظر ياقوت : معجم البلدان ٠ / ٢٨٩ ، ٤ / ٢٢٧

التى استقرت علــــى أطراف العراق من ناحية شبه الجزيرة العربية ترتبط بدولة الفرس برباط وطيد .

وتواصل هذا الارتباط فى عهد الفتوحات الإسلاميه التى تمــت فى عهد الخلفاء الراشدين ، منذ اتخذت الكوفة والبصرة - فى عهـــد عمر بن الخطاب رضى الله عنه - قاعدتين لفتح المناطق الإيرانيـــه واستمرتا منطلقا للجيوش الفاتحه فى عهد عثمان بن عفان رضى اللــــه عنه ، وكانت الجيوش تنطلق من البصرة بقيادة واليها عبد الله بـــن عامر الأموى مجاهدة فاتحة حتى تهاوت المقاومة الإيرانيـــــه .

وزاد التلاحم بعد ارتباط إيران بالإسلام ، فرغم ماأبـــداه الايرانيون من مقاومة باسلة ، إلا أنهم سرعان ماقبلوا علــــى الإسلام ، واندمجوا فيه ، وأكد ذلك ياقوت[1] فى حديثه عن أهـــل خراسان فقال : " ثم أتى الإسلام فكانوا فيه أحسن الأمم رغبـــة ، وأشدهم إليه مسارعة ، مَنًّا من الله عليهم ، وتفضلاً لهم ، فأسلموا طوعاً ، ودخلوا فيه سلما ، وصالحوا عن بلادهم صلحـــاً ، فخـــف خراجهم ، ولم تسفك بينهم دماء " ، وتوثقت الأصره بالتقاء الاقليمين تحت راية الجهاد فى مناطق الثغور فيما وراء النهر والسند .

ودعم الامويون هذا الترابط ، وجعلوه وحدة إدارية ، فكـــان الإقليمان - فى معظم عهدهم - يعدان ولاية واحدة ويخضعان لأمير واحد ، وبدا هذا الاتجاه فى عهد معاوية بن أبى سفيان الــذى جعل لوالى الكوفة المغيرة بن شعبة الإشراف على الرىّ ، ولوالـــى

---

١) معجم البلدان ٢ / ٣٥١

البصرةعبد الله بن عامر بن كريز الإشراف على خُراسان وسِجستان ثم جمع كل هذه المناطق تحت إمرة زياد بن أبيه سنة ٥٠ هـ ، فكان أول من جمع بين مصرى العراق (الكوفه والبصرة) وما والاهما، وامتدت ولايته من العراق الى السند (١)

وقد حاول بعض الخلفاء الأمويين أن يغير هذه القاعدة ويجعل من إيران ولاية مستقلة عن العراق ،لكن التجربة كانت تؤكد ضرورة العودة إلى الربط بينهما ، فقد عزل الخليفة هشام بن عبد الملك خالد بن عبد الله عن العراق وخرسان (وكان أخوة أسد بن عبد الله ينوبعنه فى خراسان) سنة ١٠٩ هـ ،وجعل خراسان مستقلة فى إدارتها تحت إمره عاصم بن عبد الله ،لكن هذاالوالى مالبث ان تبين مغبة هذا الوضع الجديد ،وكتب إليه : " إن الرائد لا يكذب أهله ، وان خراسان لاتصلح إلا أن تُضم إلى العراق وتكون موادها ومعونتها من قرب، لتباعد أمير المؤمنين وتباطؤ غياثه عنها" (٢)

وحاول الخليفه مرة أخرى أن يجعل والى خراسان نصر بن سيار (الذى ولاه سنة ١٢٠ هـ) مستقلا عن والى العراق يوسف بن عمر الثقفى ،ومنحه السلطات واسعه ليستطيع مواجهة ماانشق فى ولايته من فتن ، فكتب إليه والى العراق : " ان خراسان دبره دبره ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يضمها الى العراق ، فأسرح اليها

---

١) ابن الأثير طبعة دار الكتاب العربى فى بيروت ٣ / ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٢٨

٢) ابن الاثير ٤ / ٢١٩

الحكم بن الصلت. ." ولكن الخليفه رفض رأيه ، وأصر على سياسته وقال له : " خل الكناني وعمله" [١] ولكن هذا الاتجاه لم يستمر طويلا ، وعادت القاعدة القديمه بعد الخليفه هشام ، وضمت خراسان الى العراق فى ولاية منصور بن جمهور الكلبى سنة ١٢٦ هـ [٢] .

وفوق ذلك فقد كانت أحداث العراق تنعكس بصورة مباشرة وعمقه على ايران ، كما كانت أحداث ايران تتجاوب أصداؤها فى العراق ، وكانت معظم الثورات والحركات الفكرية تمتد من أحدهما إلى الآخر فى سرعة ،كما كانت العناصر البشرية فيهما تتمازج وتتفاعل فنجد الموالى الايرانيين يكثرون فى مصرى العراق ، كما نجد العناصر الاساسيه فى الجيوش الخراسانيه من عرب العراق، وسنتحدث فى فصول تاليه عن هذا التأثير المتبادل بمزيد من التفصيل .

وقد اتخذت الهجرات العربيه إلى إيران من العراق معبرا وطريقا للهجرة ، بعد أن استقرت فيه أولا ، واتخذت القبائل اليمنيه من الكوفه مركزا لتجمعها ، وكانت تسمى " أرباع الكوفة" لأنها تشمل أربع قبائل رئيسية هى : الأزد ومذحج وهَمْدان وكِنده ، واتخذت القبائل النزارية (مضر وربيعة) من البصرة مستقرا لها ، وكانت تسمى " أرباع البصرة" وتضم بصفه أساسية : بكراً وعبد القيس ، وتميما وأهل العالية ، وهم أهل المدينة ومعظمهم من قيس [٣] ، ويشملون

---

١) محمد ماهر حماده : الوثائق السياسيه والاداريه العائده الى العصر الاموى - الطبعه الرابعه - بيروت سنة ١٩٨٥-ص٤١٩٠

٢) الطبرى ٩ / ٣٢

٣) ابن الاثير ٤/١٦٨ ، ولها وزن : بتاريخ الدوله العربيه ترجمة الدكتور ابو ريده - القاهره ١٩٦٨م - ص ص٣٨٠، ٣٨١

جماعات من قريش وكنانه والأزد وبجيلة وخثعم وقيس عيلان ومزينة (١)

ولحقت بالبصرة في وقت متأخر نسبيًا جماعات من قبيلة الأزد اليمنيه ، وذلك في اواخر عهد معاوية بن ابي سفيان ، فكانت قبائل البصره ، وبخاصة المضرية ، تنظر إليها على أنها دخيله محدثه لا يجوز لها أن تنافسهم على الزعامة والقيادة ، ولذا كانت الأزد تحاول توطيد أقدامها في البصرة بالاعتماد على حليف قوى يقبل مؤازرتها ، ولما وجدت صدودًا واعراضًا من تميم اتجهت إلى ربيعة التي رحبت بهذا الحلف ، لما كان بينها وبين اليمنيه من ارتباط قديم وبدافع التنافس والعداء الذى كان بينها وبين تميم (٢) ، وبذلك أصبحت في البصرة كتلتان عربيتان متنافستان أولاهما ، وهي الاقوى والاكثر عددا ، الكتله المضريه التي تتزعمها تميم ، والثانيه الازد وربيعه ، وبعض القبائل اليمنيه .

وبعد استقرار هذه القبائل في العراق زمنًا بدأت تندفع في هجرة أخرى نحو المناطق الإيرانيه في موجات متوالية استمرت طوال العصر الأموى ، بدافع من هذه القبائل ، وبدفع وتشجيع من

---

١) ابن خلدون : العبر - ط بيروت ١٩٨٣ م - ١٦٧/٥

٢) الطبرى ٢٦/٧ وسنعود الى هذه النقطه بشئ من التفصيل في هذا الفصل

الخلافه الأموية ، إذ كانت هذه القبائل قريبة من عهد البداوة ولم تتمرس بالحضاره والاستقرار ، ولم تتعود الخضوع لسلطه مركزية فكانت ترى فى مناطق الأطراف بعيداً عن قبضة الخلافة وسلطانها ، مما سمح لها بحرية الحركة والتخفف من القيود ، كما انها كانت ذات طبيعه قتالية ، ربطت حياتها بالسيف والرمح والجواد ، فكانت تسعى إلى مناطق الثغور التى تلائم هذه الطبيعة لتشارك فى استمرار حركة الفتوحات ، مما يحقق لها مزيداً من الكسب المادى والسياسى ، وكانت الخلافه بدورها تعمل على استثمار طاقة هذه القبائل وقوتها فى الجهاد والفتح لتشغلها عن التفكير فى الثورات والفتن ، فتشجعها على الهجرة نحو مناطق الأطراف ، وقد تدفعها الى ذلك دفعاً ، ويتضح ذلك مما ورد على لسان الحجاج بن يوسف الثقفى والى المناطق الشرقية لأهل العراق : إنى لم أجد لكم دواء أدوى لدائكم من هذه المغازى والبعوث ، لولا طيب ليلة الإياب وفرحة القفل منها تعقب راحة " (١)

وكانت الهجرات العربية من العراق إلى إيران تتم بأعداد كبيرة وتهدف إلى التوطن والاستقرار ، بدليل اصطحاب المقاتلين لأسرهم وأصطحاب القاده لقبائلهم معهم ، فكان الاحنف بن قيس فاتح .

---

١) حمادة : الوثائق السياسيه (عن العقد الفريد) ص ٣١٨

خراسان يتقدم قومه بني تميم ،وكان المهلب بن ابى صفرة صاحب البلاء الاكبر فى قتال الخوارج يتقدم قومه الأزد ويصطحبهم معه.

ومن موجات الهجره الكبيرة البعث الذى سيّره الوالى زياد بن أبيه الى خراسان سنة احدى وخمسين من الهجره بقيادة الربيع بن زياد الحارثي، وكان تعداده خمسين ألفاً من أهل الكوفه والبصرة بعائلاتهم ، فقدموا خراسان واستوطنوها (١)

واستمر مصرا العراق يغذيان إيران بالعناصر العربية المقاتلة ويمدان جيوش الخلافة فيها بالجند طوال العصر الأموى ، وبخاصة عند الشروع فى فتوحات جديدة ، أو مواجهة حركات التمرد والثورات ومنها القوة الكبيرة التى وجهها الخليفه هشام بن عبد الملك سنة ١١٢هـ لمؤازرة قوات قائده الجنيد فيما وراء النهر أمام العناصر التركيه وكتب إليه : (قد وجهت إليك عشرة آلاف من أهل البصرة وعشرة آلاف من أهل الكوفة" ، وكان معظم هؤلاء الجند يستقرون بخراسان ويصبحون من أهلها .

وبلغ عدد القوات العربية الأساسيه الموجودة فى منطقة خراسان وحدها فى سنة ٩٦هـ ، وفق الإحصائيه التى سجلتها لنا المصادر

---

١) ابن الأثير ٣ / ٢٢٤ ، ٢٤٣

سبعه وأربعين ألفا ، منها عشره آلاف من تميم ومثلها من الأزد ، وتسعة آلاف من أهل البصرة والعالية ، وسبعة آلاف من أهل الكوفه ، وسبعة آلاف من بكر، وأربعة آلاف من عبد القيس[1] ، ولا شك أن هذا العدد يتضاعف عدة مرات إذا أضفنا إليهم عائلاتهم ويتضاعف أكثر إذا أضفنا إليه القوات الاحتياطيه والمتطوعه ، والقوات الضخمة التي كانت مرابطة في ثغور ماوراء النهر والسند ، والقوات التي وجهت لقتال الخوارج في مراكز تجمعهم مثل فارس وكرمان .

سمات الهجرة :

كانت الهجرة العربية إلى إيران ذات طابع عسكرى ، إذ أنها قدمت للفتح وحماية الثغور بالدرجة الأولى ، ولم يكن الهدف منها التوطن في المناطق الزراعيه وفلاحتها ، لأن العرب المهاجرين كانوا من قبائل البدو والتي نشأت على حب القتال واحتراف الحرب ، وحرّصت الخلافه من جانبها - منذ عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه - على الاحتفاظ بهذه الخاصية ، حرصًا على القوة الحربية العربية التى تعتمد عليها الدوله الاسلاميه فى المقام الاول ، وكانت هذه السياسه فى صالح الشعوب المفتوحه ، إذ سمح لهم أن يحتفظوا بالأرض الزراعيه فى أيديهم ، وأن يقوموا على زراعتها مقابل جزء من انتاجها يسمى الخراج ، ومُنح أبناء هذه الشعوب الحريه ، ولم يعاملوا كسبى أو أسرى حرب ، ليؤدوا دورهم فى عمارة الأرض ، وكتب عمر ابن الخطاب للعرب الفاتحين عندما سبوا جماعة من أهل الأهواز : " لا طاقة

---

١) الطبرى ٨ / ١٠٦ ، ابن الاثير ٤ / ١٠٤

لكم بعمارة الأرض فخلوا مافى أيديكم من السبى ، واجعلوا عليهم الخراج " (١) .

لكن هذا لا يعنى أن العرب كانوا بمعزل عن العناصر الإيرانية وسنرى فى حديثنا عن الموالى أن العرب خالطوهم وتزوجوا منهم ، ورغم أنهم كانوا يرابطون فى القلاع والحصون ومناطق الثغور ، إلا أنه كان لكثير منهم أرض وضياع فى القرى الإيرانه (٢)

وكانت هذه الهجرة أيضاً ذات طابع قبلى ، إذ ظل ولاء المهاجرين لقبائلهم أولا ، وتفانوا فى نصرة عصبياتهم ، والتزمت كل قبيله بطاعة زعيم منها ، لا يسألونه فيم يطيعون ، وعلام يقاتلونه ؟ وقد وصف معاوية بن أبى سفيان - فى حديثة لبعض أهله - الاحنف بن قيس سيد تميم فى خراسان والعراق ، فقال : " هذا الذى إذا غضب غضب لغضبته مائة ألف من بنى تميم ، لا يدرون فيم غضب" (٣)

وكان والى خراسان الجراح بن عبد الله الحكمى (٤) يقول على منبر خراسان : " والله لرجل من قومى أحب إلىّ من مائة من غيرهم (٥)

واستمرت هذه القبائل المهاجرة محتفظه بكثير من طبائعها البدويه التى كانت عليها قبل الإسلام مثل التفاخر بالأنساب

---

١) البلاذرى : فتوح البلدان ٣٧٠
٢) ولهاوزن ٣٩٥
٣) ابن خلكان : وفيات الاعيان ٢ / ١٨٦
٤) تولى سنه ١٠٠ هـ ثم عزله بن عبد العزيز لشكوى الموالى منه فى نفس السنه .
٥) الطبرى ٨ / ١٣٤

والأحساب، والتغني بأيامها وانتصاراتها ، وكان الفرزدق شاعر تميم يقول (١)

ألستُ أعز الناس قومًا وأسرة   وأمنعهم جارًا إذا ضيم جانبه

أنا ابن الجبال الشم في عدد الحصى   وعرق الثرى عرقي فمن ذا يحاسبه

وكثرت العداوات والصراعات بين القبائل المهاجره في مواطنها الجديدة لأسباب تافهه ، حتى قيل إن الحروب التي وقعت بين تميم وبكر في منطقة سجستان وحدها بلغت أربعا وعشرين وقعه (٢)

ومن الوقائع المشهورة ماحدث في منطقة البروقان من أرض بلخ سنة ١٠٦ هـ بين كتلة المضريه التي ترأسها تميم، وتحالف اليمنية وربيعه (بكر وتغلب) ، وقال عنها الشاعر المضرى بيان العنبرى (٣)

أتاني ورحلي بالمدينة وقعة   لآل تميم أرجفت كل مرجف

تظل عيون البرش بكربن وائل   إذا ذكرت قتلى بالبروقان تذرف

ومن سمات هذه الهجرة أن كثيرًا من أوضاع القبائل النازحة كانت استمرارا لما كانت عليه أحوالها في الجاهليه ، ولم تستطيع -برغم ارتباطها بالإسلام ، وتحولها إلى مواطنها الجديدة - أن تتخلص تماماً من تراكمات السنين الطوال التي عاشتها في جزيرة العرب في عهد الجاهلية ، ومن هنا كثرت الصراعات واستحكم العداء بين تميم وبكر ، وهو من تراث الجاهلية الذي تلقاه الأحفاد عن الأجداد

---

١)ابن الأثير ٣ / ٢٣٢

٢) ابن عبد ربه ٢ / ٣١٩

٣) الطبرى ٨ / ١٨٣

ويروى التاريخ كثيرا من المفاخرات والمنازعات التى وقعت بين جدى القبيلتين " تميم بن مرة" و"بكر بن وائل" حتى قيل إن تميماً قال لخصمه : " أساجلك العداوة ماحيينا" فرد عليه : " وإن متنا نورثها البنينا" (١) .

وحملت القبائل المهاجره - الى جانب تراث الجاهلية - سمات حياتها إبان اقامتها فى مصرى العراق ، وكانت حياتها السياسية فى المناطق الإيرانيه استمرارا لما كانت عليه فى العراق ، ومن ذلك الحلف الذى وقع بين الازد وربيعه فى البصرة ، واستمر بينهما بعد رحيلهما إلى إيران ، وظل عنصرًا موءثرا فى الأحداث طوال العصر الأموى .

فعندما قدم الأزد إلى البصره متاخرين عن غيرهم من القبائل فى أواخر عهد معاوية بن أبى سفيان وبداية عهد ابنه يزيد - وجدوا تكتلا مضريًا ، وحَذَّر الأحنف بن قيس قومه بنى تميم - وهم أكثر المضريه هناك - من السعى إليهم أو طلب التحالف معهم ، وقال لهم: " إن أتوكم فاقبلوهم ، وإلا فلا تأتوهم ، فانكم ان أتيتموهم صرتم لهم أتباعا" وانتهزت ربيعة حذر تميم وترددها وسبقتها إلى محالفة الأزد ، بدافع من عداوتها القديمه لتميم ، وتجديدًا للتحالف القديم الذى كان بنها وبين اليمنيه قبل الإسلام ، وأقبل سيد ربيعة فى البصرة مالك بن مسمع على سيد الأزد مسعود بن عمرو المعنى

---

١)ابن عبد ربه ٢ / ٣١٩

وقال له : جددوا حلفنا وحلف كنده فى الجاهليه وحلف بنى ذهل بن ثعلبه فى طيىء بن ازد من ثعل" ، ووافق الازد على هذا الحلف شريطة أن يكون الرئيس منهم وعند ما هاجروا الى المناطق الايرانيه التزموا بهذا التحالف ووقفوا جبهه واحدة ضد المضريه (١)

وظلت القبائل المهاجره بعيدة عن الالتزام بطاعة السلطة المركزيه التى تمثلها الخلافة وعمالها ، لأن هذه القبائل لم تتعود الاستقرار ، ولم تتمرس بحياة النظام والخضوع للدولة ، ولم تجد خلال رحلتها من جزيرة العرب إلى إيران ما يساعدها على تغيير نظامها البدوى ، وعند ما نزلت أولا فى الكوفه والبصرة لم تكن معها عناصر أخرى تخالطها وتؤثر فيها ، فتتعلم منها الخضوع والالتزام ، ولذا كثرت اضطراباتها وخروجها على الخلافة وعمالها ، بعكس القبائل العربية التى استوطنت الشام ، واستقرت فيها قبل الإسلام بفترة طويلة ، وارتبطت بدولة الروم ، وورثت كثيرًا من المؤثرات الحضارية عن الدول والمدنيات التى قامت فى منطقتهم من آرامية ويونانيه ورومانية ، وعرفوا كثيرًا من النظم السياسيه والعسكرية والإدارية المتطورة بمقياس عصرهم ، فكانت هذه القبائل الشامية أكثر تقبلاً لفكرة الدولة ، وطاعة حكومة مركزية (٢)

وكانت القبائل المهاجرة إلى الأقاليم الإيرانية تستمد قوتها

---

١) الطبرى ٨ / ٢٦

٢) انظر د . نبيه عاقل : تاريخ خلافة بنى اميه - دار الفكر فى بيروت - الطبعة الرابعة ١٩٨٣م - ص ٧٩

ومكانتها السياسيه من كثرة عددها ، وما تؤدية من دور حربـــي ، واستطاعت تميم التي قيل إنها تعدل خمس القوه العربيه فـــي خراسان[١] ان تحتل مكان الصدارة بين هذه القبائل ، وزادت قوتها بالتفاف القبائل المضرية الأخرى وبخاصة قيس، من حولها ، وقـال عنها الخليفه هشام بن عبد الملك : " إن تميما أكثر أهل خراسان[٢]"، وكانت تميم بالإضافه إلى كثرة عددها - صاحبة البلاء الأكبر فـي فتوحات خراسان منذ عهد عمر بن الخطاب، وسطر فرسانها صفحات حافلة بالانتصارات وعلى راسهم زعيمها الاحنف بن قيس فاتح خراسان ، وغيره من قادة الفتح في الاهواز وسجستان (٣)

وتعدى بلاء تميم إيران إلى الثغور المجاورة ، فشاركوا بصـورة فعالة في حملات ماوراء النهروالسند ، كما أبلوا في نصرة الخلافـة الأمويه ضد الخارجين على سلطانها ،وكان مجاعه بن سعر التميمـي يقود جيوش الحجاج التي قمعت الفتن في السند ، وفتحت اجزاء من قند ابيل[٤] ، وكانت تميم اول الرافضين لثورة قتيبه بن مسلم ضـد الحكم الاموى ، وأول المتصدين لها (٥)

وتلتها في المكانه الأزد ،بما لها من عدد وبلاء ، وقامت بـدور قتالي مشهود ، وبخاصة في قمع ثورات الخوارج التي استشرت فـي

---

١) الطبرى ٨ / ١٠٦ (٢ ، ٢)
٢) حماده :اتلوثائق السياسيه (عن الطبرى) ٤٨٨
٣) انظر القائمة التي ذكرها محمود شيت خطاب باسماء الفاتحين في كتابه " قادة فتح للاد فارس - الطبعه الثالثه - بيروت سـنة ١٩٧٤م .
٤) ابن الاثير ٤ / ٦٤
٥) سيأتي حديث مفصل عن هذه الثورة في الباب الاخير من هذا البحـث .

إقليمى فارس وكرمان ، وبلغت هذه القبيله أوج عزها فى عهد زعيمها المهلب بن أبى صفرة ، الذى صحب قومه وقبيلته معه إلى المناطق الإيرانيه ، وكان معتزًا بهم ، حريصًا على ألا ينتقص أحد من قدرهم حتى انه رد على الحجاج عندما أراد أن ينال منهم بلسانه : " إن شرًا من الأزد لقبيلة تتنازعها ثلاث قبائل لم تستقر فى واحدة منهن (١)" وهو بذلك يعرض بثقيف قبيلة الحجاج .

وقد استطاع المهلب أن يعلى من شأنه وشأن قومه بما أبداه من شجاعة وحنكة فى حرب الخوارج ، وكانت له معهم أيام مشهورة (٢) ، وتبارى شعرا الأزد فى مدحه ومنهم كعب الأشقرى الذى قال (٣)

لولا المهلب مازرنا بلادهم ... مادامت الأرض فيها الماء والشجر
والأزد قومى خيار القوم قد علموا ... إذا قرومهم يوم الوغى خطروا

وتوزعت القبائل العربية المهاجرة المناطق الايرانيه ، وغلبت كل منها على ناحية ، وكثيرًا ماكانت مواطنها الجديدة تتداخل ويحدث التنازع بينها ، وغلبت القبائل القيسية على نيسابور (قلب خراسان وحاضرتها) والمناطق الغربية من إيران ، أما فى المناطق الشرقيه فتداخلت مواطن تميم وبكر ، ورأى كل منهما أنه أسبق من صاحبه وأولى بها ، ولذا كثرت الصراعات بينها ، وامتدت من خراسان إلى سجستان فى أقصى الشرق من إيران ، أما الأزد فقد كثروا فى خراسان والمناطق الجنوبيه حيث كانوا يتولون قتال الخوارج .

---

١) حمادة : الوثائق السياسية (عن الكامل للمبرد) ٣٦٤
٢) مثل يوم هرمز ، ويوم سابور ، ويوم جيرفت .
٣) الطبرى ٧ / ٢٧٣

وسرعان ما ارتبط العرب المهاجرون بمواطنهم الجديده ، وكانوا يشعرون أنهم خراسانيون(١) ، وكانوا يسمون أنفسهم بأهل خراسان(٢) وشاركوا الفرس في الاحتفال بأعيادهم مثل النيروز والمهرجان (٣) وتشبهوا بهم في زيهم وحياتهم ، وارتدوا سراويلهم الطويلة (٤).

وكان استقرار العرب المهاجرين في إيران استقراراً للإسلام وعاملا من أقوى العوامل في انتشاره ، لأن فتح العرب لإيران - وغيرها من البلاد - لم يكن فتحا عسكريا فحسب ، وانما كان فتحا بشريا أيضا (٥) .

انقسام العرب في إيران :

لم يتخلص العرب بعد الإسلام من عصبياتهم الجاهليه وظلت عنصراً موءثراً في تاريخهم وحياتهم في البلاد التي استوطنوها بعد الفتوح سواء في المشرق أو في المغرب والأندلس حقبة طويلة .

وترجع هذه العصبيات الى اختلافات عرقية غذتها عوامل أخرى متعددة ، فالعرب في الأصل ينقسمون إلى شعبين عظيمين أحدهما قحطان الذى استوطن اليمن وجنوبى بلاد العرب ، وثانيهما عدنان الذى عاش في شمالى شبه الجزيرة العربية ، وأدى تنائي الديار ،

---

١) ولهاوزن ٣٩٥

٢) انظر : الطبرى ٨ / ٢٢١ ، وابن الاثير ٤ / ٢٧٥ ، حماده : الوثائق السياسيه ٤٦٩ .

٣) النيروز عيد راس السنه النجميه الايرانيه ، ويستمر الاحتفال به ستة ايام متواليه ، والمهرجان في الاصل عيد الاله " ميترا" ويرجع الى مرحله التاريخ الاسطورى عند الفرس

(٤) ولهاوزن ٣٩٥

(٥) الدكتور حسن احمد محمود : العالم الاسلامى في العصر العباسى (بالاشتراك مع الدكتور احمد ابراهيم الشريف) * الطبعه الخامسه - ص ٤١

وما يفصلهما من صحارى وقفار إلى اختلاف اللغة ونمط الحياة لدى كل منهما ، وظل هذا الانقسام حتى بعد هجرة بعض القبائل الجنوبيه إلى الشمال ومجاورتها للعدنانيين فى عصور تاليه .

ولم يحتفظ العدنانيون بوحدتهم بل تشعبوا الى عصبتين ربيعه التى تضم قبائل بكر وتغلب وعبد القيس ، وتتركز فى منطقة البحرين ونجد ، ومضر التى تفرعت إلى قيس وخندف[1] ، وارتبطت بمنطقة الحجاز ووسط الجزيره العربيه .

وتشعبت القحطانيه أو اليمنيه إلى قبائل متعددة منها قضاعة وكلب وتنوخ وجهينه والازد وخزاعه وهمدان ومذحج وطيىء وبجيلة وكانوا يعتزون بأنسابهم ويعتبرون أنفسهم أصل العرب ، ولذا يسمون " بالعاربه" تمييزًا لهم عن عرب الشمال " المستعربة" الذين امتزجت بهم دماء وافدة من خارج الجزيرة العربية ، كما اعتبر اليمنيون أنفسهم أرباب الحضارة والمجد التليد ، مذ كانت لسبأ وحمير دول ومدنيات ، ونقلوا بعض هذه المؤثرات الحضارية معهم فى هجرتهم الى أطراف شبه الجزيرة العربية ، وإلى يثرب ، ونظروا إلى العدنانية على أنهم بدو ظاعنون ضاربون فى بيداء التخلف .

وفى الجانب المقابل نجد المضرية وعلى رأسهم قريش يعتزون بزعامتهم الدينية من لدن ابراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام ، وما

---

١) خندف هى الأم التى انحدرت منها قبائل هذيل وكنانه واسد والهون ومزينه والرباب وضبه ، و اليها تنتسب قريش.

اختصهم الله به - بعد ذلك - من شرف النبوة ومنشأ الإسلام ، الى جانب نقاء لغتهم وفصاحة لسانهم ، حتى أصبحت لغة الشعر والأدب واستحقت ان يشرفها الله بجعلها لغة كتابه الكريم واليهم ينتسب الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه على مدى عدة قرون .

أما ربيعة فكانوا يرون أنفسهم أصحاب البأس والقوه ، وأحق بالسياده من أبناء عمومتهم المضرية ، وكانوا بحكم اتصالهم باليمنية ومجاورتهم لهم يرتبطون معهم بمحالفات قديمه ، فجددوها بعد هجرتهم الى المواطن الجديده - كما ذكرنا - بدافع البغض والكراهيه للمضرية.

وفي المناطق الإيرانية كانت كفة المضرية ترجح خصميها (اليمنية والربعية) لكثرة عددهم ، وترابطهم وتآزرهم في مواجهة الحزب المناوىء ، وانتماء أكثر الولاة والعمال اليهم .

وكانت تميم تحفظ لهم هذه القوه بما لها من ثقل بشرى في المنطقه ، وما أبدته من بأس وشدة في المجال الحربي .

وساعد تميمَ على احتلال هذه المكانة الرفيعة ماكانت تتمتع في بداية عهدها بالعراق وايران من زعامه قويه تتصف بالعقل والحكمة متمثله في زعيمها الأحنف بن قيس الذى ضُرب به المثل في الحكمة فكان يتقدم بها في طريق المجد والسؤدد ، وكتب باسمهم الى الخليفه عمر بن الخطاب ليساعدهم على الاستقرار في المواطن الجديده قائلا : " فالا ترفع خسيستنا ، وتجبر فاقتنا وتزيد في عيالنا عيالا ، وفي رجالنا رجالا ، وتصغر درهما ، وتكبر قفيزنا ، وتأمرلنا بحفرنهر

نستعذب ه الماء هلكنا " فقال عمر : هذا والله هو السيد ، وأمر والى البصره - فى ذلك الوقت - ابا هريرة أن يحفر لهم نهرا (١)

وكان الأحنف يبصر قومه ويدعوهم الى الوحدة والتآزر فيقول لهم " يابنى تميم تحابوا وتباذلوا تعدل أموركم ، وأبدأوا بجهاد بطونكم وفروجكم يصلح لكم دينكم ، ولا تغلوا يسلم لكم جهادكم" (٢)

وصحب الأحنف قومه فى حركة الفتح الى ايران ، وقادهم تحت رايته ففتح خراسان ، وأصبح واليا عليها فى عهدى عمر وعثمان رضى الله عنهما ، وأتخذ من مرور الروذ (٣) قاعدة له ، وأستوطن قومه فى كوربلخ الأربع (٤)

وظل الأحنف صاحب المكانه الرفيعة فى العهد الأموى ، فكان من أهل الرأى الذين يرجع اليهم العمال ، ومن مستشارى معاوية المقربين ، وكان يرعى مكانته ويؤثره ، ولذا عنف الوالى زياد بن أبية وهدده بالعزل عندما جفا الأحنف ، وقبح رأيه فى مباعدته وأوصاه برعاية قدره (٥)

ولم يكن فضل الأحنف مقصورا على قبيلته ، بل كان يعمل على

---

١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٢ / ٦٣
٢) محمود شيت خطاب : قادة الفتح فى بلاد فارس ٢٢٧
٣) مروالروذ : مدينه تبعد عن مرو الشاهجان (وهى مرو العظمى قصبه خراسان) خمسة أيام ، والمرو هو الحجر الذى تقدح به النار والروذ بالفارسيه النهر ، لانها قائمه على نهر عظيم وهى أصغر من مرو الاخرى (ياقوت ٥ / ١١٢ م) .
٤) أبن الاثير ٣ / ١٨ (٥) أبن الاثير ٣ / ٢٥٧

جمع كلمة العرب في العراق وايران والتخفيف من حدة عصبياتهم ، فقال لزعماء الحلف المنافس : يا معشر الأزد وربيعة أنتم إخواننا في الدين ، وشركاؤنا في الصهر ، وأشقاؤنا في النسب ، وجيراننا في الدار ، ويدنا على العدو ، والله لأزد البصرة أحب الينا من تميم الكوفة ، ولأزد الكوفة أحب الينا من تميم الشام ، فإن استشرى شنآنكم ، وأبى حسد صدوركم ، ففي أحلامنا وأموالنا سعة لنا ولكم(١)

وظل الأحنف حفيا بالاحترام من جميع الأطراف ، من بني أمية ومن منافسيهم وأعدائهم ، لالتزامه جانب الاعتدال فيما وقع بين الأمويين والعلويين ، وبين الأمويين والزبيريين ، وعندما مات صلى عليه مصعب بن الزبير وقال : " هذا سيد أهل العراق " (٢)

أفتقدت تميم هذه الزعامة الحكيمة بعد الأحنف ، ولذا أصابها شيء من التفكك والانقسام بسبب التنافس على الزعامه والقيادة . وكان هذا أحد الأسباب التي أخرتها عن الصف الأول ، وجعلت قبائل قيس التي كانت دونها عددا وقوة تتقدم عليها مثل ثقيف وباهلة وذبيان(٣) ، وكذلك قبائل اليمنيه التي كانت دونها عصبية مثل بجيله(٤) ، لم يتول الإماره في العراق وخراسان أحد من تميم بعد الأحنف بن قيس وبقيت دائما في الصف الثاني ، وكان منها كثير

---

١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٤ / ١٣٤

٢) ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢ / ٧١٦

٣) من الولاة الثقفيين : زياد بن أبيه والحجاج بن يوسف وعبيد ابن زياد ويوسف بن عمر ، ومن الباهليين : قتيبه بن مسلم ، ومن الزبيانيين : عمر بن هبيرة ، وعدى بن أرطأة .

٤) ينتمي اليهم الوالي خالد بن عبد الله القسرى وأخوه ونائبه في خراسان أسد بن عبد الله .

من مساعدى الولاة ونوابهم .

وظهرت فى تميم - بعد الأحنف - فى الفترة التى أعقبت ثورة الزبيريين كتلتان متنافستان فى خراسان ، تضم الأولى عدة بطون منها تسمى " الأبناء " (١) يتزعمهم بكير بن وشاح ، والثانيه تضم فروعا أخرى من تميم تسمى " مقاعس" "والبطون " (٢) يتزعمها بَحير بن ورقاء التميمى .

وقد حاول فريق الأبناء أن يشق طريقه نحو الزعامه بأكتساب رضا بنى أميه ، فأظهر الإخلاص لهم ، والدفاع عن سلطانهم خلال الاضطرابات التى أعقبت ثورة ابن الزبير ، وتصدوا لمحاولة التمرد التى أبداها والى خراسان عبد الله بن خازم الذى رفض البيعه للخليفه عبد الملك بن مروان ووثبوا عليه وقتلوه ، وولوا مكانه زعيمهم بكير بن وشاح سنة ٧٤ هـ ، لكن فريق مقاعس والبطون رفض هذه الزعامة ، والتفوا حول رئيسهم بحير بن ورقاء ، وكادت الفتنه أن تستشرى بينهما لولا ان كتب أهل خراسان الى الخليفة عبد الملك بن مروان مطالبين بتولية رجل من قريش " لا يحسدونه ولا يتعصبون عليه " فاستجاب لهم وعين عليهم أميرًا من البيت الأموى هو أمية بن عبد الله بن خالد سنة ٧٤ هـ . (٣)

وهكذا أضاع الانقسام الفرصه لتقدم تميم الى الصف الأول ، وقد

---

١) هم ستة بطون من ولد سعد بن زيد مناة بن تميم (أنظر ابن عبد ربة ٣ / ٣٤٦)

٢) مقاعس هو الحارث بن عمر بن كعب بن سعد التميمى ، وتفرعت عنه بطون عديده ذكرها ابن عبد ربه فى العقد الفريد ٣ / ٣٤٦

٣) الطبرى ٧ / ٢٠٩

ارتضت هذا الوضع، وقبلت أن يكون الوالى من غيرها من المضريين سواء أكان من فرع خندف الذى تنتمى اليه ، أو من فرع قيس، ولكنها لم تكن ترضى" أن يصير الأمر فى غير مضر" (١) ، وقنعت هى بالصف الثانى وأصبح زعيماها المتنافسان نائبين للوالى الجديد ، فتولى بحير شرطته ، وأصبح بكير نائبه على أقليم طخارستان (٢)

وحظى القيسيه بالنصب الأوفى من منصب الإمارة والمناصب القياديه ، وشاركهم أبناء أرومتهم المضرية من خندف فى بعض الأحيان مثل سعيد بن مروان ، ونصر بن سيار الكنانى ، وتضاءلت فرصة اليمنية ، فلم يتول منهم سوى المهلب بن أبى صفرة وأبنه يزيد ، وخالد بن عبد الله القسرى وأخوه أسد ومنصور بن جمهور الكلبى .

وقد نجد التنافس والصراع داخل العصبية الواحدة ، فكثيراً ما نرى العداء والتباغض بين أمراء القيسية ، فيقوم الوالى الجديد بالتنكيل بسابقيه واضطهادهم ، ومثال ذلك مافعله عمر بن هبيره والى العراق فى سنة ١٠٥ هـ ،اذ أمر نائبه على خراسان مسلم ابن سعيد بتقييد الوالى السابق سعيد الحرشى وإنفاذه إليه ، فلم يكتف مسلم بن سعيد بذلك ، بل قام بحبسه وزاد فى قيوده (٣)

---

١) ابن الاثير ٤ / ١٤٠

٢) المصدر السابق ٤ / ٦٤

٣) ابن الاثير ٤ /١٨٨ ، ١٨٩

وحظيت قبيلة ثقيف القيسه بنصيب وافر من السلطه في إيـــران ساعدها على ذلك صداقتها القديمه لقريش وبني أميه منذ الجاهلية إذ كان لبني أمية في الطائف بساتين وزروع، وأبدى أبناؤهـــا كفاية وقدرة إدارية كبيرة، ولمع منهم المغيرة بن شعبة وزياد بن أبيه وابنه عبيد الله بن زياد، والحجاج بن يوسف الثقفي، ومحمد بـــن القاسم الثقفي، ويوسف بن عمر، وغيرهم (١)

وكانت الكتله العربيه الثانيه التي تنافس المضريه، وتتخذ جانـب المعارضه ضدهم هي اليمنيه والربعيه، وتتزعمها قبيلة الأزد الـــتي أرتبط مجدها في المناطق الإيرانية بزعيمها المهلب بن أبي صفـــرة مثلما أرتبطت تميم بسيدها الأحنف بن قيس.

وكان المهلب يسلك طريق السيادة والمجد ببطولته العسكريـــة وشجاعته الفائقة هو وأبناؤه، وأكتسابه لثقة بني أميه ودفاعه عن نفوذهم في المناطق الشرقيه وموقفه المعتدل في الفتره الحرجه التي أهتـــز فيها هذا النفوذ، وهي الفتره التي أعقبت وفاة يزيد بن معاويـــة سنة ٦٤هـ، وظهور الزبيريين وغلبتهم على العراق، وتمرد القبائـل العربيه في إيران وخروجها على طاعة بني أمية.

ولم يستطع والي خراسان سلم بن زياد أن يصمد في مواجهـــة هذه الأنواء، فجعل المهلب نائبا عنه، ورحل هو الى العراق عائدًا،

---

١) انظر نبيه عاقل : تاريخ خلافة بني أميه ص ٦٧

وواجه المهلب موقفًا طعبًا إذ لقى معارضه نزارية قوية من ربيعة ومن مضر ، فقد قالت ربيعة لسلم بن زياد وعندما ولاه : " ضاقت عليك نزار حتى خلفت على خراسان رجلا من اليمن ؟ " فأرضاهم باشراك رجل منهم مع المهلب ووزع الاقاليم الايرانيه بينهما ، فأثار ذلك حفيظة مضر ، وقالوا له : " فرقت خراسان بين بكر بن وائل واليمن ؟ " فاضطر الى إرضائهم ، بأن كتب عهدًا جديدًا بولاية خراسان واحد من المضريه هو عبد الله بن خازم (١)

عندئذ انصرف المهلب الى العراق ، ولم يخض فى هذه الفتن وهناك بدأ يفرض احترامه على الجميع بكفائتة وقدرته ، عندما تعرضت البصرة لخطر الخوارج الازارقة ، وخشى أهلها على أموالهم وذراريهم ،واجتمعوا اليه وعلى رأسهم زعيم المضرية الاحنف بن قيس وأصروا على أختياره ليقودهم ، وأعربوا عن ثقتهم فى شجاعته ورأية وبصره بالحرب ، وكتبوا كتابًا إلى مصعب بن الزبير - الذى غلب على العرق فى ذلك الوقت - وأعلموه بما أجمعوا عليه ، فصدق على هذا الكتاب وأمضاه ، وكلف المهلب بالتصدى للخوارج ، ووضع تحت قيادته اثنى عشر ألفا من المقاتلين ، فقادهم إلى النصر ، وأحرز بطولات عظيمة تردد صداها فى الافاق ، وتبارى فى وصفها الشعراء (٢) وتعقب المهلب الخوارج فى فارس وكرمان ، وغيرهما من مناطق ايران .

---

(١) الطبرى ٧ / ٤٤

(٢) ابن الاثير ٤ / ٣٤٩

وساعده ذلك على الالتزام بالمسلك المعتدل الذى اختاره، فكان بعيدا عن الاشتراك فى القتال الذى دار بين مصعب وعبد الملك بن مروان فلم ينله سخط الأمويين، وعند ما انتصر عبد الملك سارع إلى الدخول فى بيعته، فاغتفر له ماكان من ولائه للزبيريين، واعتبر هذه المبادرة دليلا على صدق نيته وإخلاصه، وطلب منه الاستمرار فى قتال الخوارج بعد فشل قائده عبد العزيز بن عبد الله وهزيمته أمام الأزارقة سنة ٧٢هـ[1]، فأثبت المهلب أنه فارس هذا الميدان غير منازع، وتضاعفت قائمة انتصاراته باستمرار، وأهله هذا النجاح أن يعين بعد ذلك واليا على خراسان سنة ٧٨ هـ تحت إمرة الحجاج ابن يوسف والى العراق، ومالبث أن أحرز انتصارات مماثلة فيما وراء النهر[2].

لم يكن الحجاج راضيًا عن تقدم الأزد وزعمائهم المهالبه، وخشى من منافستهم وتزايد سلطانهم، وبخاصة بعد أن ولت الخلافه يزيد ابن المهلب بعد وفاة أبيه سنة ٨٢ هـ، فأخذ يكيد له لدى الخلافة ويشككها فى إخلاص المهالبة، ويتهمهم بأنهم زبيرية لا يؤمن غدرهم، وأخيرًا أذن له الخليفه عبد الملك - بعد طول تردد - فى عزل يزيد ابن المهلب، وأراد الحجاج أن يتم الأمر تدريجيا حتى يمتص غضبه المهالبة وقبيلتهم، ، فعزل يزيد وولى أخاه المفضل تسعة

---

١) المرجع السابق ٤ / ١٩

٢) المرجع السابق ٤ / ٧٣

أشهر ثم عزله أيضًا ، وولى مكانه قتيبة بن مسلم الباهلى وهو من باهلة القيسية ، ولكنها قبيلة ضعيفة قيل عنها فى الجاهليه :

وما ينفع الأصل فى هاشم   إذا كانت النفس من باهلة

وكان الحجاج يهدف من وراء هذا الاختيار أن يعول الوالى الجديد عليه ، وعلى السلطه المركزيه للخلافه بدلا من الاعتماد على عشيرته (١)

ولم يكتف الحجاج بإقصاء المهالبة عن السلطة ، بل أراد يستأصل شأفتهم ، فأتهمهم لدى الخليفه الوليد بن عبد الملك بأنهم خانوا مال الله (٢) ، وأتاح له ذلك أن ينكل بهم ويلقيهم فى السجون .

ولكن خطة الحجاج لم تنجح الى النهاية ، فقد تمكن يزيد بن المهلب من الفرار من سجنه ، وأتجه الى الشام حيث لجأ الى صديقة ولى العهد سليمان بن عبد الملك ، وكان يولية عطفه ورعايته ، فبذل المساعى لدى أخيه الخليفه الوليد حتى حصل له على العفو والأمان (٣).

ومالبث نجم المهالبة أن عاد فى سنة ٩٦هـ يسطع فى أفق خراسان من جديد ، بعد أن توفى الحجاج والوليد ، وآلت الخلافة الى سليمان بن عبد الملك ، فأعاد يزيد بن المهلب واليًا على

---

١) ولهاوزن ٤٢٦

٢) ابن خلكان - وفيات الأعيان - ط بيروت - ٦ / ٢٩٣

٣) ابن الاثير ٤ / ١١٥

خراسان فى سنة ٩٧هـ ، وجدَّ يزيد فى إثبات جدارته وتثبيت إمارته كما كان يفعل أبوه ، فقام بحملة كبيرة لفتح بلاد الديلم، ونجح فى إخضاع جُرجان وطبرِستان اللتين أستعصتا على المسلمين حتى ذلك الوقت.

وكان تقدم الأزد تحت راية المهالبة أول محاولة لكسر احتكار المضرية للزعامة والولاية فى ايران ، ولكن ظهورهم لم يستمر طويلا، إذ توفى نصيرهم سليمان بن عبد الملك سنة ٩٩ هـ ، وأوقع يزيد بن المهلب نفسة فى ورطة مع الخليفه الجديد عمر بن عبد العزيز ، لأنه بالغ فى كتابه إلى سليمان بن عبد الملك فى مقدار الغنائم التى حصل عليها من فتح جرجان وطبرستان ، وكان يعلم أن سليمان لن يحاسبه، فلما تولى عمر بن عبد العزيز طالبه بما أثبته على نفسة ، وأمرة برد هذه الأموال الى بيت المال ،فكتب إليه يزيد : " كنتُ من سليمان بالمكان الذى قد رأيتَ، وإنما كتبت الى سليمان لأُسمع الناس به ، وقد علمت أن سليمان لم يكن ليأخذنى به"، ولكن الخليفه لم يقبل منه هذا العذر ، وأمر بحبسه ، وكان بكره من المهالبة عنفهم وشدتهم على الرعيه ويقول عنهم : " هؤلاء جبابرة ولا أحب مثلهم"(١)

ولكن غضبة الخليفة على المهالبةلم تتعدهم الى قومهم الأزد ، لأنها لم تكن صادره عن عصبية" أو دوافع شخصية"، ولكنها نابعة" من حرصة على أموال المسلمين ، ومصالح الرعيـة ،وعدم موافقة سياستهم

---

١) ابن خلكان ٦/ ٢٩٩

لسياسته الملتزمه بالمثل الإسلاميه .

وأما خليفته يزيد بن عبد الملك ، فقد اتخذ من القضاء على المهالبة شعاراً له ، لأنه كان صديقا للحجاج وأسرته وساءة ماأوقعة ابن المهلب بهم أثناء ولايته ، وزادت نقمته عليهم بعد ثورة أبن المهلب ضده ، في بداية عهده سنة ١٠١ هـ .

وكان يزيد بن المهلب قد تمكن من الفرار من سجنه ، واجتمع اليه إخوته وقومة ، ودعا لنفسه في البصره ، ولكن المضرية من تميم وقيس وقفوا ضده ، وانضم اليهم أهل الشام فانهزم الأزد وقُتل يزيد سنة ١٠٢ هـ (١) ، وبذلك انكمش نفوذ الأزد واليمنيه ، وعادت السيادة للمضرية ، وظل الأزد ساخطين يتحينون الفرصة حتى جددوا ثورتهم بثورة أعنف وأقوى في خراسان سنة ١٢٦ هـ بقيادة زعيمهم جديع بن علي الأزدي الملقب بالكرماني لمولده في كرمان ، وانضمت اليهم ربيعة ، واشتبكوا في صراع عنيف مع المضريه (٢) .

وقد أدى انقسام العرب فيايران الى كتلتين ، وكثرة الصراعات بينهم إلى تبدد قوتهم ، وضياع ثمرة جهودهم في فتوحات ماوراء النهر ، وتجرؤ الترك على غزوهم في خراسان حتى وصلوا إلى مشارف مرو (٣) وانحسر سلطانهم عن إقليم السند ، وطمع فيهم ملك كابل " رتبيل" .

---

١) الطبري ٨ / ١٥١

٢) أبن الأثير ٤ / ٢٧٤ ، ٢٩٤ وسنعود للاشاره الى هذا الصراع في حديثنا عن ثورة الحارث بن سريج

٣) ابن الأثير ٤ /٣٠٩

وأتاحت هذه الصراعات بين العرب الفرصة لتقدم العناصر الفارسية ، التى كانت تعمل لمناصرة الدعوة العباسية تحت راية أبى مسلم الخراسانى ، وكان من السهل على قائدهم أن يزيد هوة الخلاف بين القوى العربيه الثلاث : المضرية واليمنيه والربعية ويجهض أية محاولة للتقريب بينها ، ثم بنفرد بمواجهة كل منها على حده ، وضاعت صيحة الوالى الأموى نصر بن سيار سدى وهو يحذر العرب من هذه الصراعات قائلا (١) :

أبلغ ربيعة فى مرو وفى يمن ... أن اغضبوا قبل أن لا ينفع الغضب
ما بالكم تنشبون الحرب بينكم ... كأن أهل الحجى عن رأيكم غيب
وتتركون عدوًّا قد أحاط بكم ... ممن تأشب لا دين ولا حسب
فمن يكن سائلاً عن أصل دينهم ... فإن دينهم أن تهلك العرب

موقف الخلافه من هذه العصبيات :

يرى البعض أن سياسة الدولة الأموية كانت تتجه إلى تشجيع العصبيات ، والعمل على توسيع هوه الخلاف بينها ، وتنحاز للقيسية تارة ولليمينية تارة أخرى لتضرب بعض العصبيات ببعض ، وتوهن من قوتها ، وتنفرد هى بالسيادة والسلطان .

وهذا التصور ليس صحيحا على إطلاقه ، فان السياسه الأموية وجدت هذه العصبيات ولم توجدها ، ونظرت إلى الواقع فحاولت

---

١) ابن عبد ربة : العقد الفريد ٤ / ٤٧٨ ، الدينورى : الأخبار الطوال ٣٠٧

أن تفيد منها وتوجهها لما يخدم مصالح الدولة ، وأجتهدت الى حد كبير فى كسر هذه العصبيات وايجاد نوع من التوازن بينهما ، ولم يكن أنتماء الأمويين الى الأرومة المضرية دافعا الى التعصب والانحياز لعنصرهم ، بل قدموا مصلحة الدوله أولا ، واعتمدوا على العناصر التى تبدى الإخلاص والولاء لهم بغض النظر عن أصلها ونسبها ، ولذا نجدهم فى كثير من الأحيان يقدمون اليمنية على أبناء عصبيتهم المضرية من قيس وخندف . وقد وضعت الدولة فى اعتبارها أن تقدم مصلحتها على كل اعتبار ، وأن تصطفى من العرب من يبدى استعدادًا لخدمة هذه المصلحة وبخاصة القبائل التى تمتلك القوة والعدد ، وتثبت إخلاصها فى الذود عن سلطانهم .

وسنجد الحديث عن السياسه الأموية إزاء العصبيات العربية يدفعنا الى الاستطراد قليلا لتتبع هذه السياسه فى ميادين أخرى كالشام والمغرب بهدف المقارنه ، وأول مايلفت نظرنا أن هذه السياسه الأموية سلكت فى كل ميدان وجهة تخالف ماسلكتة فى الميدان الاخر ففى الشام مستقر ملكها ومركز نفوذها عقدت آصرة قوية وتحالفا وطيدا مع قبيله كلب اليمنيه ، ودعمتها برباط المصاهره منذ عهد معاوية بن أبى سفيان ، فكانت هذه القبيله سلاحها ضد مناوئيها وملاذها عند محنتها ، وأتى هذا التحالف ثماره عند ما أهتز العرش الأموى عقب وفاة يزيد بن معاوية وأنبثقت الفتن فى أرجاء الدولة ، وتحقق لهم الانتصار الأول فى مرج راهط على القيسيه ، ثم أعقبة الانتصار الثانى على الزبيريين ، وقد عبر مروان بن الحكم عن أعتزازه بهذا التحالف مع اليمنية فقال (١) :

---

١) الطبرى ٧ / ٣٤

لما رأيت الأمر أمرًا نهبا بسرت غسان لهم وكلبا
لا يأخذون الملك إلا غصبا إن دنت قيس فقل لا قربا

ولكن الدولة لم تجفُ القيسية وتناصبهم العداء إلى الأبد ، بل عادت الى سياسة الموازنه عند ما خمدت الفتن واستقرت الأمور ، واتجهت الى تأليف القلوب فكان مروان بن الحكم متزوجا من قيسية ويمنية،، وكان بلاط عبد الملك بن مروان يضم زعماء القيسية مثل زفر بن الحارث وأبناءئة (١) إلى جوار زعماء اليمنية كابن الكلبى ، وروح بن زنباع الجذامى ، وقد وصف شاعر يمنى هذا الوضع الجديد فقال(٢)

فلولا أمير المؤمنين لأصبحت قضاعة أربابا وقيس عبيدها

أما فى الميدان المشرقى فقد اتجهت السياسة الأموية اتجاها آخر ، واضعة فى اعتبارها قوة الكتلة المضرية وكثرة عددها ، كما رأت أنها أكثر أستعدادًا من غيرها لنصرتها والارتباط بها ، لأن ربيعة التزمت جانب المعارضة والسخط الدائم ، وتأخر ظهور الأزد فى العراق وايران الى نهاية عهد معاوية وبداية عهد أبنه يزيد ، فكانت تميم فى الفتره السابقه لظهورهم ركيزه النفوذ الأموى فى المشرق ، وكان زعيمها الأحنف بن قيس من رجال معاوية المقربين ، واحتفظت تميم بهذا الدور بعد ذلك وبخاصة بعد اهتزاز الثقه الأموية فى الأزد بعد ثورة يزيد بن المهلب ، وكانت تميم أول المتصدين لحركات المعارضة مثل ثورات ابن الأشعث وقتيبه بن مسلم ويزيد

---

١) آنظر نبيه عاقل ١٦٠
٢) الطبرى ٧ / ٤٣

ابن المهلب وغيرهم (١)

ولكن الدولة الأموية لم تقدم المضرية مطلقا ، ولم تضع تميم في مركز الصدارة برغم دورها الكبير في نصرتها ، وذلك التزامًا منها بسياسة التوازن ، فجعلت الإمارة في قيس دونها حتى لا تجتمع لها السلطة السياسية الى جانب القوة العسكرية والكثرة العددية ، واتجهت الخلافة الى اختيار الولاة القيسية من البطون الضعيفة ذات العصبية القليلة في إيران مثل باهلة ، وكنانة ، وعندما اختار الخليفة هشام بن عبد الملك نصر بن سيار الكناني نبهه بعض رجاله الى أن عشيرته بخراسان قليله ، فقال الخليفة : " أتريد عشيرة أكثر مني ؟ أنا عشيرته" (٢) ، وكان مقصد الخلافة من هذا الاختيار أن يعتمد الولاة على الحكومة المركزية أكثر من عصبياتهم .

وكان كثير من الولاة ينساقون وراء عصبياتهم ويضطهدون من دونها ، وكان هذا مسلكاً شخصيًا صادرًا عنهم ، ولم تكن الخلافة تشجع هذا الاتجاه ، بل كانت تسعى لمقاومته ، وتبادر إلى عزل الولاة الذين يغالون في عصبياتهم مثل الجراح بن عبد الله الحكمي الذي عزله عمر بن عبد العزيز سنة ١٠٠ هـ ، والجنيد ابن عبد الرحمن الذي تولى خراسان من سنة ١١١ الى ١١٦هـ ، ولم يستعمل إلا مضريًا (٣) .

---

١)سنشير الى هذه الثورات في فصل تال .
٢) الطبري ٨ / ٢٥٨
٣) الطبري ٨ / ٢٠٥

وكانت الخلافه تعمل على كسر احتكار القيسية للزعامة والإمـــرة فأشركت معهم اليمنية منذ عهد عبد الملك بن مروان بتولية المهلب على خراسان سنة ٧٩هـ، وتولية ابنه يزيد في عهد سليمان بن عبد الملك سنة ٩٧هـ ، كما قام هشام بن عبد الملك بعزل والي العراق عمر بن هبيرة الفزاري سنة ١٠٥ هـ واستعمل خالد بن عبد اللـه القسري ، واليمنية يعدون خالدًا وقبيلته منهم ، كما عزل يزيد بـن الوليد والي العراق يوسف بن عمر الثقفي وولي مكانه منصور بـن جمهور الكلبي سنة ١٢٦هـ ، وأمره أن ينكل به وبرجاله ، والمعروف أن ابن هبيرة ويوسف بن عمر كانا من غلاة القيسية ، وقد تكـون لهذا العزل أسباب أخرى الى جانب المغالاة في العصبية ، ولكـن الظاهره التي نريد إثباتها هنا هي اشراك اليمنيه وسعي الخلافـه إلى الموازنه بين العصبيات.

وما يقال عن انحياز الخليفة يزيد بن عبد الملك (١٠١-١٠٥هـ) للقيسيه ينقصه كثير من الدقة ، لأن اعتماده عليهم ونبذه لليمنيـة كان بسبب ثورة المهالبة العنيفة ضده ، وتهديدهم لسلطانه ، وليس نابعًا عن تعصبه لقومه وانحيازه لهم ، ولا يمثل سياسة مدبرة لتقليص نفوذ اليمنيه وإقصائهم ، بدليل أنه في الشام لم يتبع نفس السبيـل واعتمد على اليمنيه كلية ، واتخذ منهم معظم جيشه الذى وجهه لقتال المهالبة ، وكان الذى قتل يزيد بن المهلب رجل منهم يسمى القحل الكلبي.(١)

وأما في المغرب ـ استكمالا لجوانب القضية ـ فكانت الخلافـة

---

١) ابن الاثير ٤/ ١٧٣

فى البداية تولى عمالا من القيسية ، وكانوا يوفدون من الشام على رأس الجيوش القادمة لإخضاع الثائرين والمنشقين، فكانوا بذلك يملكون القوة العسكرية فى أيديهم، وكان بعضهم شديد المغالاة فى عصبيته مثل كلثوم بن عياض وابن أخيه بلج بن بشر ، ولكن اليمنيه كانوا يشكلون غالبية العرب فى المغرب، واستطاعوا بذلك أن يفرضوا وجودهم ويتصدوا لتعصب القيسية، ويجبروا الخلافة على تعديل سياستها نحوهم، وكان من نتيجة الخلاف الذى وقع بين اليمنية وكلثوم بن عيامن وابن أخيه انهزام الفريقين أمام البربر سنه ١٢٤ هـ فى موقعتى الأشراف وبقدورة ، وفقدت الخلافه سلطانها على المغرب الأقصى ، وكادت أن تفقد نفوذها فى المغرب الأدنى أيضاً . (١)

وفى الأندلس أيضا تصدى اليمنيه للنفوذ القيسى ، وأعلنوا أستياهم من تتابع الولاة القيسية ، وقال زعيمهم أبو الخطار حسام أبن ضرار الكلبى أبياتا يعاتب فيها بنى أميه ويذكرهم بما قامت به اليمنيه من أجلهم فقال (٢)

أفاءت بنو مروان قيساً دماءنا ... وفى الله إن لم تعدلوا حكم عدل
كأنكم لم تشهدوا مرج راهط ... ولم تعلموا من كان ثَمَّ له الفضل
وقيناكم حر القنا بنحورنا ... وليس لكم خيل تعدُّ ولا رجل

---

١) ابن عذارى : البيان المغرب " ط بيروت " ص ٥٦ ، ٥٧
٢) ابن الاثير ٤ / ٢٦٠

وكان هذا النداء حافزاً لأن تعيد الخلافة حساباتها ، والنظر في سياستها ، وقال العباس بن الوليد - ابن أخى الخليفة - للخليفة هشام بن عبد الملك : " يا أمير المؤمنين ليس يصلح هذا الأمر إلا بما صلح به أوله ، فاصرف نظرك وحسن رأيك إلى هذه القحطانية"(1) واستجاب الخليفة لهذه المشورة وولى اثنين من اليمنية على المغرب والأندلس وهما حنظلة بن صفوان الكلبى ، وحسام بن ضرار سالف الذكر.

وهكذا لا يمكننا أن نتابع الرأى القائل بتعصب الخلافة الأموية وإيثارها القيسية ، وتشجيعها للخلافات العصبية ، ونرى أنها على العكس من ذلك تبذل الجهد لإيجاد نوع من الموازنة التى تحقق الاستقرار والمصلحة ، وتحاول أن تؤلف القلوب وترضى جميع الأطراف وبخاصة التى تتمتع بالقوة وتمثل الغالبية .

---

1) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ص ١٧

الفصل الثانى

الموالى الايرانيــون

الفصل الثاني

الموالي الإيرانيون

العلاقة بين الموالي والعرب :

لم يكن للإيرانيين موقف معادٍ للوجود العربي ، إذ أنهم بدأوا بعد فتح بلادهم صفحة جديدة ، وانتقلوا من مرحلة إلى أخرى ، وأقبل كثير منهم على اعتناق الاسلام عن اقتناع ورغبة ، ولم تترك المقاومة العنيفة التى أبدوها أمام الفاتحين العرب آثاراً عدائية ، فلم يحدث منهم أن تكتلوا ضد العرب ، أو حاولوا طردهم من بلادهم وبخاصة أن العرب لم يتدخلوا فى شئونهم الدينية ، وسمحوا لمن أراد أن يبقى على دينه الأول بممارسة شعائره بكل حرية ، ولم يلزموهم الا بالجزية ، وهى أقل بكثير مما كان يلزمهم به ملوك الفرس من ضرائب متعددة .

ولا تمثل عملية اغتيال الخليفه عمر بن الخطاب حركة تمرد قومى ولا تعبر عن شعور عام من الإيرانيين ، ولا تعدو أن تكون عملا فرديا صدر عن نفس حاقدة ، حتى لو افترضنا أن خلفها فرداً أو عددا قليلا من المحرضين .

وقد أفاد الإيرانيون الذين اعتنقوا الإسلام من الامتيازات التى يتمتع بها العرب ، فأعفوا من الجزية والالتزامات المالية - الا فى بعض الأحوال الاستثنائية التى لا تمثل الاتجاه العام ، والتى سنشير إليها فى مواضعها - وأشركوا فى الفتوحات والعطاء ، ونالوا

نصيباً من المغانم، كما أنهم احتفظوا بمناصبهم فى الإدارة المحلية وشئون الجباية، وظل كثير من دهاقينهم ومرازبتهم فى مراكزهم القيادية.

وأفاد الإيرانيون من اتجاه العرب إلى النشاط الحربى والحياة العسكرية، وانصرافهم عن الزراعه والصناعات، فبقيت الأرض الزراعية فى أيديهم يقومون على فلاحتها والإفادة من خيرها مقابل الخراج الذى وضعه الإسلام على الأرض المفتوحة، وكان الأصل أن توزع الأرض المفتوحة عنوة على المقاتلين مثل الغنائم، ولكن اجتهاد عمر بن الخطاب ونظرته إلى مصلحة الدولة، والحرص على دخل ثابت لبيت المال، والاحتفاظ بنصيب للأجيال القادمة، والرغبة فى تأليف قلوب الأمم المفتوحة، جعله يوقف الأرض المفتوحة بعلوجها للمسلمين عامة، ويضع عليها الخراج(١)، وقد ارتضى المسلمون هذا الاجتهاد ولم يفكروا فى تغييره بعد ذلك، مما يدل على تسامحهم، وحرصهم على الاحتفاظ بعلاقات طيبة مع غيرهم من الشعوب التى شاركتهم فى الإسلام.

وقد اعتبر العرب هؤلاء الموالى الذين دخلوا فى الإسلام أخوة لهم فى الدين، ولم يقبلوا أن يسترقوهم أو يعتبروهم أسرى حرب بل منوا عليهم بالحرية، وأوصلوا إليهم دعوة الإسلام فأخرجوهم من ظلام الشرك إلى نور الإيمان، وألحقوهم بقبائلهم، وأحسنوا

---

١) أبو يوسف : كتاب الخراج - دار المعرفة فى بيروت - ص ٢٨

معاملتهم، وأسموهم بالموالي من الولاء والارتباط، وقد عدّد صاحب العقد الفريد(١) الامتيازات التي أعطاها العرب للموالي فقال إنها العتاقة، والإحسان إليهم، واستنقاذهم من الكفر، وإخراجهم من دار الشرك إلى الإيمان، والتعرض للقتل فيهم، أي الدفاع عنهم حتى بذل أرواحهم في سبيل حمايتهم.

ونضيف إلى ذلك أن إلحاق الموالي بقبائل العرب، يدل على سماحة العرب، وقبولهم أن يندمج معهم هؤلاء الموالي، ويشاركوهم في أنسابهم وهي أغلى مايعتز به العربي في ذلك الوقت، وبذلك اكتسب الموالي حقا آخر وهو المشاركة في الجهاد والغزو مع القبائل التي التحقوا بها، وكان إقبال الموالي شديدًا على هذا الالتحاق وأبدوا إخلاصا كبيرًا في انتمائهم للقبائل التي أُلحقوا بها، وشاركوا في نصرتها والدفاع عنها كأبنائها، كما أنهم أقبلوا على التشبه بالعرب والتسمي بأسمائهم.

ولا يُعَدُّ الولاء منقصة، أو حطاً من القدر الاجتماعي، بل يعطي صاحبة شرفا لا يقل عن شرف النسب، يقول أبن خلدون (٢) :

" إن الشرف بالأصالة والحقيقة إنما هو لأهل العصبية، فإذا اصطنع أهل العصبية قومًا من غير نسبهم أو استرقوا العبدان والموالي، والتحموا بهم - كما قلناه - ضرب معهم أولئك الموالي والمصطنَعون بنسبهم في تلك العصبية، ولبسوا جلدتها كأنها عصبيتهم، وحصل لهم من الانتظام في العصبية مساهمة في نسبها، كما قال صلى

---

١)أبن عبد ربة ٣/ ٤١٢ (٢) مقدمه ابن خلدون، الجزء الاول من كتاب العبر - ط بيروت - دار الكتاب اللبناني سنة ١٩٨٣ - ص٢٣٧

الله عليه وسلم : " مولى القوم منهم" ، وسواء أكان مولى رق أو مولى أصطناع وحلف" .

ولو كان فى الولاء مهانة وتحقير ما أقبل عليه الإيرانيون هذا الإقبال ، وماتركوا قراهم وأرضهم ليلتحقوا بالقبائل العربية فى الكوفة والبصرة وخراسان ، ومناطق الثغور ، ولكن الولاء كان يفتح أمامهم أبواب الجندية والمشاركة فى الجهاد ، وهى فى ذلك الوقت طريق المجد والشرف والكسب المادى .

وكان الأعاجم يسعون إلى هذا الولاء ، ويختارون بأنفسهم فى كثير من الأحيان - القبائل التى يرتضون الالتحاق بها ، ومنهم سكان السواحل الجنوبية فى إيران ، فى مكران وكرمان وفارس ، وهم عدة طوائف منها الأساورة والزط والسيابجة ، ورحل الأساورة إلى البصرة وعلى رأسهم زعيمهم شيروية الاسوارى ، وسألوا عن أى أحياء البصرة أقرب نسبًا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقيل لهم بنو تميم ، فدخلوا فى ولاء أحد بطونهم وهم بنو سعد ، وأما الزط والسيابجة فدخلوا فى ولاء بطن آخر من تميم هم بنو حنظلة (١) وقد استعانت تميم بمواليها هؤلاء فى صراعهم ضد الأزد ، وعبأ الأحنف بن قيس جماعة من الأساورة لمؤازرته ضدهم (٢) .

لقد وجد الفريقان - عربًا وإيرانيين - فى الولاء الذى كان معروفا عند العرب منذ الجاهلية ، بداية حسنة لعلاقات اجتماعية ، وحلاً

---

١) البلاذرى : فتوح البلدان ٣٦٦
٢) البلاذرى : أنساب الأشراف - القسم الثانى من الجزء الرابع ص١١٢ .

لمشكلة اختلاف العناصر المسلمة التي تعيش في أرض واحدة ، وكان الموالي مثل العرب يحترمون هذه الرابطة ، ويفون بالتزاماتها ولم نسمح أبداً أن موالي قبيلة قد انشقوا عليها ، ونبذوا ولاءها ، أو رأوا فيه منقصة يجب أن يتخلصوا منها ، وكان حيان النبطي[1] وهو من الديلم ، وزعيم الموالي في خراسان ، وأحد كبار القادة في الجيش الخراساني - برغم شدة أنفتة وأعتزازه بنفسه ونفوره من التبعية يفخر أنه مولى مصقلة من بني شيبان ، وعندما كان يكتب الى ابن الوالي مخلد بن يزيد بن المهلب يصر على أن يبدأ بنفسه ويقول : من حيان مولى مصقلة إلى مخلد بن يزيد[2] .

وإذا كانت السيادة في أيدي العرب ، بمعنى أنهم احتفظوا بالمناصب العالية والمراكز القيادية الأولى ، فإن الوضع الطبيعي في أي نظام أن أصحاب السبق والبلاء فيه يصبحون في المرتبة الأولى ، وبهذا المقياس كانت قريش مقدمة عند العرب ، وكان المهاجرون والأنصار أصحاب المنزلة الرفيعة في الإسلام ، وبقي العرب في الصدور الأول من الاسلام يتقدمون الأمم الأخرى حديثة العهد بالإسلام ، حتى تتمرس به وترسخ أقدامها فيه ، ولكن العرب لم يوصدوا دونهم الأبواب ، ولم يحولوا دون مشاركتهم في القيادة ومساواتهم بالعرب ، وفي الفترات التي وقع فيها بعض الظلم بهؤلاء

---

١) سيأتي ذكره في مواضع أخرى أكثر تفصيلا .

٢) الطبري ٨ / ١٢٤ .

الموالى ، كان العرب أشد حماساً منهم فى الدفاع عنهم ، ومطالبة الإداره الأموية برفع المظالم عنهم ، كما سنرى فى حديثنا عن حركات المعارضه فى فصل تال .

ولم يحل العرب دون مشاركة الموالى فى الجهاد والفتح ، بل حاربوا معهم جنبًا إلى جنب ، وأشركوهم معهم فى كل الأحداث حتى فى حركات المعارضة والثورات التى قامت ضد الأمويين .

التمازج الاجتماعى بين العرب والموالى :

لم تمنع حياة العرب العسكرية وارتباطهم بالحصون ومناطق الثغور من الاختلاط بالإيرانيين ، وكان لكثير منهم أرض وإقطاعات وأهل فى القرى الإيرانية ، وتزوج الكثير منهم من نساء فارسيات ، وتشبهوا بالفرس فى كثير من عاداتهم وأعيادهم وزيهم ، وساعد الولاء على الالتحام الاجتماعى والتمازج بينهم .

وتوثقت اللحمة وزادت الوشيجة مع تعاقب الأجيال ، وظهرت أجيال جديدة من المولدين الذين شاركوا فى الحياه السياسية والثقافية بصورة واضحة .

وإذا كان هناك متعصبون من العرب فواضح أنهم قلة ولذلك أفرد لهم ابن عبد ربه باباً أسماه " باب المتعصبين من العرب " ، وفى المقابل نجد أيضا فريقاً متعصباً من الفرس ، كانوا يعتبرون أنفسهم أبناء الأحرار ، ويعتبرون العرب أبناء الإماء لأنهم من نسل هاجر أم أسماعيل عليهما السلام ، وكانوا يقدحون فى

صحة أنساب العرب ويشككون فى نقائها (١) .

ولكن هذا التعصب لا يمثل القاعدة العامة فى العلاقة بين العرب والايرانيين ، كما أنه يخف حدة فى المناطق التى يتعايش فيها الفريقان جنبا الى جنب مثل الكوفة والبصرة ، ويتضاءل حتى يكاد يتلاشى فى المناطق الايرانية التى يمثل الفرس غالبية سكانها

ولذلك نجد عرب خراسان أكثر تعاطفا مع الإيرانيين ، وأكثر أهتماما بالدفاع عنهم ، وعندما أبدى معاوية رغبتة فى التخلص من بعض الايرانيين الذين يكثرون فى البصرة ، ويسمون الحمراء خوفا من وثبتهم على السلطان ، قال لـه زعيم تميم الأحنف بن قيس :
" أرى نفسى لا تطيب بقتل أخى لأمى وخالى ومولاى ، وقد شاركناهم وشاركونا فى النسب" (٢) ، ومازال به حتى صرفه عن هذا الرأى ، ، وواضح من قوله مدى التمازج الاجتماعى حتى صار منهم الأخ لأم والخال واتصلت الأنساب بالمصاهرة والولاء .

وظهرت آثار التمازج والمخالطة الاجتماعية فى كثير من القادة العرب مثل عبيد الله بن زياد الذى تزوجت أمه مرجانه - وكانت جارية - من قوم من الفرس المستقرين فى البصرة يسمون الأساورة (٣) فنشأ بينهم ، وظهر تأثير هذه النشأه فى لهجته فكان يتحدث بلكنة فارسيه (٤)

---

١) ابن عبد ربه ٣ / ٤٠٩ ، ٤١٢
٢) ابن عبد ربه ٣ / ٤١٣
٣) سبقت الاشاره اليهم .
٤) الجاحظ : البيان والتبين - تحقيق عبد السلام هارون - الطبعه الرابعه فى بيروت - حـ ١ ص ٧٢ ، ٧٣

وكان قتيبة بن مسلم الباهلي والى خراسان قد أنجب من أم ولد فارسية تسمى " عبهر" وعندما توفى رثاه الشاعر عبد الرحمن الباهلي بقوله : (١)

فما رزىء الإسلام بعد محمد بمثل أبى حفص(٢) فبكيه عبهرا

وكان كثير من سادة العرب وزعمائهم فى البصرة يخالطهم الدم الفارسى ، ومنهم الحكم بن المنذر بن الجارود كان جده فارسيًا من جزيرة كاوان ، ثم هاجر إلى ساحل العرب فانتمى إلى عبد القيس، وأبو حاضر الأسدى كانت أمة أصطخرية ، وزياد بن عمرو كان ينتمى إلى أهل كرمان ، وكان مصعب بن الزبير عند أستيلائه على البصره يعيرهم بهذا النسب(٣) .

وكانت زوجة نصر بن سيار آخر الولاة الأمويين فى خراسان تدعى المرزبانة بنت قديد (٤) ، وهذا الاسم يشير إلى أنها فارسية أو على الأقل يدل على انتشار الأسماء الفارسية بين عرب خراسان.

وكان التمازج الاجتماعى يتزايد على مر الأيام، وبالتالى كانت نظرة العرب الى الموالى تتطور الى الأفضل ، فكان العرب ينتقصون من شأن الهجين وهو الذى ينحدر من أب عربى وأم أعجمية ، ولذلك كان بنو أمية فى بداية عهدهم لا يستخلفون أبناء الإماء ويقولون : " لا تصلح لهم العرب" ، ولم يولوا مسلمه بن عبد الملك - رغم صفاته

---

١) أبن الأثير ٤ / ١٤٣ (٢) كنية قتيبه بن مسلم.

٣) البلاذرى : أنساب الأشراف - القسم الثانى من الجزء الرابع ص ١٦٢

٤)الطبرى ٩ / ٥٣

العظيمه - لأن أمه أم ولد أعجميه (١) ، ولكن هذا الاتجاه أخذ يتلاشى ، ولم يكن الدم الفارسى مانعًا من استخلاف يزيد بن الوليد سنة ١٢٦هـ ، وأمه شاه فرند بنت فيروز بن يزد جرد بن شهريار بن كسرى ، وهى تتصل أيضا بالنسب إلى قياصرة الروم وخاقانات الترك وكان هذا النسب المتعدد مثار فخر الخليفة إذ يقول (٢)

أنا ابن كسرى وأبى مروان   وقيصر جدى وجدى خاقان

ومن مظاهر هذا التطور فى النظرة الاجتماعية للموالى إقبال بعض العرب على تزويج بناتهم من الموالى ، وقد ذكر ابن عبد ربه (٣) أن رجلا من عبد القيس فى منطقة البحرين استضاف مولى يسمى أحمد ابن عبد العزيز ، فأبدى رغبته فى تزويجه مع علمه أنه مولى .

وكان المتعصبون من العرب لا يكنون الموالى بالكنى التى تعتبر دليل تقدير واحترام ، ولا يدعونهم إلا بالأسماء والألقاب (٤) ، ولكن المساواة كانت تفرض نفسها مع الزمن ، ونجد مسلمة بن عبد الملك وهو من بيت الخلافة - بوقر حيان النبطى القائد الديلمى ويكنيه بأبى سليمان (٥)

وكان العرب يصرون أن تخطب بنات مواليهم عن طريقهم ، فلا يتقدم الخاطب إلى أبيها ولا أخيها ، وإنما يتقدم إلى مواليها فإذا رضوا زوج ، وإلا رد (٦)

---

١) ابن عبد ربه ٣ / ٤١٦
٢) الطبرى ٩ / ٤٦ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٢٣
٣) العقد الفريد ٣ / ٤٠٨ ، ٦ / ١٣٤ ، ١٣٥
٤) ابن الأثير ٤ / ١٧٠
٥) ابن عبد ربه ٣ / ٤١٣
٦) ابن عبد ربه ٣ ٤١٢

ويرى البعض أن هذا الأمر فيه احتقار وانتقاص من قدر الموالي ، ولكنه في حقيقة الأمر يدل على شعور العرب بالمسئولية نحو مواليهم وما داموا قبلوا أن يشركوهم في أنسابهم فمن حقهم أن يقولوا رأيهم في الخاطب الذي سيرتبط بهم عن طريق المصاهرة .

ويرى البعض أن العرب كانوا يحقرون الموالي الذين يشتركون معهم في القتال فلا يسمحون لهم بركوب الدواب ، ولا يقاتلون الا مترجلين ، ولم نجد في المصادر التي رجعنا اليها مايمكن أن يُفهم منه حمل الموالي على الترجل إلا ماورد على لسان أشراف الكوفة الذين سخطوا على المختار بن أبي عبيد الثقفي تقريبه للموالي واعتماده عليهم فقالوا : " لقد أدنى موالينا فحملهم على الدواب وأعطاهم فيئنا " (١)

وهذا القول لا يدل بالقطع على أنهم كانوا قبل المختار يحاربون مترجلين ، وأنه أول من حملهم على الدواب ، وانما هو تعبير بلاغي يدخل في باب الكناية ، ويقصد به أنه أتخذهم جنداً ، وجعل منهم جيشه ، والترجل عند العرب لا يعتبر عارا ، لأن كثيرا منهم كانوا يحاربون مترجلين ، ويعدون ذلك مثار فخر ودليل شجاعة ، فإذا حمي الوطيس عقروا خيولهم وحاربوا مترجلين (٢)

---

١) الطبري ٧ / ٦٦ ابن الاثير ٣ / ٣٦٥ (وبين المصدرين أختلاف يسير في العبارة ، وسنعرض لقضية حرمان الموالي من العطاء بعد قليل .

(٢) ذكر ابن الاثير (٤ / ٢٣٢) أن عشرين الفا من الخوارج بقيادة بهلول بن بشر عقروا دوابهم ، وترجلوا فقاتلوا قتالا شديدا .

وهذا الاتهام الذى حاول البعض أن يلصقه بالعصر الأموى كان من سمات العهد الساسانى السابق للاسلام، وكان أهل القرى والحراث يشكلون فرقة المشاة فى الجيش الفارسى ويحاربون بلا أجر ولا عطاء.(١)

ونال كثير من الموالى مكانة عظيمة فى المجتمع الجديد تدانى مكانة أمثالهم من العرب ورعى العرب أقدار كبارهم، وأنزلوهم المنازل اللائقة بهم، منذ العهد الأول للفتح، فقد عفا عمر بن الخطاب عن الهرمزان أمير تستر الذى وقع أسيرا فى أيدى المسلمين سنة ١٧ هـ، وأنزله المدينة بعد إسلامه وفرض له ألفين (٢) وأبقى العرب كثيرًا من الدهاقين والمرازبة فى مناصبهم، مثل دهاقين بلخ الذين كانوا يرافقون قتيبة بن مسلم فى فتوحاته (٣) ومرزبان مرو الذى كان من رجاله المقربين (٤)، ودهقان هراة الذى كان خصيصًا بأسد بن عبد الله القسرى يشير عليه، ويؤاكله ويمازحه. (٥)

ومن أصحاب المنزلة الرفيعة فى البصرة فيروز حصين، وهو من سبى سجستان (٦)، وكان يُنسب إلى سيده حصين بن أبى الحر بن مالك العنبرى، وكان معاصرًا للحجاج بن يوسف، وقال

---

١) محمود شيت خطاب : قادة الفتح فى بلاد فارس ص٤٧
٢) أبن الاثير ٢ / ٣٨٥ ، وأنظر الخراج لابى يوسف ٣٢
٣) الطبرى ٥٩
٤) الجاحظ : البيان والتبيين ٢ / ٤٣
٥) أبن الاثير ٤ / ٢٣٤
٦) البلاذرى : فتوح البلدان ٣٨٧

عنه ابن قتيبة إنه أعظم مولى بالعراق قدرًا ، وقد ولي الولايات[1] وبلغ من مكانته في البصرة أن جواره كان يُشترى بالمال ، وكان له جار من بني دارم عرض داره للبيع فقال :
" أبيعها بعشرة آلاف درهم ، خمسة آلاف ثمنها ، وخمسة آلاف لجوار فيروز ، فبلغ ذلك فيروز فأكبره وقال له : أمسك عليك دارك وأعطاه عشرة آلاف درهم من عنده[2] .

وممن احتفظوا بمكانة اجتماعية عظيمة طوائف الأساورة والزط والسيابجة سكان السواحل الجنوبية من إيران ، فقد اتصلوا بالمسلمين منذ عهد الفتح الأول وحصلوا لأنفسهم على أمان بشروط طيبة وافق عليها قائد المسلمين أبو موسى الأشعري وصدّق عليها الخليفة عمر بن الخطاب ، فسمح لهم أن ينزلوا مايشاءون من البُلدان ، وأُلحِقوا بشرف العطاء ، وحُفِر لهم نهر في البصرة سمى بنهر الأساورة ، ويقال إن الوالي عبد الله بن عامر حفره لهم[3] وبقوا على ذلك حتى عهد الحجاج ، فأسقطهم من العطاء لمشاركتهم في الفتن التي وقعت بين العرب مما يعتبر نقضا لعهدهم ، على ما سنذكر .

وكان كثير من الموالي يصرون على معاملة العرب معاملة الأنداد ولو كانوا من الولاة والأمراء ، فكان حيان النبطي يبدأ بذكر

---

١) الجاحظ : البيان والتبيين ٢ / ٤٣
٢) البلاذري : فتوح البلدان ٣٤٧
٣) البلاذري : فتوح البلدان ٣٦٦

نفسه في مكاتباته لابن الوالي خالد بن يزيد بن المهلب، مما أحفظ الوالي عليه فأغرمه مبلغا من المال، ولم يقبل أن يسخر منه العباس ابن الوليد بن عبد الملك للكنته الفارسية، حين قال له إنك بالنبطيه أعلم منك بالحرب، ورد عليه قائلا : " أنبط الله وجهك أشقر أحمر، ليس إليه طابع الخلافة"، ووصفه بالحمق، ولم يهدأ حتى أسترضاه مسلمه بن عبد الملك وطيب خاطره قائلا :
" ياأبا سليمان لا يهولنك كلام العباس" (١)

وظهرت آثار التلاحم الاجتماعي في اللغة واللهجة، فأصبحت الفارسية لغة تعامل في أسواق الكوفة والبصرة اللتين أقبل عليهما الموالي بأعداد كبيره وأستقروا فيها (٢) ، وكان العرب يستخدمون في حديثهم إلكلمات والعبارات الفارسية، فكان قتيبه بن مسلم يقول في مجال الفخر بنفسه : إن أبي كان أشتر بان، و أبا يزيد (ابن المهلب) كان بستان بان " يقصد أن أباه كان صاحب إبل دليل على تأصله في العروبة، وأن أبا يزيد كان صاحب بستان وهي من خصائص الفرس. (٣)

وكانت اللغة الفارسية هي السائدة في جيش المختار بن أبي عبيد الذي يمثل الموالي سواده الاعظم (٤) كما كانت غالبة في جيش أبي مسلم الخراساني .

---

١) كابن الاثير ٤ / ١٧٠
٢) ولهاوزن ٤٦٧
٣) الجاحظ : البيان والتبيين ٢ / ٨٢
٤) الدينوري : الاخبار الطوال - تحقيق عبد المنعم عامر - مكتبة المثنى في بغداد - طبعة بالاوفس - ص ٣٩٥

ولم يكن هناك عوائق تحول دون تقدم الموالى فى مجال التجارة والمال ، وتكوين الثروات الضخمة ، ومنهم أبو جهير الخراسانى ، كان يعمل فى التجارة وبخاصة بيع الدواب فى خراسان ، وكان له شركاء فى الأهواز والمدائن ، وكان الحجاج بن يوسف يشترى منه [١] وكان كثير من الفرس ينزحون من القرى إلى المدن للعمل فى الصناعة والتجارة [٢] ، وإن كان الحجاج قد وضع قيودًا على هذه الهجرة إلا أن هذه القيود لم تستمر طويلاً من بعده .

وتعاطف كثير من العرب مع الموالى ، وتحمسوا لمطالبهم ، وكانوا يبكون لما حل بهم من مظالم الحجاج ، وبخاصة قراء البصرة وانحازوا إلى ثورة ابن الأشعث من أجلهم [٣].

الدولة الأموية والموالى :

صور فريق من المؤرخين وفى مقدمتهم فان فلوتن [٤] وبوليوس فلهاوزن [٥] العصر الأموى على أنه عصر السيادة العربية ، وتسلط العرب على العناصر الأخرى ، كما صوروا هذا العصر على أنه عصر المظالم بالنسبة للموالى ، وأنهم كانوا محرومين من معظم الحقوق والامتيازات التى يتمتع بها العرب ، و يئنون تحت وطأة أوضاع

---

١) الجاحظ ١ / ١٦١ (٢) نبيه عاقل ٢٨٢

٣) أبن عبد ربه ٣ / ٤٠٩ ، ٤١٢

٤) فى كتابه السياده العربيه والشيعة والاسرائليات فى عهد بنى أمية

٥) فى كتابة تاريخ الدولة العربيه من ظهور الاسلام الى نهاية الدوله الأمويه .

اقتصادية سيئة ، والتزامات مالية مجحفة .

كما صوروا الدولة الأموية على أنها دولة دنيوية لا يعنيها كثيرًا الالتزام بمبادئ الإسلام التى تؤكد المساواة والعدالة بين أبناء الدين الواحد ، ولم يُسمح للموالى بالمشاركة السياسية والقيادية إلا فى العصر العباسى الذى برزت فيه عناصر وقوميات أخرى غير العرب .

وحاولوا أن يصوروا أيضا أن هناك تحالف مصلحة بين الإدارة العربية والطبقة البرجوازية من الدهاقين والإقطاعيين الايرانيين الذين حَرَصوا على الاحتفاظ بمكاسبهم عن طريق خدمة الإدارة العربية على حساب عامة أبناء جنسهم المطحونين ، وهو تصور لا يعكس روح العصر الذى وقعت فيه الأحداث ، وإنما ينظر إليه من خلال منظور حديث يحاول تفسير التاريخ على أنه صراع بين الطبقات .

وقد ناقش بعض هذه الآراء وفندها بعض المحدثين مثل المستشرق ليفى دللا فيدا [1] الذى رفض رأى فلهاوزن فى أن أمر الدين كان ثانويا فى محاولة الأمويين التمكين من سلطانهم ، وأكد أن انتصار الحركة العربية فى عهدهم إنما تم تحت لواء الدين كما جاء به القرآن الكريم ، وقال : " إن خلفاء بنى أمية كانوا يؤمنون فى قرارة نفوسهم أن انتشار الدين ونمو سلطانهم السياسى صنوان

---

١) دائرة المعارف الاسلامية مادة بنى أمية جـ ١ ص ٦٦٦ وما بعدها .

لا يفترقان" ، وأنه " من المبالغه أن ندّعى على بنى العباس أنهم صبغوا العالم الإسلامى بالصبغة الفارسية ، فالحقيقة أن أسرة الخلافة بقيت عربية ، وظل ولاة الاقاليم وقواد الجيش يُختارون من العرب مدة تقرب من قرن" ، ثم يبين الكاتب أن صبغ الإسلام بالصّبغة الدولية ، بمعنى أن العرب لم يعودوا هم العنصر الوحيد الفعال فى تنظيم الدولة وترقية المدنية قد بدأ قبل العباسيين ، فى العصر الأموى عند ما سوت إصلاحات عمر بن عبد العزيز بين العرب والموالى.(١)

كما ناقش أستاذنا الدكتور أحمد شلبى(٢) كثيرا من الافكار الشائعة عن العصر الاموى ، وبيّن حقيقة الامر فيها ، ثم قال : " لقد اتهموا الامويين بأنهم حكام عرب وليسوا حكامًا مسلمين ، واستدلوا على ذلك بأنهم اضطهدوا الموالى ، والعجيب أنه وجد بين المؤرخين الاوربيين من جذبه هذا الرأى مثل ولهاوزن الالمانى ، ولكن هذا الاتهام لا يقوى أمام النقد البرىء ، وأمام الدراسة العميقه" .

لم يكن من المستطاع أن يتبوأ الموالى مكانتهم فى الصفوف الاولى منذ اليوم الاول ، ولا يمكن أن يتسلموا زمام القيادة بمجرد إسلامهم ، ولكن الباب لم يكن موصدا دون تقدمهم ، وشهد العصر الاموى كثيرًا من التفاعلات والصراعات شارك فيها العرب كما شارك فيها الموالى

---

١) المرجع السابق ٦٦٧

٢) موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلاميه : الجزء الثانى : الدولة الاموية - الطبعة الرابعة - ص ١٩

وأصحاب الفرق المختلفة، من خوارج وشيعة، وكل فئه تحاول أن توجه المسار لصالحها، وتمسك بالزمام.

وكانت سياسة الدولة الأموية تجاه الموالي تتطور إلى الأفضل باستمرار، وكان تيار المساواة يفرض نفسه وينتصر على الاتجاه المتشدد الذي لا يرى إلا مصلحة الدولة، ويتجاهل كثيرًا من المبادئ الإسلامية وكان الموالي يغذون هذا التيار بكثرة عددهم وتزايد إقبالهم على الإسلام، حتى أصبحوا قوة لها وزنها، ولا يمكن تجاهلها أو هضم حقوقها.

وكان الموقف المتشدد الذي سلكته الإدارة الأموية في عهد الحجاج له أسبابه ودوافعه، فقد أقبل الموالي على المدن، وتدفقوا على الكوفة والبصرة بأعداد كبيرة وأصبحوا يشكلون الغالبية من سكانها، وتركوا قراهم وأرضهم مهددة بالبوار والخراب، مما يسبب تناقص الخراج بدرجة كبيرة، وهو المورد الأكبر الذي تعتمد علية ميزانية الدولة واقتصادها.

كما أن كثيرًا من هؤلاء الموالي النازحين اتجهوا إلى الجندية والمشاركة في النشاط العسكري مع القبائل التي التحقوا بها، وكان من السهل استقطابهم إلى حركات المعارضة، والثورات التي تهدد أمن الدولة وسلطانها، وظهر ذلك في انضمامهم بأعداد كبيرة إلى ثورتي المختار بن أبي عبيد وابن الأشعث (١)

---

١) سنتحدث عنهما في فصل تال.

وأراد الحجاج أن يحفظ للدولة أمنها الاقتصادى والعسكرى وبخاصة بعد أن رأى الموالى يشكلون الجمهور الأكبر والسواد الأعظم فى ثورة ابن الأشعث التى كادت أن تطيح به وبالعرش الأموى فأصدر قراره بحرمانهم من الجندية وإسقاط أسمائهم من ديوان الجند وردهم إلى أرضهم وقراهم، وقال لهم: " أنتم علوج وعجم وقراكم أولى بكم" ففرقهم وفض جمعهم كيف أحب، وسيرهم كيف شاء.(١)

وكان مسلك الحجاج المتشدد ينظر إلى مصلحة الدولة وحدها ولم يستطع الموازنه بينها وبين رعاية حقوق الموالى التى اكتسبوها بدخولهم فى الإسلام مما أثار عليه حفيظه كثير من العرب أنفسهم وبخاصة القراء والفقهاء.

ولكن الدولة الأموية لم تستمر على هذا الأسلوب العنيف، وحاولت إرضاء الموالى حتى لا يكونوا فى جانب المعارضة ضدها، واتجهت منذ عهد سليمان إلى الموازنة بين المصلحة والمثل وتخلصت من رجال الحجاج وأساليبهم العنيفة إلى أن جاء عمر بن عبد العزيز فقدم المبادىء على كل اعتبار، وحقق الموالى فى عهده مكاسب عديدة، وأمر عمر بإعفاء من أسلم من الالتزامات المالية من خراج وجزية دون قيد أو شرط، وقال: لا خراج على من أسلم من أهل الأرض".

---

١) ابن عبد ربة ٣/ ٤١٦

وواجه عمر مشكلة تناقص الأرض الخراجيه بإسلام أصحابها ، أوالتخلص منها ببيعها للمسلمين حتى تصبح أرضًا عُشرية ، فأصدر قرارًا باعتبار سنة مائة من الهجرة سنة فاصلة ، لا يجوز بعدها بيع الأرض الخراجية ، وأن من اشترى شيئًا منها بعد سنة مائه فإن بيعه مردود ، ولذلك سماها المسلمون سنة المدة [1] ، وبذلك أرضى الموالى ، وحافظ أيضا على المورد الرئيسى لبيت المال وهو الأرض الخراجية .

واهتم عمر بن عبد العزيز بشئون الإيرانيين بصفة خاصة ، وعمل على تحسين أوضاعهم ، والاستجابة إلى مطالبهم ، باعتبار بلدهم ثغرًا ، ومركزًا لحركات المعارضة المتعددة ، وكتب إلى عامل الخراج فى خراسان : " ليس من ثغور المسلمين ثغر أهم إلى ، ولا أعظم عندى منْ ثغر خراسان ، فاستوعب الخراج وأحرزه فى غير ظلم ، فان يك كفافا لأعطياتهم ، فسبيل ذلك ، وإلا فاكتب إلىَّ حتى أحمل لك الأموال فتوفر لهم أعطياتهم" ، ووجد العامل أن الخراج يفضل عن العطاء ، فأمره عمر أن يقسمه فى أهل الحاجة [2]

واهتم عمر بشكاوى الإيرانيين ورفع المظالم عنهم ، وجاءه واحد منهم مع وفد خراسان يدعى أبا الصيداء صالح بن طريف (أوطريق فى بعض المصادر) من موالى بنى ضبة ، وعبّر عن مطالب قومه فى إعفاء من أسلم من الجزية ، وفرض نصيب لهم من العطاء ، فقال

---

١) أنظر نبيه عاقل ٢٨٤ .
٢) نبيه عاقل ٢٩١

له عمر : " أحر بمثلك أن يوفد "، وكتب إلى عامله في خراسان : انظر من صلى قبلك إلى القبلة فضع عنه الجزية . (١)

ولم تقتصر إصلاحات عمر على المسلمين ، بل شملت أهل الذمة أيضا ، فكتب الى والي خراسان : " لا تضرب مؤمناً ، ولا معاهَداً سوطاً إلا في الحق ، واحذر القصاص فإنك صائر إلى من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور " (٢) ، ومنع عماله أن يأخذوا مايزيد عن الخراج من هدايا النيروز والمهرجان ومايقدم للعمال ، وأمرهم ألا يحملوا خرابا على عامر ، ولا عامرًا على خراب.

ولم يفقد الموالي الإيرانيون مكاسبهم التي حصلوا عليها في عهد عمر بن عبد العزيز ، ويبدو أن أوضاعهم استقرت منذ ذلك الوقت أما الشكوى التي ظهرت بعد ذلك فقد صدرت عن جماعات أخرى من الموالي هم أتراك ماوراء النهر و تركستان.

وقد تابع يزيد بن الوليد هذا الاتجاه الاصلاحي فألزم نفسه ألا يأخذ من خراج أي بلد إلا مايفضل عن حاجته ، ولا يرهق الرعايا بالأعباء المالية فقال : " لا أحمل على أهل جزيتكم ما أجليهم به عن بلادهم وأقطع نسلهم ، ولكم عندي أعطياتكم في كل سنه ، وأرزاقكم في كل شهر حتى تستدر المعيشة بين المسلمين ، فيكون أقصاهم كأدناهم " (٣)

---

١) الطبري ٨ / ١٣٤

٢) ابن الأثير ٤/ ١٥٨

٣) الجاحظ : البيان والتبيين ٢ ١٤٢

وكان كثير من الولاه يلتزمون بحسن السيرة" مع الإيرانيين مثل قتيبة" بن مسلم الذى عفا عن أهل بلخ الذين انتقضوا عليه سنة ٨٦هـ ، وأمر بعد انتصاره عليهم برد السبى إليهم.

ومنهم عامل الأهواز الذى استعمله عبد الله بن عامر ، ولم يكن معه عند عزله سوى مائة درهم ، فلما سأله ابن عامر عن سبب ذلك قال : " أرسلتنى إلى بلد أهله رجلان رجل مسلم له مالى ، وعليه ما على ورجل له ذمة الله ورسوله فوالله ما دريت أين أضع يدى" ، فأعطاه من عنده عشرين ألفا.[1]

ومن القضايا التى تثار عن موقف الدولة الأموية من الموالى قضية استخدامهم فى الجيوش المقاتلة" دون أن يفرض لهم عطاء مثل العرب.

ولكننا نجد هذا الاتهام لا يصدق على كل فترات العصر الأموى ، فقد بدأت الدولة" فى الصدر الأول من عهدها بإدراج الموالى فى ديوان العطاء ، وكانوا يسمون "الحمراء" ، وأول من فرض لهم معاوية بن أبى سفيان ، وكان عددهم بالكوفه وحدها حوالى عشرين ألفا.[2]

كما التزمت الدولة باستمرار العطاء الذى فرضه عمر بن الخطاب لبعض الجماعات التى تعاونت مع الفاتحين المسلمين ، وأثبته لهم فى عهده معهم وهم الأساورة" والزط والسيابجة" والاندغار.[3]

---

١) الطبرى ٧ / ٦٠   (٢) الدينورى : الاخبار الطوال ٢٢٨

٣) البلاذرى : فتوح البلدان ٣٦٦

ولكن كثيرًا من هؤلاء الموالى لم يلتزموا بطاعة الدولة وعهودهم معها، وهددوا أمنها بانضمامهم إلى ثورة ابن الأشعث، ومشاركتهم فى الفتن والاضطرابات التى تقع بين العرب بعضهم البعض، وكان فى عهدهم أن يكونوا بمنأى عنها، ولذا أمر الحجاج بإسقاطهم من ديوان العطاء[١] وقال لمن له عهد منهم : كان فى شرطكم ألا تعينوا بعضنا على بعض"[٢].

وكان كثير من الموالى بعد ذلك يحاربون مع العرب فى مناطق الثغور، ولكنهم لم يكونوا من القوات الرئيسيه التى تتمتع بالعطاء مقابل احترافها للجندية وتفرغها لها، بل كانوا بمثابة القوات الاحتياطية والمتطوعة، وكانوا يقاتلون مع جند القبائل التى التحقوا بها.

يدل على ذلك وصف ابن الأثير[٣] للجيش الذى كان يحارب فى طبرستان تحت لواء يزيد بن المهلب إذ قال :" فسار إليها فى مائة ألف من أهل الشام والعراق وخراسان، سوى الموالى والمتطوعة فتعداد القوات الأساسيه مائة ألف، والباقون فى حكم القوات الاحتياطية، ولذلك كان نصيبهم مقصورًا على جزء من الغنائم دون العطاء فى أغلب الأحيان.

ولكن الموالى ظلوا يطالبون بتغيير هذا الوضع واعتبارهم جندًا أساسيين كالعرب، ولقيت هذه المطالب استجابة من الخليفة العادل

---

١) ابن عبد ربه ٣ / ٤١٦
٢) فتوح البلدان ٣٦٧
٣)الكامل ٤ / ١٤٧

عمر بن عبد العزيز كماسبق أن ذكرنا .

ولو كانت معاملة المحاربين من الموالي سيئة كما يصورها البعض، لما أقبلوا على الاشتراك مع العرب بهذه الأعداد الكبيرة ولفضّلوا الانصراف إلى عمل آخر، وما قبلوا أن يتركوا قراهم وأرضهم، ويبذلوا دماءهم وأرواحهم، دون مقابل .

الفصل الثالث

مشاركة الايرانيين فى الإدارة الأموية

فى الولايـة والحكـم:

احتفظ كثير من الإيرانيين بمراكزهم القياديه ومناصبهم السياسية والإدارية فى ظل الحكم الإسلامى، وبخاصة من اعتنق الإسلام منهم وأصبح من موالى العرب واخوتهم فى الدين، وأبدى استعداده للطاعة والإخلاص لنظام الحكم الاموى القائم.

وكان اعتناق الإسلام يفتح طريق المساواة والتقدم إلى الصفوف الامامية أمام أبناء البلاد المفتوحة، ويجعلهم أهلاً للثقة فيهم والاعتماد عليهم فى القيادة والإدارة.

وكان الوالى العام بطبيعة الحال من العرب الذين فتحوا هذه البلاد وكانوا أرسخ قدمًا وأكثر بلاء فى سبيل الإسلام، ولكن الموالى كانوا يشاركون فى الولايات الخاصة، كالولاية على بعض الاقاليم أو البلدان التى تتكون منها الولايه، أو الإشراف على الامن وحماية الطرق، ولم يكن من أهداف السياسة الامويه ولا من خطتها إبعاد الموالى وإقصائهم عن المشاركة فى هذه المناصب القياديه.

وقد حرص العرب على الإفادة من أهل البلاد المفتوحة وبخاصة المناطق الإيرانية فى شئون الإدارة المحلية وأمور الجباية والخراج، لانهم أكثر خبرة وعلما بطبيعة بلادهم وأهلها، فأبقوا كثيرًا من المرازبة فى الإماره على المدن، كما أبقوا كثيرًا من الدهاقين على الخراج وكان كثير منهم مقربين للولاة العرب، فكان مرزبان مرو يرافق قتيبة بن مسلم (١)، وكان دهقان هراة خصيصا بأسد بن عبد الله القسرى

---

١) الجاحظ: البيان والتبيين ٢/٨٢

(تولى سنه ١٠٦هـ) وكان الوالي يبدى إعجابه به ويمازحه ويقـــول له : " أنت خير دهاقين خراسان "(١) مما يشير إلى أن هناك كثيرًا مـن أمثاله ممن يشاركون في الإدارة الأموية .

وأبقى الأمويون كل من تعاون معهم من الأمراء الإيرانيين فـــي ولاياتهم مثل فيروز قول مرزبان جرجان والاصبهبذ حاكم طبرستـــان اللذين صالحا الوالي يزيد بن المهلب وتعاونا معه في فتح بـــلاد الديلم(٢) ، وصاغان خداة أمير الصغانيان ، وكان بحكم موقع بـــلادة على نهر جيحون يتعاون مع المسلمين ويشاركهم في فتوحات مـــاوراء النهر(٣) .

وهناك مجموعة أخرى من الأمراء الإيرانيين الذين احتفظـــوا بولاياتهم في ظل الحكم الأموى منهم " ترسل " دهقان فارياب(٤) ، و " سهرب " ملك الطالقان (٥) ، و " قرياس " دهقان مرو(٦) .

وهناك كثيرون من أمثالهم أشارت إليهم المصادر دون أن تزودنا بأسمائهم مثل دهاقين بلخ وعظمائها الذين تعاونوا مع قتيبه بـــن مسلم في فتوحاته سنة ٨٦ هـ(٧) ، ودهاقين الجوزجان الذين انضموا

---

١) الطبرى ٨ / ٢٤٧ ، ٢٤٨

٢) الطبرى ٨ / ٨٢ (٣) الطبرى ٨ / ٨٢ ، ابن الاثير ٤ / ٢٢٦

٣) مدينه مشهوره بخراسان من أعمال جوزجان قرب بلخ ، غربـــي جيحون (ياقوت : معجم البلدان ٤ / ٢٢٩)

٤) أكبر مدينه في طخارستان قرب نهر جيحون (ياقوت ٤ / ٦)

٥) الطبرى ٨ / ٢٢٠ (٦) الطبرى ٨ / ٥٩

٧) ابن الاثيـــر ٤ / ٢١٨

إلى ثورة الحارث بن سريج سنة ١١٦هـ (١)

ومن الشخصيات الإيرانية التي فتح لها الإسلام طريق التقدم تحت الراية الأموية فيروز حصين الذى سبق أن ذكرناه في الفصل السابق ، وقيل عنه إنه " ولى الولايات" ، ولكنه مالبث أن فقد مكانته بسبب انضمامه إلى ثورة ابن الاشعث (٢) ، ومنهم حريث قطبة مولى خزاعة ، كان من رجال المهلب بن أبى صفرة ، وصار نائبه على كَشّ التى فتحها فيما وراء النهر سنة ٨٢هـ (٣) ، والحجاج بن بشر بن فيروز الديلمي ، الذى ولاه المسلمون على دهلك بعد فتحها في عهد الوليد بن يزيد (٣) ، و" حميد" مولى الوالى نصر بن سيار ، وعامله على سكك نيسابور (٤) .

وهكذا شارك الإيرانيون بصورة واضحة في إدارة بلادهم ، وتعاون كثير منهم مع الولاة الأمويين ، كما شارك أيضا في إدارة المناطق الثغرية المجاورة لهم ، التى فُتِحت أثناء العصر الأموى ، مثل السند وما وراء النهر ، وكان دورهم مقصورًا على بعض الولايات الصغيرة أو المدن باعتبارهم نواباً عن والى خراسان الذى كان من العرب ، وهذا أمر طبيعي تفرضه الأوضاع السياسية في ذلك الوقت ، وأدعى إلى التزام الجميع بطاعته وبخاصة العناصر العربية المحاربة التى

---

١) ابن الاثير ٤/ ٢١٨ (٢) الجاحظ ٢/ ٤٣ ، ١٤٧
٣) ابن الاثير ٤/ ٨٣
٤) الطبرى ٩/ ٣

كانت عماد القوة الأموية وركيزتها الأساسية فى إيران ، ولم يصل الإيرانيون إلى إمرة خراسان كلها إلا فى العصر العباسى ، وكانت الأسرة الطاهرية أول من حظى بهذا النجاح فى عهد الخليفة المأمون .

فى الدواوين والجباية :

اتجه الخلفاء الأمويون منذ بداية عهدهم إلى الاستعانة بالموالى على اختلاف أجناسهم فرسًا وروما ، وبالنصارى من أهل الشام[١] وكان معاوية بن أبى سفيان أول من أصطنعهم وولاهم [٢] فكان كاتبه وصاحب أمره سرجون بن منصور الرومى ، وقائد حرسه واحد من الموالى يدعى المختار ، وقيل أبو المخارق مالك ، وكان طبيبه ابن إثال النصرانى ، وولاه بعد ذلك على خراج حمص، كما استعمل مولاه عبيد الله بن دراج على خراج العراق [٣] وذكر ابن الاثير [٤] أحد الموالى وهو فيروز الديلمى وقال إن " له صحبة" ،وإن معاوية أستعمله على صنعاء .

وكان من الطبيعى أن يستعين العرب بالموالى الذين كانوا أكثر منهم خبرة وأطول باعًا فى الإدارة والنظم، وبخاصة أن العرب

١) انظر قائمة كتاب أبنى أمية الذين ذكرهم ابن عبد ربه ٤ / ١٦٥ ، ١٧٠ ، والطبرى ٧/١٩٨ ، وفيهم كثير من الموالى والذميين .

٢) الدكتور السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدوله العربيه- دار النهضه العربيه فى بيروت - ص ٦٧٥

٣) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص١٥

٤) الكامل ٣ / ٢٤٦

بعد الفتح ورثوا بلاداً متحضرة، ونظما سياسية وإدارية متقدمة لم يكن لهم عهد بها وقد احتفظ العرب ببعض هذه النظم، واقتبسوا بعضها الآخر وطوروه بما يتلاءم مع حياتهم مثل الدواوين وجباية الخراج، ولذلك استعان الفاتحون الأوائل بأبناء هذه البلاد، وأخذ عمر بن الخطاب بمشورة رجل من الفرس يدعى الفيرزان، وتمكن العرب في الصدر الأول من جعل ديوان الجند في الكوفه والبصره بالعربيه، أما ديوان المال فلم يستطيعوا تعربيه حتى عهد عبد الملك بن مروان (١) .

وكان هذا الوضع يقتضي الاستعانة بكتاب من الفرس لهم دراية وعلم بهذه الدواوين، ومعرفة باللغه التي كتبت بها منذ العهد الساساني، وفي ذلك يقول الوالي زياد بن أبيه: "ينبغي أن يكون كتاب الخراج من رؤساء الأعاجم العالمين بأمور الخراج" (٢) .

وفي أمور الجباية وجمع الخراج فضل العرب الاعتماد على الدهاقين الذين كانوا يقومون على هذا الأمر منذ القدم، ورأوا أنهم أكثر قدرة عليه، كما أنهم أيسر من العمال العرب في محاسبتهم ومطالبتهم، وأهيب لهم، لأن العربي يحتمي في قبيلته ويمتنع في عصبيته القوية، فلا يستطيع الوالي أن ينال منه إذا أخطأ أو أستحوذ على شيء من المال لنفسه، وفي ذلك يقول عبيد الله

---

١) الجهشياري: الوزراء والكتاب ص٢٠، السيد عبد العزيز سالم تاريخ الدوله العربية ص ٦٧٧

٢) اليعقوبي: ٢٣٤

ابن زياد ": " كنتُ إذا استعملت الرجل من العرب فكسر الخراج فأقدمت عليه أوغرت صدر عشيرته ، أو أغرمته فحملت على عطاء قومه أضررت بهم وإن تركته تركت مال الله وأنا أعرف مكانه ، فوجدت الدهاقين أبصر بالجباية وأوفى بالأمانه ، وأهون عليّ مطالبة" (١)

وكان زياد بن أبيه يستخدم على الخراج زادا نفروخ ، (٢) وجعل مولاه مراداس كاتبا له ، كما أستخدم ابنه عبد الرحمن بن زياد كاتبا من العجم يسمى اسطفانوس (٣)

وكان العمال الأمويون يفضلون الاعتماد على العناصر المحلية الإيرانية فيما يتعلق بالجباية لأن القائم عليها يتعرض لسخط العامة وغضبهم ، وبذلك يبقون هم بمنأى عن هذا السخط ، ولذا نصح عمر بن هبيرة والي العراق نائبه على خراسان مسلم بن سعيد الكلابي (٤) فقال له : " تختار من كل كورة لعملك ، فإن أصابوا فالذى أردت ، وان أخطأوا فهم المخطئون وأنت المصيب" (٥)

وكان الفرس بدورهم يتكتلون للاحتفاظ بهذا الجانب الإدارى فى أيديهم ، ويحرصون على احتكاره ، وامتلاك أسراره ، وإبعاد العرب عن المشاركة فيه حتى لا يغلبوهم عليه ، وكان يتزعمهم فى الصدر الأول زادانفروخ ، ثم خلفه جميل بن بصهرى ، وكان -كما وصفته المصادر- حازما مقدّما .

---

١) البلاذرى : أنساب الأشراف - القسم الثانى من الجزء الرابع طبعة بغداد - ص٣ (٢) فى بعض المصادر "زادان فروخ".

٣) الجهشيارى ١٦ ، ١٨ .

٤) تولى عمر بن هبيره العراق سنة ١٠٢ ، وعين مسلم بن سعيد نائبا عنه فى خراسان سنة ١٠٤ هـ (٥) ابن عبد ربه ١ / ١٩

وعند ما قدم الحجاج واليا على العراق توجس هؤلاء الكتاب شراً ، وتخوفوا على نفوذهم ، فاجتمعوا إلى رئيسهم جميل بن بصهرى ، وعرضوا عليه مخاوفهم ، فدعاهم إلى الوحدة والترابط وعدم التقرب إلى الإدارة العربية على حساب بعضهم البعض، وقال لهم: "ما أحسن حا لكم إذا لم تبتلوا معه بكاتب منكم" وضرب لهم المثل المشهور: " إن فأسا ألقيت بين شجر، فقال بعض الشجر لبعض : ماألقى هذا هاهنا لخير، فقالت لهم شجرة: إن لم يدخل فى هذا شيء منكن فلا تخفنه "[١]

ولم يكن هؤلاء الكتاب الإيرانيون يقومون بأعمال الجباية فحسب، بل كان من سلطتهم مراقبة السياسة المالية للولاة ورفع تقرير عنها إلى الخلافة، وكان زادانفروخ بالتعاون مع عبد الرحمن بن أبى بكُرة يراقبان تصرفات الوالى عبيد الله بن زياد ، ويبلغانها إلى الخليفه يزيد بن معاوية ، مع بيان بموارد الإقليم ومقادير خراجه ، وكان من نتيجة ذلك أن حاسبته الخلافة ، وخيرته بين الضمان والعزل ، فاختار الضمان [٢] ، وأدى ما انكسر من المال .

ولم يكن العمال الأمويون يستطيعون أن يضبطوا أمور ولاياتهم ويُحكموا جبايتها وخراجها دون مساعدة الدهاقين والتزود بمشورتهم ورأيهم ، وبذلك أصبح الدهاقين ركناً هاماً فى بطانة الوالى ومساعديه وعند ما تولى عبيد الله بن المحارب الفلوجتين [٣] من قبل الحجاج

---

١) الجهشيارى ٢٤ (٢) الجهشيارى ١٠٩

٣) الفلوجة هى الأرض المصلحة للزرع، والفلوجتان هما الفلوجه الكبرى والفلوجه الصغرى ، قريتان كبيرتان من سواد بغداد والكوفة قرب عين التمر، وتسميان أيضا بالفلوجة العليا والفلوجة السفلى (ياقوت ٤/ ٢٧٥)

كان أول ماسأل عنه حين وصلها : " أهنا دهقان يعاش برأيه؟ "فقيل له : جميل بن بصهرى ، فاستدعاه وسأله المشورة ، فقال له : أقدمت لرضى ربك أم لرضى من قلدك أم لرضى نفسك؟ فقال: مااستشرتك إلا لرضى الجميع. فقال له : احفظ عني خلالا : لا يختلف حلمك على رعيتك وليكن حلمك على الشريف والوضيع سواء ، ولا تتخذن حاجبا يرد عليك الوارد من أهل عملك على ثقة من الوصول إليك ، وأطل الجلوس لأهل عملك بتهييك عمالك ، ولا تقبل الهدية ، فإن صاحبها لا يرضى بثلاثين ضعفا لها ، فإذا فعلت، فاسلخ جلودهم من قرونهم إلى أقدامهم" قال ابن المحارب: " فعملت بنصيحته فجبيتها ثمانية عشر ألف ألف درهم" (١)

وكان زادا نفروخ على علاقة طيبة بقادة العرب، فكان ذا مكانة ورأى لدى الحجاج بن يوسف، كما كان صديقا للمهلب ابن ابى صفرة واستعان به المهلب ليسعى له لدى الحجاج حتى يوليه خراسان بدلا من عبيد الله بن أبى بكرة ، فلما كلم الحجاج في ذلك قال : إنا كتبنا عهده ، فقال زادانفروخ : ما أهون تحويل العهد ، فاستجاب له الحجاج وحوله. (٢)

وكان دهقان هراة يتعاون مع أسد بن عبد الله القسرى ، ويحمل له الخراج وهدايا النيروز والمهرجان ، ويمتدحه قائلا : إننا معشر العجم أكلنا الدنيا أربعمائة سنة بالحلم والعقل والوقار وكان الرجال فينا ثلاثة ، رجل ميمون النقيبة أينما توجه فتح الله عليه ، ورجل

---

١) الجهشيارى ٢٤ (٢) الطبرى ٢٨١/٧

تمت مروءته في بيته ، ورجل رحب صدره وبسط يده ، وقد جعل الله صفات هؤلاء فيك فما يُعلم من هو أتم كتخدائية منك .(١)

وقد ظهرت أسر فارسية توارثت مثل هذه المناصب الإدارية ومنهم عبد الله بن هرمز وأبناؤه ، وهو مولى عبينة ، ويعد من موالي آل أبي سفيان بن حرب ، كان على ديوان الجند بالعراق زمن الحجاج ، ثم خلفه عليه أبناؤه ، " وكان قدرهم في البصرة عظيمًا ولهم يسار " ، وكان احتكارهم لهذا المنصب يثير حفيظة بعض العرب ، فهاجمهم أحد شعرائهم بقوله :(٢)

أعوذ بالله الأحد من هرمز وماولد

وكان لابد لكل من أراد أن يحكم العراق وإيران أن يعتمد على هؤلاء الدهاقين وخبرتهم ، سواء من بني أمية أم من القوى الأخرى التي نافستهم ، فكان مصعب بن الزبير أيضا يستعين بواحد منهم يسمى سارازاد صاحب باذين ، وأوكل اليه أمر الخراج .(٣)

حركة التعريب في ايران :

اتجهت الدولة الأموية في عهد عبد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٦هـ) إلى التعريب أجهزتها الإدارية ، وتحويل الدواوين إلى اللغة العربية ، وكان هذا الاتجاه ضروريًا ليتفق مع نظام الدولة الإسلامية وقيادتها العربية ، ولا يجعلها خاضعة لقلة من المحتكرين الذين

---

١)أبن الأثير ٤ / ٢٣٤ ، والكتخدا هو نائب الأمير .
٢)البلاذري : أنساب الأشراف ٤ / ١٢٣ (٣) الجهشياري ٢٧

قد يسئون التصرف ولا يلتزمون بالأمانه أعتمادا على جهل المسئولين بلغة هذه الدواوين .

وقد أسندت الدولة الإشراف على عملية التعريب فى المناطق الشرقية للحجاج بن يوسف، وكان فيها ديوانان باللغة الفارسية أحدهما فى العراق والثانى فى خراسان ، وتمكن الحجاج من تعريب ديوان العراق فى عهده ، أما ديوان خراسان فقد بقى بالفارسية حتى ولاية نصر بن سيار فى أواخر العهد الأموى .

واضطلع بمسئولية التنفيذ بعض الموالى الإيرانيين الذين كان لهم إلمام باللغتين العربية والفارسية ، وكان لهم فضل المبادرة بعرض القيام بهذا الأمر على الولاة الأمويين .

وتصدى لتعريب ديوان العراق صالح بن عبد الرحمن ،كان أبوه من سبى سجستان ، ثم أصبح من موالى تميم ، ثم توثقت الصلة بينه وبين الحجاج عن طريق زادانفروخ بن بيرى ، وأصبح أثيرًا لديه (١) ، وهو الذى عرضعليه فكرة تعريب ديوان العراق وقال : " إنى لوشئت حولته بالعربية" (٢)

وقد واجه المحتكرون لهذا الديوان صالحًا بالسخرية والتحدى وقالوا له : " فحول منه سطراً" ، فقبل التحدى ، وأكب على عمله

---

١) ابن حلكان : وفيات الأعيان ٦ / ٢٩٧ ، البلاذرى : فتوح البلدان ٢٩٨

٢) الجهشيارى ٢٣

بكفاءة وثقة ، " فحول منه شيئًا كثيرًا" وعندئذ خاب ظن هؤلاء ، وقال لهم رئيسهم زادانفروخ : " التمسوا لكم مسكنًا غير هذا " ، وكان ذلك في سنة ثمان وسبعين من الهجرة .

ولم يقتصر دور صالح على هذا التعريب ، بل قام بتدريب مجموعة من تلاميذه على أعمال الكتابة والدواوين ، فكان صاحب مدرسة إدارية "وكان عامة كتاب العراق من تلاميذه"(١) وقال عنه عبد الحميد بن يحيى الكاتب : " لله در صالح ، ما أعظم منته على الكتاب" (٢) .

وظل الإيرانيون مسيطرين على ديوان خراسان ، ولم يكونوا جميعا من المسلمين ، بل كان فيهم عدد من المجوس الذين عاملهم المسلمون كأهل ذمة ، فلما استخلف عمر بن عبد العزيز أراد أن يلتزم في مجال الإدارة بقوله تعالى : " لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ، ودوا ما عنتم ، ولا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض" فكتب إلى عماله : " لا تولين أمور المسلمين أحدًا من أهل ذمتهم وخراجهم ، فتنبسط عليهم أيديهم وألسنتهم ، فتذلهم بعد أن أعزهم الله".

ولكن الالتزام الكامل بهذه السياسه التي أمر بها عمر لم يكتمل في خراسان إلا في وقت متأخر ، إذ يقول الجهشياري : " وكان أكثر

---

١) المصدر السابق ونفس الصفحه

٢) البلاذري : فتوح البلدان ٢٩٨

كتاب خراسان إذ ذلك مجوسا ، وكانت الحسبانات بالفارسيه ، فكتب يوسف بن عمر، وكان يتقلد العراق إلى نصر بن سيار (والى خراسان) كتاباً أنفذه مع رجل يعرف بسليمان الطيار يأمره أن لا يستعين بأحد من أهل الشرك فى أعماله وكتابه"(١).

وما لبث نصر أن جد فى استكمال عملية التعريب التى بدأت فى عهد الحجاج ، واهتم بتعريب آخر معاقل الإدارة الفارسية وهو ديوان خراسان ، وأسند هذا العمل إلى رجل من بنى نهشل يسمى إسحاق بن طليق (٢).

وهكذا أسهم الموالى بنصيب وافر فى عملية التعريب إلى جانب العرب ، ولم تكن هذه العملية تهدف إلى إقصائهم واستئصال نفوذهم ، بل تنظر إلى المصلحة العامة للدولة ، وتسعى للتخلص من نفوذ الذميين والمجوس التزاما بمبدأ إسلامى ، ولذلك أخلص الموالى المسلمون جهودهم فى هذا العمل ، ولم يقبل صالح بن عبد الرحمن الأموال الطائلة التى بذلت له ليتراجع عن هذا العمل .

وبرغم التعريب فقد ظلت الحاجة ماسة إلى الإيرانيين وبخاصه المسلمون منهم فى هذا المجال ، حتى أواخر العهد الأموى ، ويؤكد ذلك أن خالدًا القسرى أرسل أحد عماله إلى الرى ، ففهم خطأ أن الأمير ولاه على الخراج ، فلما وصلها قال له عامل الخراج الفارسى : " إنك أعرابى مجنون ، فإن الأمير لم يولِ الخراج عربيًا قط ، وإنما

---

(١) الجهشيارى ٤٣
(٢) المصدر السابق ونفس الصفحه .

هو عامل المعونه"، فلما راجع الرجل أمر توليته وجد أنه على المعونه فقط(١) .

في السفاره والتفاوض:

اعتمدت الإدارة الأموية في إيران على الموالي بدرجة أساسيه في كثير من الاتصالات السياسية، كالسفارة، والتفاوض، وإبرام المعاهدات، وعقد المصالحات، داخل المناطق الإيرانية وفي مناطق الثغور المجاورة، وساعد الموالي على الاضطلاع بهذه الأمور معرفتهم بهذه المناطق وإلمامهم بلغة أهلها، وطبائعهم، وأفضل الوسائل التي تصلح لإقناعهم من أساليب الخطاب، ووسائل التعامل من ترغب أو ترهيب، ومسالمه أو مجالدة، ولذا كان العرب يتخيرون الموالي ويقدمونهم لهذه المهام، وبخاصه بعد أن أثبتت التجارب أنهم على قدر كبير من الحنكة والدراية في هذا المجال.

ففي ميدان ماوراء النهر استخدم قتيبة بن مسلم الباهلي رسلاً من الموالي الإيرانيين منهم سليم الناصح، ولعل هذا اللقب كان مكتسبا من شهرته التي أتصف بها في مجال المشورة والتفاوض، وهو مولى لعبيد الله بن أبي بكرة، وأرسله في سنة ٨٧هـ رسولا الى صاحب باذغيس(٢) من بلاد الترك المسمى نيزك طرخان، وكان ممتنعاً على المسلمين، رافضاً الصلح معهم، فاستطاع هذا المولى

---

١) الطبرى ٨ / ١٨٢ .

٢) بفتح الذال وكسر الغين المعجمه، قيل انها كانت دار مملكه الهياطله (ماوراء النهر) وهي ناحية تشتمل على قرى من أعمال هراة ومرو الروذ (ياقوت ١ / ٣١٨) .

أن يقنعه بأهمية التفاهم مع المسلمين والدخول فى عهدهم، ويزيل من نفسه الاثر السيء الذى تركته كتب قتيبة بن مسلم عندما توعده أن يطلبه حتى يظفر به أو يموت دونه.

وكان الأمير التركى فى البداية نافرًا مستعصيًا فقال لسليم الناصح: " ما أظن عند صاحبك خيرا، كتب إلى كتابا لا يكتب الى مثلى، لكن سليما استطاع أن يستل ضغينته، ويزيل حفيظته، فقال له: " إنه رجل شديد فى سلطانه، سهل إذا سوهل، صعب إذا عوسر، فلا يمنعْك منه غلظة كتابه إليك، فما أحسن حالك عنده، وعند جميع مضر".

وآتت هذه السفارة أكلها، وقدم نيزك طرخان مع سليم على قتيبة ابن مسلم فصالحه، وفتح له أبواب باذغيس.(1)

وواصل قتيبة سياسته الناجحة فى إيفاد الموالى إلى ملوك الترك وأمراء ماوراء النهر، فعندما طلب طرخون التركى إيفاد رجل من المسلمين يتحدث إليه، أرسل إليه قتيبه قائد فرقة الموالى فى جيشه حيان النبطى(2) وهو من الديلم، فاستطاع أن يقنعه بالصلح على جزية يؤدبها كل سنه(3)

وعندما تولى أشرس بن عبد الله مهمة استمرار الفتح فى ماوراء النهر

---

١) الطبرى ٨ / ٦١

٢) سبق الحديث عنه، وسنذكره بتفصيل أكثر فى الفصل التالى

٣) الطبرى ٨ / ٦٩ ، ابن الاثير ٤ / ١١٤

أرسل وفداً لدعوة أهل سمر قند في سنة ١١٠هـ، وأختار لرئاسته رجلا من الموالي مشهوداً له بالتقى والصلاح هو أبو الصيداء صالح ابن طريف، مولى بني ضبة، فنجح في مهمته أيما نجاح، وأقبل الناس على الإسلام وبنوا المساجد [(١)]، ولكن الوالي مالبث أن أفسد هذا النجاح لانه لم يف بما وعد به، وأصر على أخذ الجزية ممن أسلموا منهم، فأدى ذلك إلى ثورتهم كما سيرد في موضعه.

وفي منطقة جرجان وطبرستان شمالي إيران كان الموالي يؤدون نفس الدور وأوفد يزيد بن المهلب إلى الديلم رجلا ينتمي إليهم هو حيان النبطي المذكور في سنة ٩٧هـ، واستطاع حيان أن يضع حداً لخسائر المسلمين العسكرية التي تكبدوها في المنطقة عندما تكتل ضدهم سكانها، وشكلوا جبهة واحدة ضدهم، ويسّر لحيان مهمة التفاهم معهم ارتباطه بهم بآصرة الدم الديلمي، وما أبداه من قدرة كبيرة على فهم دخائلهم، والوصول إلى أعماقهم.

وبدأ حيان مهمته بالعمل على اكتساب ثقة الاصبهبذ حاكم طبرستان وقومه فقال لهم: إنما أنا رجل منكم، وان كان الدين قد فرق بيني وبينكم، فأنا لكم ناصح"، واتجه للاصبهبذ بالخطاب قائلاً: " فأنت أحب إليّ من يزيد".

ثم اتجه حيان إلى كسر غرورهم وثقتهم التي اكتسبوها من انتصاراتهم المبدئية على المسلمين، فهوّن من شأن هذه الانتصارات

---

١) ابن الأثير ٤/٢٠٢

٢) الطبري ٨/١٢٣، ابن الأثير ٤/١٤٨

وحذرهم سوء العاقبة فقال : " قد بعث (يزيد بن المهلب) يستمد ، وأمداده قريبة منه ، وانما أصابوا منه طرفا ، ولست آمن أن يأتيك من لا تقوم له ، فأرح نفسك وصالحه"[٣] .

ثم سعى لإفساد التحالف بين حاكم طبرستان وبني جنسه من أهل جرجان فقال له : " فإن صالحته صيّر حده على أهل جرجان بغدرهم وقتلهم أصحابه" .

وكانت نتيجة السفارة أن وافق الصبهبذ على الصلح ، ودفع جزية قدرها سبعمائه ألف ، وقيل خمسمائه ألف وأربعمائة ، غير الأشياء العينية الأخرى ، والتزامه بالتعاون العسكري مع المسلمين[١] .

ولم يكن استخدام الموالي في مجال السفارة مقصورًا على ايفادهم لغير العرب ، وانما كانوا يوفَدون أيضا بين القادة المسلمين بعضهم البعض ، فكان الوالي أسد بن عبد الله القسري يستخدم سعيدا الصغير مولى باهلة ، وهو من الفرسان المشهورين في أرض الختل رسولا إلى قائده إبراهيم بن عاصم العقيلي[٢] ، وكان الوالي نصر ابن سيار يستخدم مقاتل بن حيان النبطي إلى الحارث بن سريج الثائر على الحكم الأموي .

---

١) الطبري ٨ / ١٢٣ ، ابن الاثير ٤ / ١٤٨
٢) ابن الاثير ٤ / ٢٢٧
٣) الطبري ٩ / ٤٢

الفصل الرابع

مشاركة الإيرانيين فى النشاط العسكرى والفتوحات

الإيرانيون في الجيش الأموى الخراساني :

اهتم الأمويون بجيوشهم فى خراسان ، وزودوها بأسباب القوة لأنها كانت ركيزة وجودهم فى المنطقة ، ومنطلق فتوحاتهم فى ثغرى الهند وما وراء النهر .

وكانت القوات الرئيسية التى تمثل عماد هذا الجيش وصلبه من القبائل العربية التى استوطنت أقاليم إيران ، وكانت لها روافد تغذيها باستمرار من عرب الكوفة والبصرة . وكان تجنيد العراقيين فى الجيش الخراسانى إجبارياً فى بعض الفترات ، للتخلص من كثرة مشاكلهم واضطراباتهم ، والاستعانة بهم فى تحقيق المزيد من الانتصارات والفتوحات ، وكان الحجاج بن يوسف لا يسمح لأحد بالتخلف عن الجندية حتى أشراف العرب والقرشيين ، وبلغ عدد المجندين من الكوفة وحدها حوالى خمسين ألفا ، وكان يقول : " لا أرخص لأحد من الناس فى الإقامة إلا رجلاً قد وليناه من أعمالنا "(١)

وكانت الإمدادات العراقيه تدعم الجيش الخراسانى وتزيد من قوته فى المواقف الصعبة ، واللحظات الحاسمة ، وعندما حوصر المسلمون فى بخارى سنة ١١٢ هـ ، أمدت الخلافه قائدهم الجنيد بجيش من أهل الكوفه والبصرة يضم عشرين ألفا .(٢)

---

١) الطبرى ٧ / ٢٤٥ (٢) الطبرى ٨ / ٢١١

وإلى جوار العراقيين كانت هناك قوات إضافية أو احتياطية من أهل الشام تصل للنجدة والمعاونة ، ومواجهة حركات التمرد ضد الخلافة وعمالها ، لأنهم كانوا أكثر إخلاصاً وأوفر طاعة للأمويين، ولكن هذه القوات لم يكن يسمح لها بالبقاء بصفة دائمة ، واستيطان العراق أو إيران ، خوفاً عليها من التأثر بروح الشغب والفتنة التى كانت موجودة بين قبائل العرب هناك ، وعندما احتاج الحجاج لبقاء هؤلاء الشاميين فترة طويلة فى العراق بنى لهم مدينة خاصة بهم وهى مدينة واسط ليكونوا بمعزل عمن سواهم ، وقد برز دور الشاميين فى الفتوحات الكبيره التى تتطلب جهداً وعدداً مثل فتح جرجان وطبرستان فى ولاية يزيد بن المهلب، وفى مواجهة الثورات القوية كثورة عبد الرحمن بن الأشعث .

وكان العنصر الثالث الذى تتكون منه هذه الجيوش هو الموالى الايرانيين ، الذين كانوا يدخلون فى تشكيلا لقوات الرئيسيه ، ويمثلون أيضا الجانب الأكبر من القوات الاحتياطية .

وكان للإيرانيين فرقة كاملة من بين الفرق الأساسية التى يتكون منها الجيش الخراسانى يقدر عددها بسبعة آلاف جندى ، ولا يعد هذا الرقم ضئيلاً إذا ما قارناه بعدد الفرق التى أسهمت بها القبائل العربية ، فإن قوات أكبر قبيلتين عربيتين فى المنطقه وهما تميم والأزد لم يكن يتجاوز عشرة آلاف لكل منهما ، وقوات أهل العالية (وهم أهل المدينة الذين يتكونون من عدة قبائل) تبلغ تسعة آلاف ، ولكل من بكر، وأهل الكوفه سبعة آلاف ، وهو عدد مساوٍ لجند الموالى ، أما عبد القيس فلم يكن لها فى هذا الجيش

سوى أربعةآلاف ، وبذلك يكون مجموع القوات الرئيسية في الجيش الاموي الخراساني بما فيه الموالي الإيرانيون أربعة وخمسين ألفا.[(١)]

وكان على رأسي الفرقة الإيرانية قائد منها هو حيان النبطي الديلمي ، وهو في الاصل من سكان منطقة الجبال الموجودة حول بحر قزوين[(٢)] . ويدل على ذلك قوله ـ الذي سبق أن ذكرناه في الفصل السابق ـ لاهل جرجان وطبرستان : " إنما أنا رجل منكم وان كان الدين قد فرق بيني وبينكم" ، وهناك رأى آخر يرى أنه من خراسان ، وهو في كلا الرأيين ايراني ، وإنما سمي نبطيا للكنته الغريبه على أسماع العرب عندما يتحدث بلغتهم ، وكان مولى لمصقلة الشيباني من أوائل الفاتحين لطبرستان[(٣)] ، والتحق ببني شيبان وأصبح من مواليهم[(٤)]

وكان حيان وجنده الإيراني مخلصين لدينهم ، ملتزمين بطاعة بني أمية ، فشاركوا مع العرب في الفتوحات ، ومواجهة حركات التمرد وتناسى حيان الإحن الشخصية والاحقاد التي كانت بينه وبين الوالي يزيد بن المهلب عندما خوطب باسم الإسلام ، إذ قال له يزيد بعد خسائره الكبيره في فتح بلاد الديلم ـ " لا يمنعك ماكان مني إليك عن نصيحة المسلمين ، وقد جاءنا عن جرجان ماجاءنا فاعمل في الصلح " ، فقال " نعم " وقام بالسفارة لدى حاكم طبرستان حتى تمكن من إقرار الصلح[(٥)] كما وقف بعد ذلك في مواجهة قتيبه بن

---

١) البلاذري : فتوح البلدان ٤١٣ ، الطبري ٨ / ١٠٦ ، ابن الاثير ٤ / ١٤٠ (٢) كان يسمى بحر طبرستان وبحر الخزر.

٣) انظر البلاذري : فتوح البلدان ٣٣٠

٤) الطبري ٨ / ١٠٦ ، ابن الاثير ٤ / ١٤٠

٥) ابن الاثير ٤ / ١٤٨

مسلم عندما خلع طاعة الخليفه سليمان بن عبد الملك [١].

وأما فساد العلاقة بين حيان ويزيد بن المهلب فيرجع إلى اعتداد هذا القائد بنفسه ، فكان يبدأ بذكر اسمه في مكاتباته إلى ابن الوالي ، فنقم عليه يزيد وأغرمه مائتي ألف درهم [٢] .

وتوفي حيان سنة ١٠٢ هـ ، وقيل إنه مات مسموماً على يد الوالي سعيد خذينة خوفاً من وثبته عليه ، ولا نعتقد أن حيان كان يفكر في التمرد ، لأنه لم يصدر منه بادرة تشير إلى ذلك ، وكان طوال حياته يلتزم جانب الطاعة لبني أمية ، وورث ابنه مقاتل هذا المسلك عنه ، وحافظ عليه ، لكن حيان تعرض لحقد أحد القادة العرب من تميم هو سورة بن الحر ، فأوغر صدر الوالي عليه ، وقال له : "إن هذا العبد أعدى الناس للعرب والوالي ، وهو أفسد خراسان على قتيبة وهو واثب بك ، يفسد عليك خراسان" [٣].

وإذا كان حيان قد لقي جزاء سنمار من الوالي وأعوانه ، فإن الخلافه الأموية رعت قدره ، وحفظت مكانته في عقبه ، وعندما وفد ابنه مقاتل بن حيان على الخليفة هشام بن عبد الملك شاكياً ما نزل بأبيه من الوالي يزيد بن المهلب، لم يكلفه الخليفة بإحضار الشهود ، واكتفى بأن جعله يقسم على صحة قوله ، وأمر على الفور برد الأموال التي غرمها أبوه من بيت مال خراسان ، فتسلمها مقاتل وقسمها على ورثة أبيه [٤]

---

١) سيأتي الحديث عن الدور الذي قام به في هذا الشأن .
٢) الطبري ٨ / ١٢٣ (٣) ابن الاثير ٤ / ١٨٠
٤) ابن الاثير ٤ / ٢٩٩

وإلى جانب الفرقة الإيرانية ذات الآلاف السبعة التى يقودها حيان ، كانت هناك قوات إيرانيه أكثر عدداً فى مناطق الثغور ولا يمكن أن نتصور أن الإيرانيين كانوا يقفون بعيدا عن المشاركه فى هذه الجيوش التى تنطلق من بلادهم ، ويقفون منها موقف المتفرج كما لا يمكن أن تهمل الإدارة الأموية هذه القوة ، ولا تسعى للإفادة منها ، لأن الخلافة الأموية اتجهت فى الميدان المغربى إلى الاعتماد على البربر فى فتوحات المغرب الأقصى والأندلس ، وكان السواد الأعظم من الجيش الذى عبر مع طارق يتكون منهم ، وليس هناك ما يدعو إلى مخالفة هذه القاعدة فى فتوحات المشرق ، وبخاصة أن أهل البلاد أكثر خبرة بدروبها ومسالكها ، وأقدر على تحمل مشاق الحرب فيها .

ويقال إن قتيبه بن مسلم قبل قيامه بالغزو فى بلاد ماوراء النهر سنة ٨٥هـ عرض الجند الخراسانى فكان عددهم ثلاثمائه وخمسين درعا (١) وهذا الرقم الكبير لا يمكن أن يكون كله من العرب ، لأن الجند العربى - كما ذكرته المصادر - لم يكن يتجاوز الخمسين ألفا .

وجرت القاعدة فى ذلك الوقت على أن ينضم أمراء الفرس بجيوشهم فى المناطق القريبة من نهر جيحون إلى القوات الرئيسية عند عبورها النهر ، وفى سنة ٨٦هـ التحق دهاقين بلخ وعظماؤها بجيش قتيبه بن مسلم ، وكان مستشاره وناصحه الأول من الموالى

---

١) الطبرى ٨/١٣٤ ، ابن الاثير ٤/١٥٨ .

يسمى سليما الناصح[(١)] .

وفى سنة ١٠٩ هـ شارك أهل الصغانيان،وعلى رأسهم أميرهم صاغان خداه مع قوات الوالى أسد بن عبد الله القسرى فى الدفاع عن الثغور الإيرانية ضد هجمات الترك بقيادة ملكهم خاقان ، وكانوا يقومون على حماية أثقال المسلمين ، التى كانت هدفا لهجوم العدو ، وعرضهم ذلك إلى تلقى الضربة الأولى التى هلك فيها أميرهم وعدد كبير منهم ، وكان إخوانهم من أهل الجوزجان يشكلون جانبا من ميمنة أسد ، وإلى جوارهم عرب الأزد وتميم ، وقد استطاعت هذه الميمنة أن تصمد فى مواجهة الترك بعد أن انكشفت المسيرة ، وتمكنت من تحويل الهزيمة إلى نصر ، وإجبار العدو على الفرار ، وفى الوقت الذى كان هؤلاء الايرانيون يحاربون بإخلاص إلى جانب الولاة الأمويين كان فريق من العرب الساخطين يقاتلون إلى جوار الترك[(٢)].

وفى سنة ١٠٠ هـ بلغ عدد الموالى الذين يحاربون فى ميدان ماوراء النهر عشرين ألفاً ، وقد اكتفت المصادر بأن وصفتهم بالموالى دون أن تحدد عنصرهم ، وهل هم من الايرانيين أم من الترك ، ولكن الملابسات تشير الى أنهم من الايرانيين لأن الترك كانوا حتى ذلك الوقت يقاومون المسلمين ويرفضون الخضوع لهم ، ولم يبدأ إقبالهم على الإسلام الا بعد ذلك فى ولاية أشرس بن عبد الله الذى تولى

---

١) الطبرى ٨ / ٦١ ، ابن الاثير ٤ / ١٠٧ .

٢) ابن الاثير ٤ / ٢٢٧ ، ٢٢٨

سنة ١٠٩ هـ، وقد طالب هؤلاء الموالى الخليفه عمر بن عبد العزيز أن يعاملهم كالجنود الأساسيين ويفرض لهم نصيبا من العطاء فاستجاب لمطالبهم [١] .

وشارك الموالى فى فتوحات جرجان وطبرستان سنة ٩٦هـ، مع الجيوش الرئيسيه التى تتكون من عرب خراسان والعراق وأهل الشام والتى بلغ عددها مائة ألف، إذ كان معهم أعداد أخرى من الموالى والمتطوعة [٢] .

وكان الإيرانيون يُستخدمون أدلاء ومرشدين للجيوش الإسلامية فى مناطق الثغور لمعرفتهم وخبرتهم بمسالكها الوعرة، فكان قائد المسلمين فيما وراء النهر عثمان بن الشخير يستعين بدليل من الجوزجان، وقال له هذا الدليل : " إنى أعلم ببلادى وطرقها فهل تتبعنى لعلنا نهلك خاقان، قال نعم، فأخذا طريقا، وسارا ومن معهما ، حتى أشرفوا على خاقان فأوقعوا به [٣]

فى تدبير الحرب والتخطيط العسكرى :

كان الإيرانيون ركيزة هامة يعتمد عليها القادة العرب فى التخطيط الحربى، والإعداد للقتال، لعلمهم وخبرتهم بمنطقتهم والثغور المتاخمة لها، فكانت القيادة العربية تتزود برأيهم ومشورتهم، وتضيف علمهم ودرايتهم الى خبرتها وتجاربها، وقد

---

١) الطبرى ٨ / ١٣٤ ، الطبرى ٨ /١١٨ ،ابن الاثير ٤ / ١٤٧

٣)ابن الاثير ٤ /٢٢٨

اتبع المسلمون في ذلك سنة الرسول صلى الله عليه وسلم عند ما أخذ بمشورة سلمان الفارسي في غزوة الأحزاب، وأمر بحفر الخندق حول المدينة، وسيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند ما كان يشاور الهرمزان بعد إسلامه في توجيه العساكر والجيوش الى أهل فارس ويقول : " إن لأهل فارس عقولا بها استحقوا ماكانوا فيه من الملك (١)

وكان الموالي الإيرانيون يشكلون ركنا أساسيا في القيادة المدبرة التي تضع الخطط الحربية في المنطقة، وتحدد أساليب القتال، وهي مايمكن أن نسميه بتعبيرنا الحديث "هيئة أركان الحرب" وأطلق عليها المؤرخون القدماء" أصحاب رأي الحرب في خراسان".

وكانت هذه الهيئه تضم فريقا من العرب منهم المجشر بن مزاحم وعبد الرحمن بن صبح الخرقي، وعبيد الله بن حبيب الهجري، وكان أولهم يختص بتنظيم الجيوش " يُنزل الناس على راياتهم، ويضع المسالح، ليس لأحد مثل رأيه في ذلك،" وثانيهم رجل الملمات والمواقف الصعبة" إذا نزل الأمر العظيم في الحرب، لم يكن لأحد مثل رأيه"، وثالثهم يختص "بتعبية القتال"، والى جوار هوءلاء فريق آخر من الإيرانيين قال عنهم الطبري (٢) : " وكان رجال من الموالي مثل هوءلاء في الرأي والمشوره والعلم بالحرب"، وذكر منهم : الفضل ابن بسام مولى بني ليث، وعبد الله بن أبي عبد الله مولى بني سليم، والبختري بن مجاهد مولى بني شيبان".

---

١) ابن عبد ربه ١ / ١٢٥، ٢ / ١٧١ أبو يوسف : كتاب الخراج ٣٢

٢) تاريخ الامم والملوك ٨ / ٢١٠، ٢١١، ابن الأثير ٤ / ٢١١

وقد أثبتت الأحداث حسن رأى هؤلاء الموالى ، وكان القادة العرب إذا حزبهم أمر لجئوا إلى مشورتهم ، فكانت تؤتى ثماراً طيبة فعندما أشتد أمر الترك على جند المسلمين فيما وراء النهر سنة ١١٢هـ وحاصروا فريقاً منهم فى بخارى [١] ، وقطعوا طريق الاتصال بينهم وبين القوات الرئيسية التى كانت موجودة فى سمرقند [٢] ، لجأ الجنيد قائد المسلمين الى عبد الله بن أبى عبد الله مولى بنى سليم وسأله النصح والمشورة فاشترط عليه أولا ألا يخالفه الرأى فى ارتحال أو نزول أو قتال ، فوافق الجنيد على الفور ، مما يدل على ثقته الكبيره فى هذا المولى ، ثم قال له : " تخندق حيثما نزلت ، ولا يفوتك حمل الماء حتى ولو كنت على شاطئ نهر ، وأن تطيعنى فى نزولك وارتحالك" .

ثم بين له وجه الخطأ فيما اقترحه قادة آخرون فقال : " أما ما أشاروا عليك فى مقامك بسمرقند حتى يأتيك الغياث ، فالغياث يبطئ عنك ، وأما ما أشاروا من طريق كَش ونَسَف (وهو غير الطريق الرئيسى المعتاد) فإنك إن سرت بالناس فى غير الطريق فتت فى أعضادهم ، وانكسروا من عدوهم ، واجترأ عليك خاقان (ملك الترك) وهو اليوم قد استفتح بخارى فلم يفتحوا له ، فإن أخذت غير الطريق بلغ أهلَ بخارى مافعلت فيسلموا لعدوهم ، وان أخذت الطريق الأعظم هابك العدو .

---

١) بخارى بالضم من أعظم مدن ماوراء النهر وأجلها تقع على مسيرة يومين شمال نهر جيجون (ياقوت ١ / ٣٥٣)

٢) سمرقند بفتح أوله وثانيه ، هى قصبة إقليم الصغد من بلاد الترك بينها وبين بخارى مسيرة سبعة أيام ، ويقال لها بالعربيه سمران (ياقوت ٤ / ٢٤٦)

والتزم الجنيد بهذه المشورة ، وتابع رأى عبد الله ، فأحرز انتصاراً كبيرا على الترك فى معركة مشهورة سميت" يوم الشعب" ، وتمكن من انقاذ بخارى ، وفك الحصار عنها ، ومما يدل على قيمة هذه المشورة وعظيم أثرها مايروى عن هذا المولى بعد وفاته من أنه جاء ولده خالداً فى المنام فقال له : " حَدِّث الناس عن رأيى فى يوم الشعب" ، وكان الجنيد يمتدح هذا المولى ، ويبدى إعجابه به عندما قال عن ابنه خالد :" زبدة من الزبد ، صنبور بن صنبور والصنبور الفريد الذى لا أخ له (١)

فى الدفاع عن النفوذ الأموى :

الفكرة الشائعة لدى كثير من المؤرخين أن الإيرانيين كانوا متشبعين بروح السخط والعداء لنظام الحكم الأموى ، وأنهم كانوا يسعون لزلزلة بنيانه ، وتقويض أركانه ، لأنه كان يحول دون تحقيق مطالبهم فى المساواة بالعرب ، وأنهم كانوا يسارعون إلى الانضمام لكل ثوره أو حركة معارضه ترفع لواء العداء له .

وقد رأينا فيما سبق أن الموالى الإيرانيين حققوا كثيرا من المكاسب تحت الرايه الأمويه ، وشاركوا إدارتها فى خراسان ، وأسهموا فى جيوشها ، واذا كانت حركات المعارضة قد نجحت فى اجتذاب بعضهم ، واكتساب تأييدهم ، فان هذا لا ينسحب على مجموعهم فقد رأى فريق منهم مصلحته فى مناصرة بنى أميه وعمالهم ، والتعاون معهم فى التصدى للثائرين والمنشقين على حكمهم .

---

١) الطبرى ٨ / ٢١٣ ، ٢١٤ ، ابن الاثير ٤ / ٣١٢

ومن المواقف التى برز فيها موقف هؤلاء الموالى الإيرانيين فى معاضدة الحكم الأموى موقفهم من ثورة قتيبة بن مسلم الباهلى الذى تولى إمرة خراسان فى بداية عهد الخليفه الوليد بن عبد الملك سنة ٨٦هـ، وكان من الناحية الإدارية خاضعًا لسلطان الحجاج بن يوسف والى العراق.

استطاع قتيبه أن يبسط سلطانه وهيبته على خراسان وثغورها حتى قال عنه الاصبهبذ حاكم طبرستان عندما سئل: أيهما كان أعظم عندكم وأهيب، قتيبه أم يزيد بن المهلب؟ فقال: "لو كان قتيبة بأقصى جحر فى الغرب مكبلا، ويزيد معنا وال علينا لكان قتيبة أعظم فى صدورنا وأهيب من يزيد" (١).

وتمكن قتيبة من توطيد أقدامه فى ثغر ماوراء النهر، إذاهتم منذ الوهلة الأولى بإعلان الجهاد فى هذا الميدان، وتابع الغزو فيه باستمرار واستطاع أن يحقق انتصارات عظيمة، وبفتح مدنا كثيرة، وأخضع إقليم الصغد (٢) ومدينه كاشغر (٣)، حتى وصل الى مشارف الصين.

---

١) ابن الاثير ١٤٣/٤ (٢) الصغد كورة من كور تركستان قصبتها سمرقند، قيل هما صغدان، صغد بخارى وصغد سمرقند ومن مدنها كشى ونَسَف، وبعضهم يجعل بخارى أيضا من الصغد والصغد فى الاصل اسم للوادى والنهر الذى تشرب منه هذه النواحى، وهذا الوادى مبدؤه من البتم فى بلاد الترك حتى الصغانيان على نهر جيجون (ياقوت ٤٠٩/٣)

٣) كاشغر بالتقاء الساكنين، فى وسط بلاد الترك، وهى إلى أقصى الشرق من سمرقند (ياقوت ٤٣٠/٤)

وقد أخطأ قتيبة عندما تجاوز دوره الإدارى والعسكرى ، وزج بنفسه فى دروب السياسه ومزالقها ، وكان من المؤيدين للخليفة الوليد بن عبد الملك فى عزل أخيه سليمان من ولاية العهد ، وتقليدها ولده عبد العزيز بن الوليد ، ولكن الامر لم يبلغ غايته وتوفى الوليد سنه ٩٦هـ ، وتولى سليمان حاملا النقمه ونية الفتك بكل من تمالأ على عزله .

وأحس قتيبه بالريبة ناحية الخليفة الجديد ، فأراد أن يأخذ بزمام المبادأه وهو فى مستقر عزه ، ممتنع فى جنده ، قبل أن يؤخذ بغتة ، ويجرد من أسباب قوته ، فأعلن العصيان على الخليفه الجديد ، ودعا إلى خلعه .

وكان قتيبه يفتقر إلى العصبيه القوية التى تنصره ، والقبيله الكبيره التى تؤيده ، لانه من باهلة الضعيفة القليلة العدد ، ولذا أراد قتيبه أن يوقظ فى الخراسانيين رابطه أخرى ، هى الرابطه الإقليميه التى تشمل العراق وايران ، ويقويها الشعور بالعداء لأهل الشام الذين يرون أنهم سلبوهم السلطان والمكانه السياسيه فقال لهم : " حتى متى يتبطح أهل الشام بأفنيتكم ، ياأهل خراسان انسبونى تجدونى عراقى الام والاب ، عراقى المولد ، عراقى الهوى والرأى والدين " (١) .

كما أراد قتيبه أن يجمع الناس من حوله ، ويثيرهم ضد الخليفه الجديد بتفجير قضية أجتماعية ، وهى تفضيل الاغنياء على

---

(١) الطبرى ٨ / ١٠٥

الفقراء ، وذلك عندما شبه الخليفه سليمان بيزيد بن شروان الملقب بهنبقه القيسي ، وهو أحد النوكى المشهورين ، "كان يطعم ابله السمان ويهمل العجاف ، ويقول : أنا لا أصلح ما أفسد الله" ويقصد قتيبه بذلك أن الخليفه كان يعطي ويصطنع أهل النعم واليسار ، ويهمل من سواهم (١)

ولكن قتيبة لم ينجح في إيجاد التكتل الخراساني الذى أراده ولم يجد تجاوبا من العرب ولا الإيرانيين ، نظرا لطبيعة تكوين جيشه الذى يعتمد على فرق من القبائل التي تحكمها العصبيات ولأن جنده - عربا وموالي - لم يجدوا في ثورته إلا أسبابا شخصية لا تقنعهم بالالتفاف حوله ، وتحدى الخلافه من أجله .

وأحس قتيبه باليأس من فريق العرب فقال لهم : " لا أعز الله من نصرتم ، والله لو اجتمعتم على عنز ماكسرتم قرنها شم ذكرهم قبيله قبيله فذمهم وحقر من شأنهم (٢) ، وأراد قتيبه أن يعول على فريق الموالي ، فقال في حديثه للعرب : " والله لأنا بمن معي من العجم أعز منكم " (٣) ولكن أمله فيهم خاب أيضا ، وقال لهم رئيسهم حيان النبطي : " يا معشر العجم لم تقتلون أنفسكم لقتيبه الحسن بلائه فيكم ؟ " (٤) ، وقال لهم أيضا : " هؤلاء - يقصد

---

١) البلاذري : فتوح البلدان ٤١٢

٢) ابن الاثير ٤ / ١٣٩

٣) اليعقوبي ٢ / ٢٩٥

٤) البلاذري : فتوح البلدان ٤١٣

العرب من أنصار قتيبه وأعدائه - يقاتلون على غير دين ، فدعوهم يقتل بعضهم بعضا" (١)

وكان موقف حيان العدائي من قتيبه له جذور قديمه ، حينما نقم قتيبه على بعض رجاله ومنهم حيان ، وأمر بعد عودته من فتوح ما وراء النهر الى مرو سنة ٩٣هـ بضربهم وحلق رؤسهم ، ويبدو أن سبب ذلك ماأشاعوه في خراسان من أن قتيبه" غدر بأهل سمرقند فملكها غدرا" (٢)

ورأى حيان وجنده الايراني أن مصلحتهم في مناصرة بني أمية والحزب المؤيد لهم من العرب وعلى رأسهم تميم ، وكان حيان العقل المدير للتخلص من قتيبه ، حتى قال عنه بعض أنصار قتيبه : " ليس يفسد أمر الناس الا حيان" ، وفكر قتيبه في أغتياله ، فأرسل في أستدعائه ليتخلص منه ، لكن حيان لم يكن غافلاً ، وكان له عيون ينقلون اليه مايدبر ضده ، فتظاهر بالمرض ، ولم يلب النداء .

وأخذ حيان يبذل الجهد لجمع الرافضين لحركة قتيبه في جبهة واحدة قوية ، ورأى أن هذا الامر لن يتم إلا بالالتفاف حول شخصية قويه تكون ندا لقتيبه وتتمتع بالعصبيه القويه ، فدعا الى مبايعة أحد زعماء تميم وهو وكيع ، وتنصيبه واليا مكان قتيبه ، وقال لزعماء القبائل

---

١) الطبري ٨ / ١٠٦

٢) ابن الاثير ٤ / ١٢٨ ، ويشير هذا المؤرخ (٤ / ١٤٣) الى أن موقف قتيبه العنيف مع أهل سمرقند كان بسبب نقضهم وكثرة غدرهم بالمسلمين ، وتنفيذا لأوامر الحجاج بن يوسف الذي قال له : " اختلهم واقتلهم في الله"

: "إن أحدا يتولى هذا الأمر غير وكيع ليصلى بحره ، ويبذل دمه ويتعرض للقتل ، فإن قدم أمير أخذه بما جنى" ، وبين لهم أسباب ترشيحه لوكيع فقال : "إنه لا ينظر فى عاقبة ، وله عشيرة تطيعه ، وهو مبتور يطلب قتيبه برياسته إذ صرفها عنه ، وصيرها لضرار بن حصين الضبى".

وعقد حيان اتفاقا مع وكيع فقال له : "إن أنا كففت عنك ، وأعنتك أتجعل لى الجانب الشرقى من نهر بلخ ، خراجه ما دمتُ حيا ، وما دمتَ أميرا ؟ قال نعم"(1)

وجاء دور التنفيذ عندما وقع الصدام المسلح بين قتيبه ووكيع وكان حيان وفرقته الايرانيه فى معسكر قتيبه ، فصرف رجاله عن المشاركة معه ، وأظهر التقاعس عن القتال ، واستاء حزب قتيبة لذلك وطالبه أخو قتيبه أن يحمل على العدو فقال : "لم يأن بعد" ثم أسرَّ إلى ابنه قائلا : "إذا رأيتنى حولت قلنسوتى ، ومضيت نحو عسكر وكيع فمل بمن معك من العجم إلى".

وعندما أعطى حيان الإشاره المتفق عليها انضمت الأعاجم الى عسكر وكيع وكبروا ، وأدى ذلك الى اختلال صفوف قتيبة ، وهزيمة جنده ، ومصرعه فى النهاية(2) وبذلك ثبت سلطان بنى أميه وتخلصوا من هذه الثوره التى كانت تهدد ملكهم فى المناطق الشرقية ، وكان من الممكن أن تكلفهم غاليًا ، لو انضم إليها الموالى

---

١) الطبرى ٨ / ١٠٦

٢) الطبرى ٨ / ١٠٨

كما حدث في ثورة ابن الأشعث، ولكن تصدّى أنصارها من العرب والموالي لهذا التمرد كفاهم مئونة إيفاد الجيوش وبذل الأموال .

وقد يُثار احتمال أن الموالي الإيرانيين أرادوا بموقفهم من قتيبة أن يضعفوا شوكة العرب بضرب بعضهم ببعض، وتأييد فريق ضد آخر، ولو صح ذلك لاختار الموالي جانب المعارضة للحكم الأموي ، وما قدّرت منهم الخلافه هذا الموقف، ولكنها كانت تكبر حيان وابنه مقاتلاً كما أسلفنا ، وكان لهذا الابن موقف آخر يشهد بإخلاصه عندما كان يحاول منع الفتنه التي وقعت بين العرب اليمنية والمضرية في خراسان في أواخر العصر الأموي .

واذا كان بعض الموالي قد وقفوا هذا الموقف المعارض من قتيبة فإن بعضهم كان يكبر فيه جهاده وبطولته ، وعبروا عن أسفهم لمقتله فقالوا : يامعشر العرب قتلتم قتيبه ؟ والله لو كان منا فمات لجعلناه في تابوت ، فكنا نستسقي به ، ونستفتح إذا غزونا ". وأبدى الاصبهبذ حزنه لمصرعه ، ووصفه بأنه " سيد العرب"[(١)]

ووقف الإيرانيون موقفا مشابها من ثورة يزيد بن المهلب الذي أثار غضبة الخلافة عليه عندما استغل نفوذه وقربه من الخليفة سليمان ابن عبد الملك (٩٦ -٩٩هـ) فانساق خلف الرغبة في الانتقام ونكّل بأقارب الحجاج ورجاله ، لموقف الحجاج السابق منه ، ولم

---

١) ابن الأثير ٤ / ١٤٣
٢) أشرنا الى ذلك في الفصل الأول .

يلتزم الامانه فى التصرف فى أموال الفىء التى حصل عليها من فتوحات جرجان وطبرستان ، وأغضب بذلك أخا الخليفة يزيد بن عبد الملك الذى كان صديقا لآل الحجاج وأقسم لئن ظفر به ليقطعن منه طابقا"، كما أغضب الخليفه عمر بن عبد العزيز الذى طالبه برد أموال المسلمين ، وسجنه من أجل ذلك

وعند ما توفى عمر بن عبد العزيز ، خشى ابن المهلب أن ينفذ الخليفه الجديد يزيد بن عبد الملك سابق وعيده فيه ، فدبر أمر الفرار من سجنه ، وأعلن عصيانه ودعا أهل البصرة إلى طاعته وأغدق عليهم الاموال ليستميلهم.

ولم ير الموالى الإيرانيون الموجودون فى خراسان أو المستقرون منهم فى العراق فى ثورة يزيد بن المهلب إلا موقفاً فردياً لا يهم أحداً سواه ، ولا يعبر عن شىء من مطالبهم ، فلم يتجاوبوا معها ، وآثروا موءازرة الخلافة فى مواجهتها ، وانضم قائدهم حيان النبطى إلى جيش الخلافة القادم من الشام بقيادة مسلمة بن عبد الملك ، وعبر حيان لهذا القائد عن استعداده للتصدى ليزيد وقال له : " أنا أضمن لك أنه لا يبرح العرصة" (١)

ولم يكن يزيد نفسه يشعر بإمكان استمالة الإيرانيين إليه ، ولذلك رفض نقل ميدان الثورة إلى بلادهم عند ما اقترح عليه أخوه أن يتخذ إقليم فارس قاعدة لثورته ، وبذلك يكون قريباً من خراسان

---

١) ابن الاثير ٤/ ١٧٠

وفيها كثير من قومه الازد ، ويستطيع أن يطاول أهل الشام، وقال له : " ليس هذا برأى ، تريدون أن تجعلونى طائرًا على رأس جبل؟ (١)

وقد ذكرت المصادر قوات ابن المهلب موزعة على القبائل ، وبلغ عددهم ـ كما قدرته ـ مائة وعشرين ألفا ، ليس فيهم أحد من الموالى (٢)
ولم تستطع هذه الثورة أن تستمر طويلا ولقيت الهزيمة الساحقة عند أول مصادمة لها مع قوات الخلافه سنة ١٠٢ هـ .

---

١) ابن الاثير ١٧١/٤

٢) ابن الاثير ١٧٢/٤

الفصل الخامس

دور الإيرانيين في ثورات الشيعة

انصراف الإيرانيين عن التيار الخارجي :

كانت مشاركة الإيرانيين في ثورات الخوارج قليلة محدودة برغم كثرتها وتعددها في العصر الأموي ، واتخاذها من بلادهم ميدانًا رئيسيًا لها ، وكانت مبادئ الخوارج وشعاراتهم الأساسية في مصلحتهم إذ كانت تدعو الى الشورى ، وأن يكون اختيار الإمام من أية جماعة من المسلمين ولا يشترط أن يكون عربيًا أو عجميًا ، حرًا أو عبدًا ، ولقيت حركة الخوارج نجاحًا أكبر خارج منطقتهم ، إذ وجدوا في بلاد المغرب تأييدًا من البربر ، واستطاعوا أن يقيموا دولة قوية هناك هي الدولة الرستمية .

وكانت أعداد الموالي الإيرانيين المنضمين إلى الخوارج لا تتجاوز المئات أو العشرات ، منذ بداية ثورتهم ، ففي سنة ٣٨ هـ في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه انضم جماعة منهم إلى أبي مريم السعدي التميمي الذي خرج في شهرزور (١) ، قدر عددهم بمائتين ، وقيل أربعمائة ، ولم يكن معه من العرب الا سته نفر. (٢)

وفي سنة ٤١ هـ انضم منهم ثلاثون رجلا فقط الى أبي ليلى ، وهو ثائر خارجي ، أسود اللون ، طويل القامة ، ذهب إلى مسجد الكوفة ، وأخذ بعضادتي بابه ، وحكّم بصوت عال فلم

١) كورة واسعة في إقليم الجبال بين اربل وهمذان ، ومعظم أهلها من الأكراد ، وهم موالي عمر بن عبد العزيز (ياقوت ٣ / ٣٧٥)
٢) ابن الاثير ٣ / ١٨٨

يعرض له أحد ، ولم يتبعه إلا هؤلاء الموالى ، وانتهى أمره بانهزامه أمام قوات المغيرة بن شعبة فى سواد الكوفة سنة ٤٢ هـ (١)

وكان بعض الافراد من الفرس يعتنقون مذهب الخوارج، ويشاركون فى حركات الشغب والاغتيالات التى يقومون بها ، ومنهم علج من أهل فارس يدعى مسلما ، دخل البصرة ، وأعلن إسلامه واتبع مذهب الخارجية ، وفى سنة ٦٥هـ دخل مسجد البصرة ورمى نائب الوالى عبيد الله بن زياد المسمى مسعود بن عمرو الازدى بسهم فأصاب قلبه وأرداه . (٢)

وفى سنة ٦٨هـ تعاون أهل الرّى وزعيمهم الفرخان مع الخوارج ولم يكن ذلك نقمة على الاموبين ، لانه كان فى الفتره التى سيطر فيها مصعب بن الزبير على العراق ، وقد وجه مصعب حمله إلى الرّى لتأديبهم . (٣)

وفى الجانب الفكرى المذهبى نجد من علماء الخوارج بعض الموالى مثل أبى عبيده كورين (الذى تسمى بمسلم) مولى عروة ابن أدية ، وكان على مذهب الاباضية . (٤)

وطبيعى أن نجد هذه المشاركة ، وأن يتأثر بعض الموالى بالحركة الخارجية التى نشطت فى بلادهم ، واتخذت من أقاليم فارس وكرمان وطبرستان وغيرها ميادين لها (٥) ، ولكن هذه

---

١) ابن الاثير ٣ / ٢٠٧ . (٢) الطبرى ٧ / ٣١ .
٣) ابن الاثير ٣ / ٣٩١ ، ٣٩٢
٤) الجاحظ : البيان والتبيين ٣ / ٢٦٥
٥) انظر أخبار الخوارج الازارقه فى احداث سنه ٧٧هـ فى الطبرى وابن الاثير

المشاركه تتضاءل أمام مشاركتهم فى حركات المعارضة الأخرى التى قام بها الشيعة والعباسيون ، والداعون للإصلاح فى الجيش الخراسانى ، ومنهم الحارث بن سريج ، وكان تعاون الإيرانيين واضحاً فى مواجهة ثورات الخوارج ، وكان يشارك المهلب بن أبى صفرة فى حرب الأزارقة سنة ٧٧هـ جماعات من الموالى والدهاقين ، وادعوا أنهم أصحاب الفضل فى قتل زعيمهم قطرى بن الفجاءة ونازعوا العرب هذا الأمر ، ومنهم بادام مولى بنى الأشعث ، وعمر بن أبى الصلت بن كناز مولى نصر بن معاوية ، وهو من الدهاقين .(١)

ونستطيع أن نجد تفسيرًا لموقف الإيرانيين من الحركة الخارجية فى اختلاف طبيعتهم عن طبيعة الخوارج من ناحية التكوين الفكرى والنظام الاجتماعى ، فالايرانيون عرفوا حياة التحضر والاستقرار منذ القدم ، وعاشوا فى ظل نظم سياسية متطورة ، وحياة أجتماعية راقية وأما الخوارج فقد عاشوا حياة الخشونة والبداوة ، والزهد ، حتى وصف الحجاجُ زعيمَهم قطريَّ بن الفجاءة فى رسالة وجهها إليه بقوله : " إنك أعرابى جلف ، تستطعم الكسرة ، وتستشفى بالتمرة "(٢) ولا يمكن لهذا النمط من الحياة أن يجذب إليه الإيرانيين .

وبرغم ما اتصف به الخوارج من شجاعة فائقة ، وتشدد فى العبادات ، فإننا لا نجد لهم فكرًا واضحاً أو مبدأ مقنعا يستحق أن يحاربوا من أجله بهذا العنف ، ويضحوا فى سبيله كل هذه التضحيات .

---

(١) الطبرى ٧ / ٢٧٥ (٢) الجاحظ ٢ / ٣١٠

ويتخذوا هذه المواقف المتشددة من مخالفيهم من المسلمين ، ولم تثبت لهم حجة عند ما نوقشوا فى أفكارهم أمام خصومهم وهُزموا فى مناظراتهم أمام على بن أبى طالب وعمر بن عبد العزيز [١].

ونجد الخوارج يقاتلون من أجل أشياء تافهة لا قيمة لها إذ يقول صاحب العقد الفريد [٢] : " كانت الخوارج تقاتل على القدح يؤخذ منها ، والسوط والعلق الخسيس (كالجراب أو الفرس أوالسيف أشد قتال " ، ويرى الدكتور أحمد شلبى [٣] أن الخوارج ثاروا أولا ، ثم بحثوا عن أسباب تبرر ثورتهم حتى أعياهم البحث ، ويقول : " لا يكاد الباحث يجد سببًا حقيقيًا جديرًا بأن يدفع الخوارج إلى إراقة الدماء التى أراقوها ، وازهاق الأرواح التى أزهقوها ، والى سلب أموال المسلمين وقتل نسائهم وأطفالهم " .

يضاف إلى ذلك أن الخوارج فى إيران لم يشكلوا جبهة واحدة وكانوا فيما بينهم دائمى الانقسام والخلاف ، وتفرقوا - خلال فترة قصيرة ، - طرائق قددا ، فتشعبوا الى أزارقة وبيهسيه وأباضية وصفرية ، وغيرها [٤] . وكان إصرارهم على القتال مهما كانت الظروف غير مواتية ورفضهم لمبدأ القعدة يحرمهم من التخطيط والإعداد الجيد ، ويجعلهم عرضه للاجتثاث والاستئصال دونما أمل فى النجاح .

---

١) الطبرى ٨ / ١٤٢ (٢) ابن عبد ربه ١ / ٢٢٣
٣) موسوعة التاريخ الاسلامى - جـ ٢ /ص ٢٢٩ ، ٢٤٤
٤) أنظر الطبرى ٧ / ٥٧ ، ٢٦٩ ، اليعقوبى ٢ / ٢٧٢

وإذا كانت صفات الخوارج وأفكارهم لم تؤهلهم للنجاح في مجتمع متحضر كالمجتمع الإيراني ، فإنها أثمرت في مجتمع آخر كان أكثر ملاءمة لها ، وهو مجتمع البربر في المغرب، لأنهم يشاركون الخوارج في سماتهم البدوية من خشونة وتشدد ، كما أن الفِرق التي نجحت هناك هي التي طورت من أفكارها وهذبتها وهي الاباضية والصفرية ، الذين خففوا من غلوائهم بقبول مبدأ القعدة وعدم تكفير مخالفيهم من المسلمين .(١)

ارتباط الإيرانيين بالاتجاه الشيعي :

مع تسليمنا بدور الفرس وتأثيرهم الكبير في الحركه الشيعية ، وتلاحمهم بها فكراً وتاريخاً ، إلا أننا نرى أنه من المبالغة أن نعتبرهم العنصر الوحيد أو الأول المسئول عن حركات الشيعة وثوراتهم ، وما شاب التشيع من أفكار دخيلة ومبادئ هدامة ونتجاهل دور غيرهم .

فمن الثابت تاريخيًا أن التشيع نشأ نشأة عربية سواء أرجعنا جذوره إلى حادث التحكيم أو إلى ما قبل ذلك ، وأن ميدان التشيع لم يكن مقصورا على الفرس بل سبقتهم إليه وشاركتهم فيه عناصر أُخرى كثيرة ، وأكثر الطوائف غلوا ، التي ينسب إليها كثير من مبادئ الشيعة المتطرفة كالرجعة وتألية الإمام ، ترجع إلى أصل

---

١) عن أخبار هؤلاء الخوارج في المغرب ارجع الى ابن عذاري : البيان المغرب (طبعة بيروت) ص٥٦ والسلاوي : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ص٤٩

عربي يمني ، وأكثر دعاة الشيعة ، الذين حملوا فكرها واضطلعوا بنشرها في المشرق والمغرب ، وبخاصه الرؤس التي تحركهم ، كانوا من العرب.

ومن أشد الفرق الشيعية التي عُرفت بالتطرف والغموض الفرقة الإسماعيلية ، والتي ينتمي إليها الباطنية والقرامطة أصحاب الأفكار الغريبة والأساليب الدموية ، هذه الفرقة نجحت في المغرب أكثرمما نجحت في المشرق ، واستطاعت أن تقيم الدولة الفاطمية التي امتدت إلى مصر والشام ، ولكنها لم تستطع أن تشق طريقها في بلاد الفرس ، وهي في أزهى عصورها وتمام قوتها ، وأساء معظم أمراء الفرس الرد على رسائل العزيز بالله الفاطمي (٣٦٦-٣٨٧هـ) وأهانوا رسله .(١)

وإذا كان التشيع قد نجح في بلاد الفرس ، ووجد قاعدة شعبية صادقة التأييد ، وحظي بينهم بالبقاء والاستمرار ، أكثر مما وجد في المغرب ، فإن التشيع حقق ذلك في مناطق أخرى كالعراق واليمن .

ولا ننسى أن وصول التشيع إلى إيران ، وانتشاره فيها قام على أكتاف دعاة من العرب ، وحمل رايته ثائرون من العرب مثل المختار الثقفي وأبناء البيت العلوي ، وقادة الدعوة العباسية .

---

١) البغدادي : الفرق بين الفرق - القاهره ١٩٤٨ م - ص١٧٥ ١٧٦

والنظرية المشهورة لدى المؤرخين ، التي تفسر ارتباط الايرانيين بالتشيع، وهي الفكرةالتي نادى بها براون وجوبينو (١) تنبني على قاعدتين هما : نظرية الحق الإلهي المقدس للملوك التي استقرت في نفوس الفرس منذ أقدم عهودهم، مما جعلهم يقدسون الاشخاص، ويرون أن فكرة توارث الملك أمر طبيعي وأن أحق الناس بوراثة النبي صلى الله عليه وسلم هم أحفاده وآل بيته ، الذين يجري في عروقهم دم النبوة.والقاعدة الثانية التي ترتكز عليها هذه النظرية هي امتزاج الدم الفارسي بالدم العلوي عن طريق زواج الحسين بن علي من شهربانوه بنت كسرى وبذلك جمع أبناؤه بين أشرف دم عربي وأنقى دم فارسي .

وهذه النظرية - في اعتقادنا - تحتاج إلى إعادة نظر، لانها لا تكفي وحدها في تفسير ارتباط الفرس القوي بالتشيع ، فنظرية الحق الإلهي المقدس للملوك ، لم تكن منتشره لدى الفرس وحدهم بل كانت شائعة لدى معظم الامم القديمة ، والشعوب التي دخلت في الإسلام، عرفها المصريون منذ عهد الفراعنة، وعرفتها الامم التي وقعت تحت الحكم البيزنطي .

وفكرة الحكم الوراثي ، وأحقية آل البيت تقبلتها كثير من الامم التي لم تتأثر بهذه النظرية، مثل البربر في المغرب الاقصى الذين

---

١) انظر الدكتور حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسي - الطبعه السابعه سنة ١٩٦٤ .

ارتضوا حكم الأدارسه العلويّين وتمسكوا به ، ونبذوا ماعرفوه من قبل من أفكار الخوارج الداعية إلى الشورى ، ورفض التوارث أو التفاضل بين المسلمين .

وإذا كان الدم الفارسي قد امتزج بالدم العلوى ، فإنه قد امتزج أيضا بالدم الأموى ، وكان الخليفة الوليد بن يزيد من أم فارسية وكان يفخر بهذا الانتساب[1] ، ولكن الفرس لم يرتبطوا بهذا النسب كما ارتبطوا بالعلويين .

كما أن هذه النظرية لا تفسر لنا سبب تأييد فريق من الإيرانيين للكيسانية التى تدعو لمحمد بن الحنفية ، وهو ليس من أبناء فاطمة وبالتالى لا يجرى فى عروقه دم النبوة ، كما أنه لم يتصل بالدم الفارسى.

وهذه النظريه قد تكون عاملاً ثانويا أو مرجّحا ، ولكنها لا تصلح أن تكون العامل الأوحد أو الرئيسى فى تفسير ارتباط الفرس بالتشيع الذى نرى أنه يرجع إلى عدة أسباب أخرى .

وأول هذه الأسباب التجاور المكانى بين إيران ومركز التشيع فى الكوفة ، التى ظهر فيها التشيع منذ اتخذها على بن أبى طالب مستقراً له ، وتركز فيها أنصاره ، وكانت أحداث التشيع وتطوراته تجرى فيها على مسمع ومرأى من الإيرانيين ، كما أن كثيرًا منهم وفدوا عليها واستقروبها ، وعلى أعتابها كان مصرع الحسين بن على الذى هز مشاعر المسلمين عربا كانوا أم عجما ، وفيها قتل حفيده زيد بن على .

ويضاف إلى ذلك التلاحم التاريخى بين الفرس والتشيع مما أدى

---

١) ابن الأثير ٣ / ١٨٥

إلى الانصهار في بوتقه الأحداث الواحدة المشتركة ، وبدأ الفرس يرتبطون بالتشيع منذ خلافة على بن أبى طالب، عندما رأوا في حكمه العدل والإنصاف، ورعاية ذوى المكانه والشرف منهم وكان على قد أشار على عمر بن الخطاب ألا يعامل السبايا من بنات كسرى كغيرهن من السوقة، وأشار بتزويجهن لبعض أشراف العرب على أن يدفعوا ما يقوّمن به ، فدفع عمر بواحدة إلى ابنه عبد الله ، وبالثانيه إلى محمد بن أبى بكر، وبالثالثة إلى الحسين ابن على .

وعندما صارت الخلافة إلى علىّ أمر عماله بالإحسان إلى الفرس مسلمين وذميين ، وعندما سير زياد بن أبيه لتأديب المنقشين من أهل فارس قال له :" اتق الله ما استطعت، ولا تبغ على أهل القبله ولا تظلم أهل الذمة"، ولا تتكبر فإن الله لا يحب المتكبرين (١) .

وعندما شكا بعض الدهاقين من عامله عمرو بن مسلمه كتب إليه : " إن دهاقين بلادك شكوا منك غلظة واحتقارا ، فنظرتُ إليهم فلم أرهم أهلا لأنْ يُدْنَوا لشركهم، ولم أر أن يقصوا ويجفوا لعهدهم فالبس لهم جلبابا من اللين تشوبه بطرف من الشدة في غير ما أن يُظلموا ولا تنقض لهم عهدا"

وكانت ثورات العلويين والشيعة تجرى على أطراف بلادهم ، ثم امتدت إليها ، ولا شك أن مصرع الحسين بن على قرب الكوفة سنة ٦١هـ قد حرك مشاعرهم، وجاء المختار الثقفى فاستطاع

---

١) ابن الأثير ٣ / ١٨٥

أن يوثق العرى بينهم، وبين الحركه الشيعيه، ويحول المشاعر إلى عمل، ويوقظ في نفوسهم آمالا كبارا، ثم جاء يحيى بن يزيد فامتد بالتشيع الى الميدان الايرانى، وانتقل بثورته الى خراسان التي لقى فيها مصرعه سنه ١٢٥هـ.

وعرف كثير من الايرانيين الاسلام عن طريق دعاة من العلويين نشطوا في نشره بينهم، فتلقوه ممزوجا باتجاههم وأكفارهم، مثل سكان نواحى شهرزور، الذين تلقوا الاسلام على يد زيد بن علي.(١)

وكانت عملية التأثير الفكرى النشط التى قام بها دعاة الشيعه فى ايران عنصرا فعالا فى ربط أهل البلاد بهذا المذهب، وكانت دعوتهم تمتاز بالتخطيط الجيد، والعمل السرى الدائب، وواضح أن خلاياهم أنبثت فى خراسان منذ وقت مبكر، قبل ظهور الدعوة العباسية، وأن الكيسانيه قد نجحوا فى استثمار نتائج ثورة المختار و تأثيرها فى الفرس، وتولى زعيمهم أبو هاشم بن محمد بن الحنفيه توجيه الدعاة حتى أصبح له كثير من الموالين فى خراسان والعراق وهم الذين أصبحوا بعد ذلك نواة الدعوة العباسية، حينما تلقوا أوامره قبل موته بتحويل ولائهم إلى العباسيين(٢)

وتلقف العباسيون هذه الخلايا السرية، وعملوا على تطويرها وزيادة نشاطها، وأرسلوا الدعاة والنقباء، وكان الايرانيون أرضاً بكرا فغرس فيها هؤلاء الدعاة أفكارهم ومبادئهم، وأيقظوا فيهم

---

١) ياقوت ٢ / ٣٧٥ (٢) ابن الاثير ٤ / ١٥٩

الطموحات البعيدة ، يدل على ذلك قول صاحب الدعوة محمد بن على العباسى لدعاته : " عليكم بأهل خراسان ، فإن هناك العدد الكثير ، والجلد الظاهر ، وهناك صدور سليمة ، وقلوب فارغة ، لم تتقسمها الأهواء ، ولم تتوزعها النحل ، ولم يقدم عليها فساد "(١)

وكان سوء الإدارة الأموية فى بعض فتراتها ، وقسوة بعض عمالها على الموالى مثل الحجاج ، وأسد بن عبد الله ، وأشرس بن عبد الله الذين آثروا المصلحة المالية على الالتزام بالمبادئ الإسلامية ، عاملاً مساعداً فى تطلع الايرانيين الى عهد جديد وارتباطهم بالتشيع عسى أن يجدوا فيه تحقيقا لهذا الأمل .

وأما انتشار الفكر الشيعى المغالى ، وانحراف التشيع بصورة واضحة عن المسار الإسلامى الصحيح فانه يرجع فى أغلبه إلى العهود التى تلت العصر الأموى ، ويدل على ذلك أن أكثر الأعلام الذين ترتبط بهم فرق الشيعه ، يرجعون الى العصر العباسى كإسماعيل بن جعفر الصادق (٢) الذى تنسب إليه الإسماعيلية ، والحسن العسكرى (٣) آخر الائمه الاثنا عشرية ، وكذلك الفرق المغالية كالباطنيه من أتباع الحسن الصباح ، والقرامطة ، ومفكرو الشيعه المشهورين كالكلينى والقمى والطوسى(٤) .

وهكذا نرى أن ارتباط الفرس بالتشيع قام على أسس متعدده ، امتزج فيها الفكر بالعمل ، وارتوت فيها العاطفه بالدماء ، والتقت فيها

---

(١) ياقوت ٢ / ٣٥٢ (٢) مات قبل أبيه الذى توفى سنه ١٤٨ هـ

(٣) توفى سنة ٢٦٠ هـ (٤) محمد بن يعقوب الكلينى صاحب كتاب الكافى ت ٣٢٩ ، ومحمد بن على القمى ت ٣٨١ ، ومحمد بن الحسن الطوسى ت ٤٦٠ هـ .

المصالح بالاموال ، ولم يقم فقط على اطلال فكرة قديمة تـــوارت مع ظهور الاسلام ، ومصاهرة فرديه ، لم تكن فريدة من نوعها بين قادة العرب وسبايا الفرس.

الإيرانيون وثورة المختار الثقفى

موقف المؤرخين من المختـــار :

ينتمى المختار بن أبى عبيد بن مسعود الثقفى إلى قبيلة ثقيف العربية التى كانت تسكن الطائف، والتى قدمت لبنى أمية كثيرًا من القادة والأبطال المشاهير مثل المغيرة بن شعبة ، وزياد بن أبيه وابنه عبيد الله ، والحجاج بن يوسف ، ومحمد بن القاسم ، ويوسف ابن عمر. وأبوه هو الصحابى الجليل أبو عبيد بن مسعود الذى أبدى شجاعة نادره واختاره الخليفة عمر بن الخطاب ليقود الجيوش الفاتحه فى حرب الفرس، ولقى الشهادة فى موقعة الجسر سنه ١٣ هـ.

وارتبط المختار منذ نشأته بالاتجاه العلوى الشيعى ، فكان هو وأسرته من أنصار على بن أبى طالب ، وتولى عمه سعد بن مسعود المدائن عاملا لعلى ، وكان المختار ينوب عنه اذا خرج لقتال الخوارج (١)

---

١) الدينورى : الاخبار الطوال - تحقيق عبد المنعم عامر - مكتبة المثنى فى بغداد - طبعة بالاوفست - ص ٢٠٥

وبدأ المختار حركته الثوريه ضد بني أميه سنة ٦٦ هـ كرد فعل لمصرع الحسين بن علي في المحرم سنه ٦١ هـ، معلنا شعار الثأر له ، واستطاع أن يجذب الى حركته كثيرا من أهل الكوفه من العرب والموالي الايرانيين ، ونجح في انتزاع الكوفه من عامل ابن الزبير ثم انتصر على الجيش الذى وجهه اليه الامويون في موقعة خازر سنه ٦٧هـ ، وتمكن من الثأر من كثير من قتلة الحسين ، وعلى رأسهم الوالي الأموى عبيد الله بن زياد ، وبسط سلطانه على عدة مناطق مجاوره حتى شمل الموصل وارمينيه وأذربيجان [(١)] ، وفي نهاية المطاف دخل في صراع عنيف مع مصعب بن الزبير ، ولقي مصرعه أمامه في رمضان سنة ٦٧هـ ، وكان عمره سبعا وستين سنه [(٢)]

تعرض المختار لهجوم كبير من المؤرخين قدماء ومحدثين ، وقليل منهم من نظر اليه بعين الحيده والإنصاف [(٣)] ، فاتهم بأنه متقلب الاهواء متغير الولاء ، كما اتهم بالكذب والادعاء ، فقيل انه كان علويا ، ثم اراد أن يكون أمويا ، وأغرى عمه بتسليم الحسن ابن علي إلى بني أمية [(٤)] ، ثم انضم الى ابن الزبير وبايعه ، ثم انشق عليه ودعا الى نفسه بالكوفه [(٥)] ، وزعم أنه موفد من قبل

---

١) الطبرى ٧ / ١٠٩ ، الدينورى ٢٩٩
٢) انظر أخبار المختار في الطبرى حـ٧ ، والمسعود حـ٣ واليعقوبى حـ٢ ، وابن الاثير حـ٣ ، والدينورى ص٢٠٥ ومابعدها ، (في أخبار السنوات من ٦٤ الى ٦٧) .
٣) مثل الاستاذ الدكتور على حسني الخربوطلي في كتابه : المختار بن أبي عبيد الثقفي (من سلسلة أعلام العرب)
٤) ابن الاثير ٣ / ٢٠٣ ، ٣٣٧
٥) المسعودى ٣ / ٧٤

محمد بن الحنيفة ، ولم يتورع عن ادعاء النبوة ، والقول بالبداء[1] ، وتقديس كرسي زعم أنه لعلي بن أبي طالب وأنه بمنزلة تابوت موسى وكان يقدمه في معاركه ليجلب له النصر[2] .

ولكن استنطاق الأحداث وتتبع الوقائع يوضح لنا أن المختار كان صادق التشيع ثابت المبدأ والغاية ، ولكنه كان يبحث عن الوسيلة المثلى التي يحقق بها ما يريد ، وكان تغيره على الحسن بن علي ، وتحريضه على تسليمه لبني أمية بسبب ما أشيع عن أعتزام الحسن الصلح معهم ، والتنازل لمعاوية ، ولكنه عندما رأى بعد ذلك الجدية وصدق العزيمة من الحسين بن علي لم يتوان في تأييد داعيته بالكوفة عقيل بن أبي طالب ، وكان أكثر الناس إخلاصاً له ، وتعرض بسبب ذلك لعقاب الوالي عبيد الله بن زياد الذي ضربه حتى شتر عينه ، وأودعه في السجن[3] .

وكان المختار خلال هذه المحنة لا ينفك يردد في سجنه أنه الثائر المنتقم الذي يحمل على عاتقه مهمة الثأر للحسين ، حتى تشفع له عبد الله بن عمر فخرج من سجنه ، وعندما قامت حركة التوابين بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي مطالبين بدم الحسين وقف منهم موقف المعارضة ، لأنهم اعتمدوا على الانفعال العاطفي دون الإعداد والتخطيط ، ولذا كان المختار يصف زعيمهم بأنه

---

١) يقال إنه كان يعد أتباعه بالوعود فإذا لم تتحقق قال لهم : إن الله قد بدا له غير ذلك .

٢) الشهرستاني : الملل والنحل - مكتبة الحلبي بمصر - ١ / ١٤٧ - ١٤٩

٣) ابن الأثير ٣ / ٢٧٥

" ليس بذى تجربه للأمور ، ولا علم له بالحرب ، وإنما يريد أن يخرجكم فيقتل نفسه ويقتلكم" (١) وعند ما حبسه أهل الكوفه حتى لا يعترض سبيل التوابين ، كان يردد فى سجنه مايؤمن به من أنه وحده الذى يستطيع أن يضطلع بهذه المهمة ، وقد أثبتت الأحداث صدق رأية وتوقعه لحركة التوابين إذ لقوا مصرعهم أمام جيش ابن زياد فى عين الوردة ٦٥ هـ (٢)

وأما موقفه من ابن الزبير ، فكان المختار يريد أن يربط بين حركة ابن الزبير والحركة الشيعية ، ويوحد جهودهما ضد بنى أمية ولذا اتجه إلى الانضمام إليه ، واشترط عليه " ألا يقضى الأمور دونه ، وأن يجعله أول الداخلين عليه" ، ولكن ابن الزبير لم يلتزم بهذا الشرط ، فلم يشركه فى أمره ، فاقترح المختار أن يكون نائبه فى الكوفه ليجمع أهلها من حوله ، فما لبث ابن الزبير أن اعترض على وسائل المختار فى تأليفهم ، واغداقه المال عليهم ، وتصرفه فى بعض الأموال لحساب نفسه (٣) ، فأحس المختار بفشل هذا التحالف الشيعى الزبيرى ، ونبذ طاعته .

ونستطيع أيضا أن نربط بين موقف المختار من ابن الزبير ، وموقف محمد بن الحنيفة ، الذى أعلن المختار أنه داعيته الموكل من قبله ، فقد رفض ابن الحنفية مبايعة ابن الزبير ، وعارضه فى مكة وتعرض بسبب ذلك لسجنه ، وكان موقف المختار موافقا لموقفه (٤).

---

(١) الطبرى ٣ / ٢٧٥ — (٢) المسعودى ٣ / ٩٣
(٣) المسعودى ٣ / ٧٤ — (٤) ابن الاثير ٣ / ٢٧٥

وأما اتهام المختار بأنه كان مدعيا فى ارتباطه بابن الحنفية وأنه لم يكن موفداً حقيقة من قبله ، فقد استشهد المختار أمام أهل الكوفه عند ما تعرض لهذا الاتهام ببعض علماء الكوفه وقرائها ، فشهد له جماعة منهم مثل يزيد بن أنس وأحمر بن شميط، وعبد الله بن كامل وجماعتهم ، وهم قوم عدول ، ليس هناك مايدعوهم إلى شهادة زور، ورفض بعض آخر أن يشهد له مثل الشعبى وأبيه (١).

ولم يثبت عن محمد بن الحنيفة أنه تبرأ من المختار أو أعلن أنه يفترى عليه الكذب ، بل على العكس التزم ابن الحنفية بنصيحة عبد الله بن العباس فى عدم تكذيبه أو العيب فيه (٢) ، وكانت هدايا المختار تأتيه فيقبلها (٣) ، وكان يكاتبه باستمرار، ويوجه إليه برؤوس من ظفر بهم من قتلة الحسين (٤) .

وعند ما شكك بعض أهل الكوفة فى صدق المختار طلب منهم أن يرسلوا وفداً إلى ابن الحنفيه ليتأكدوا بأنفسهم وكان من بين أهدافه أن يريثهم حتى يكتسب وقتا ، ويرجع معظم جيشه الذى كان بعيدا عن الكوفه ، ولكن هذا الموقف من المختار يدل على ثقته فى دعواه إذ كيف يكون موقفه لورجع الوفد مكذبا له ، وهناك موقف عملى يدل على اعتراف ابن الحنفية به وتأييده له ، وذلك عند ما أرسل إليه وهو فى سجن ابن الزبير يستنجد به ، ويطلب نصرته ، فارسل المختار

---

١) المسعودي ٣ / ٧٤ (٢) ابن الاثير ٣ / ٢٧٥
٣) ابن الاثير ٣ / ٣٨٨
٤) الدينورى ٣٠٧ ، الطبرى ٧ / ١٢٧

جماعة من رجاله الى مكة، عُرِفوا باسم الخشبية [١] ، فأنجدوه .

وأما مايقال عن فساد معتقده ، ومزاعمه الدينيه ، فالدلائل تشير الى أنها أكاذيب من ترويج أعدائه ، إذ كيف يجرؤ على ادعاء ذلك وهو فى الكوفه مستقر كثير من العلماء والفقهاء ، وكيف يقبل بعضهم أن يقاتلوا تحت رايته [٢] واذا جاز أن يخادع الموالى حديثى العهد بالإسلام فكيف يخادع أتباعه من العرب الراسخين فى الإسلام ، وعلى رأسهم ابراهيم بن الأشتر قائده ، وكيف يقاتلون معه حتى النهاية من أجل دعوة باطلة .

وليس أدل على تهافت هذه الروايات من إعراض بعض المؤرخين كابن خلدون ، عن ذكرها تماما ، عندما تحدثوا عن أخبار المختار [٣] .

ونظرة إلى بعض الروايات التى تنتقص من المختار توضح لنا ما فيها من تهافت وتكلف ، وأنها مصنوعة صنعًا ، فقد رُوِيَ أن المختار عند محاصرته واشتداد الأمر عليه قال لأحد خاصته : اخرج بنا نقاتل على أحسابنا لا على الدين فاسترجع صاحبه وقال : لقد ظن الناس أن قيامك بهذا الأمر دينونة ، قال : لا لعمرى ماكان الا لطلب دنيا" [٤] !

---

١) لأنهم تورعوا عن دخول الحرم بالسلاح ، واكتفوا بعصى من الخشب
٢) الطبرى ٧ / ١١٨ (٣) ابن خلدون ٥ / ٥٤ - ٧٢
٤) الدينورى : الاخبار الطوال : ٣٠٧

وكأن المختار فى هذه الروايه يتطوع لمهاجمة نفسه ، دون أن يطلب منه أحد ذلك ، ويصر على أنه طالب دنيا ، فى وقت هو أحوج مايكون فيه لتأييد رجاله .

ويروى الطبرى هذه الرواية بصورة أخرى أكثر أعتدالاً مما يدل على قصد التحريف وتعمده فى الأولى ، فيقول إن المختار رأى تقاعس أحد رجاله عن القتال وهو السائب، فقال له : " قاتل على حسبك ان لم تكن لك نية "(١).

وإذا كان صدق العمل والتضحية يدل على صدق المعتقد، فإن المختار قد قاتل عما يعتقده بشجاعة فائقة ، وآثر الموت على الفرار، وكان يقول : حبذا مصارع الكرام(٢) ، وقاتل معه حتى النهايه ستة آلاف من العرب والعجم(٣) .

ولو كان المختار مدعيا فاسد المعتقد ، ماقبل رجل من أهل التقى والورع وهو عبد الله بن عمر - وكان زوج أخته(٤) - أن يشفع له عندما سجنه عبيد الله بن زياد(٥) ، ولما أبدى أسفه على نهاية المختار وصحبه عندما قال لمصعب بن الزبير : " أنت القاتل سبعة آلاف من أهل القبلة فى غداة واحدة ؟" قال : إنهم كانوا كفرة سحرة" فقال : " والله لو قتلت عدتهم غنماً من تراث أبيك لكان ذلك

---

١) الطبرى ٧/١٥٥ . (٢) الطبرى ٧/١٤٩

٣) الدينورى ٣٠٩

٤) تزوج ابن عمر من صفيه أخت المختار وأنجب منها ولده عبيد الله، (ابن الاثير ٤/١٩٣)

٥) ابن الاثير ٣/٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٥٦

سرفاً" (١)

وتمسكت زوجة المختار بالوفاء له ، وهى عمرة ابنة الصحابى الجليل النعمان بن بشير ، وعندما خيرها مصعب بين القتل أو أن تشهد بكفر المختار وتتبرأ منه قالت : " رحمة الله لن كان عبدا من عباد الله الصالحين" (٢) ، وقالت : شهادة أرزقها فأتركها ؟ كلا ، إنها موتة ثم الجنة والقدوم على رسول الله وآل بيته" (٣).

إن أكثر ما كتب عن المختار مما روّجته أهواء أعدائه الكثيرين ، من أمويين وزبيريين ، وعرب ساخطين ، وشيعة ناقمين عليه موقفه من الحسن بن على ، وكان أشدهم سخطا أشراف الكوفة الذين نقموا عليه تقديمه الموالى ، وايثارة لهم ، وكان المختار يقول لهم : "أكرمتكم فشمختم بآنافكم ، ووليتكم فكسرتم الخراج ، وهؤلاء العجم أطوع لى منكم وأوفى ، وأسرع إلى ما أريد" ، ولذا لم يكن مستبعداً أن تصدر عنهم كثير من الاتهامات والشائعات ضد المختار كما يقول الدينورى (٤) : " فدنت العرب بعضها الى بعض وقالوا : هذا كذاب يزعم أنه يوالى بنى هاشم ، وانما هو طالب دنيا" .

ولكننا نجد الرد على ذلك فى قول أحد أعيان بنى هاشم ، المشهود لهم بالعلم والدين وهو عبد الله بن عباس إذ قال له عبد

---

١) الطبرى ٧/١٥٨ ، ١٥٩ (٢) الطبرى ٧/١٥٨
٣) المسعودى ٣/٩٩ ، ١٠٠ ، اليعقوبى ٢/٢٧١
٤) الاخبار الطوال ٢٩٩

الله بن الزبير: ألم يبلغك قتل الكذاب؟ قال : ومن الكذاب؟
قال : ابن أبي عبيد ، قال : بلغني قتل المختار ، قال : كأنك
نكرت تسميته كذابا ، ومتوجع له؟ قال : ذاك رجل قتل قتلتنا وطلب
ثأرنا ، وشفى غليل صدورنا ، وليس جزاؤه منا الشتم والشماته [١]

مكاسب الايرانيين من ثورة المختار :

كانت الفترة القصيرة التى ظهر فيها المختار فى الكوفه من سنة ٦٤هـ الى ٦٧ هـ ، واستيلاؤه على مقاليد الحكم فيها لمدة عامين من ٦٦هـ الى ٦٧ هـ ذات أثر كبير فى حياة الموالى الإيرانيين الذين كانوا يعيشون فيها ، تبين خلالها أنهم قوة بشرية وسياسية لا يستهان بها ، ويجب على كل الحركات الثورية أن تضعهم فى حسبانها ، وتعمل على الإفادة منهم ، كما انعقدت خلالها الصلة القوية بينهم وبين الحركة الشيعية ، وأصبحوا رافداً جديداً يزيدها قوة وتأثيراً ، كما أنها وضعتهم على طريق المساواة الكاملة مع العرب وأيقظت آمالهم فى مزاحمتهم على مراتب القيادة ومصاف الزعامة .

وقد استطاع المختار أن يضع يده على هذه القوة الإسلامية الجديدة ، ويعرف كيف يستثمرها لحساب أهدافه ودعوته ، وساعده على ذلك ذكاؤه ، وقوة منطقه ، وحسن اختياره للوقت الذى فجر فيه ثورته وهو الفتره التى أعقبت وفاة يزيد بن معاوية وسادت فيها

---

١) ابن الاثير ٣/٣٨٨

الاضطرابات، واهتز عرش بنى أميه ، وقوة التأثير فى الشعار الذى رفعه وألهب به مشاعر الناس وهو الثأر لدم الحسين (١) واختياره للميدان المهيأ الذى ينطلق منه وهو الكوفه مركز التشيع، والمعارضة لبنى أميه، وملتقى المهاجرين من العرب والفرس.

وكان المختار على علم وخبرة بهذا الميدان وأهله مذكان فى صفوف على بن أبى طالب، وكان عمه واليا على المدائن ، وظل على اتصال بهذا الميدان متقصيا لأخباره خلال وجوده فى الحجاز عندما كان منضما لابن البير، فكان لا يقدم عليه أحد من أهل الكوفه الا سأله عن حال الناس فيها ، وعلم أن فيها جماعات من الرافضين لحكم بنى أميه وحكم ابن الزبير، ينتظرون قائدًا يوجههم ورجلاً يجمعهم، فقال :" أنا أبو اسحاق ، أنا والله لهم، أجمعهم على الحق ، وألقى بهم ركبان الباطل ، وأهلك بهم كل جبار عنيد (٢) .

وحاول المختار أن يجمع جهودهم الى جهود ابن الزبير ، فعرض عليه أن يستعين بهم، وقال له :" إنى أعرف قومًا لو أن لهم رجلا له رفق وعلم بما يأتى لاستخرج لك منهم جندًا تغلب به أهل الشام، فقال من هم ؟ قال شيعة بنى هاشم بالكوفة" فقال له : كن أنت ذلك الرجل" وبعثه إليهم، ولكن المختار ما لبث أن اختلف مع ابن الزبير، على نحو ما ذكرنا ، وأخذ يعمل لحساب نفسه (٣) .

---

١) اليعقوبي ٢/٢٥٨ الدينوري ٢٩٢
٢) ابن الاثير ٣/٣٣٨ (٣) المسعودى ٣/٧٤

واتجه المختار فى بداية الأمر إلى الاعتماد على العنصر العربى فى الكوفه ، وبخاصة اليمنية ، ونجح فى استمالة إبراهيم بن الأشتر، وجعله قائدا لجيشه [١] ، واصطفى أهل همدان ، وبايعه معظم العرب [٢] .

ولكن المختار كان يخشى أن يصيبه ما أصاب عليًا وولديه الحسن والحسين من خذلان عرب الكوفه وتقاعسهم ، ولذا كان يبحث عن عنصر جديد يكون أشد ولاء وإخلاصا له ، وقد وجد ضالته فى هؤلاء الموالى الإيرانيين الذين قدموا على الكوفة وغيرها من الأمصار تاركين قراهم وأرضهم رغبة فى المشاركة فى الحياة الجديدة والاتجاه إلى الجندية ، وقد تقبلهم الأمويون فى بادىء الأمر، وفرضوا لهم العطاء ، وبلغ عددهم بالكوفة وحدها زهاء عشرين ألف رجل ، وكانوا يسمون بالحمراء [٣] .

وخالط هؤلاء الأعاجم العرب ، وشاركوهم فى الحياة العامة ولكن فريقًا من أشراف العرب وقادتهم نظروا إليهم بازدراء وتحقير واعتبروهم فيئًا لهم ، وعبيدا مَنُّوا عليهم بالعتق ولذلك كانوا يسمونهم بالعبيد [٤] ، ودفع هذا الموقف الموالى إلى الحنق والنقمة والسعى لتغيير هذه الأوضاع.

ولذا وضع المختار خطة لاجتذاب هؤلاء الموالى والاعتماد عليهم فى ثورته ، تعتمد على إصلاح أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية

---

١) الدينورى ٢٨٩ (٢) ابن الأثير ٣ / ٣٣٩

٣) الدينورى ٢٢٨ (٤) الطبرى ٧ / ١١٦

فكان الكسب الأول الذى أعطاه لهم هو الاعتراف بشرف عنصرهم وعراقة أصلهم، وأنهم ليسوا أتباعا وعتقاء ، وكان قائده إبراهيم بن الأشتر يفخر بهم، ويقول عنهم : " ماقوم أشد بصيرة فى قتال أهل الشام من هؤلاء الناس الذين تراهم معى ، وإنما هم أولاد الأساورة من أهل فارس والمرازبة"[١] ، وكان المختار يدنيهم إليه " ويقرب مجالسهم" ، ويقول لهم : " أنتم منى وأنا منكم "[٢] وكان يدعوهم إلى التمسك بحقوقهم، والمطالبة بها ، ويقول لهم : "كونوا أحراراً كراماً"[٣]

وكان الكسب الثانى الذى حققه الموالى الإيرانيون تحت قيادة المختار هو تحسين أوضاعهم الاقتصاديه ، بإشراكهم فى الفىء[٤] وفرض الأعطيات لهم ولأبنائهم[٥]

وكانت هذه السياسه مثار سخط العرب ، وبخاصه الأشراف والسادة الذين تخوفوا من مقاسمة الموالى لهم فى الامتيازات الماليه كما يقول الطبرى[٦] : " ولم يكن فيما أحدث المختار عليهم شئ هو أعظم من أن جعل للموالى نصيبا من الفىء" ، فاجتمعوا الساخطون وقرروا أن يتخذوا موقفا من المختار وثورته فقالوا : " لقد تأمر علينا هذا الرجل بغير رضى منا ، ولقد أدنى موالينا فحملهم على الدواب، وأعطاهم، وأطعمهم فيئنا ، ولقد عصتنا عبيدنا" ثم أرسلوا إليه رسولا منهم هو شبث بن ربعى ليحدثه فى ذلك

---

١) الدينورى ٢٩٥ (٢) الدينورى ٩٩ ، ٣٠٠
٣) المصدر السابق ٣٠٠ (٤) الطبرى ٧/ ٦٦
٥) الدينورى ٢٩٩ (٦) تاريخ الأمم والملوك ٧/ ٦٦

فقال له : " عمدت إلى موالينا وهم فيء أفاءه الله علينا ، وهذه البلاد جميعًا ، فأعتقنا رقابهم ، نأمل الأجر والثواب والشكر ، فلم ترض لهم بذلك حتى جعلتهم شركاء في فيئنا " .

وأراد المختار أن يبين لمحدثه فهمه لموقف العرب ونواياهم فقال له : " إن أنا تركت لكم مواليكم ، وجعلت فيأكم فيكم أتقاتلون معي بني أمية وابن الزبير ، وتعطون على الوفاء بذلك عهد الله وميثاقه ، وما أطمئن إليه من الايمان ؟ " فقال الرسول : ما أدري حتى أخرج إلى أصحابي فأذاكرهم ذلك " وخرج فلم يرجع إليه .[1]

ولم يكن هذا الموقف يمثل كل عرب الكوفة ، بل يمثل جماعة من أشرافهم ، وأصحاب المصلحه في الوضع القائم ، بدليل أن جماعاتٍ منهم وبخاصة همدان كانوا يقاتلون جنبا الى جنب مع الموالي تحت راية المختار ، بينما وقفت ربيعة على الحياد .[2]

وكان الكسب الثالث الذي أفاده الموالي من انضمامهم للمختار تقدمهم إلى المناصب القيادية ، فأصبح أحدهم وهو أبو عمرة كيسان قائدًا لحرس المختار ، وصاحب شرطته ، والمتحدث بينه وبين الفرس ، كما أوكل اليه معاقبة كل من يقع في يده من قتلة الحسين وقد ذكر الدينوري[3] أنه مولى بجيله ، وذكر الطبري[4] أنه مولى عرينه .

---

١) الطبري ٧ / ٦٦ ، وابن الاثير ٣ / ٣٦٥ (مع اختلاف يسير في العبارة)

٢) الدينوري ٢٩٩ ، ٣٠٠

٣) الاخبار الطوال ٢٩٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢

٤) المصدر السابق ٢٩٥ ، ٢٩٩

واستمر تقدم الموالي تحت راية المختار حتى أصبحوا أدنى اليه من العرب، بسبب ثقته فيهم، واخلاصهم له، يقول الدينوري[(١)] : " وقرب أبناء العجم . . . وباعد العرب وأقصاهم وحرمهم" .

واستطاع هؤلاء الموالي أن يثبتوا تحت راية المختار كفاءتهم القتاليه، وجدارتهم بتقريبه اياهم، وتزايد عددهم في جيشه حتى قاربوا الاربعين ألفا، حتى لا يكاد يسمع في جيشه من يتكلم بالعربيه[(٢)]

وكان الموالي حريصين على الاحتفاظ بالمكاسب التي حققوها بقيادة المختار، وعندما رأوه يحادث جماعة من اشراف الكوفه تخوفوا أن يميل اليهم، ويعدل عن سياسته نحوهم، وطلبوا من زعيمهم أبي عمرة كيسان أن ينقل اليه مخاوفهم، فلما سأله المختار عما يقولون، قال له : " شق عليهم - أصلحك الله - صرفك وجهك عنهم الى العرب، فقال له : قل لهم : لا يشقن ذلك عليكم فأنتم مني وأنا منكم"[(٣)]

وحرص الموالي على الدفاع عن هذه المكاسب ضد مناوئيهم من أشراف الكوفة، حتى قال عنهم أحدهم وهو يحادث أصحابه : " وعبيدكم ومواليكم أشد حنقا عليكم من عدوكم، فهو مقاتلكم بشجاعه العرب وعداوة العجم"[(٤)]

---

١) الاخبار الطوال ٢٩٩ (٢) المصدر السابق ٢٩٥، ٢٩٩

٣) الطبري ٧/١٠٩ (٤) الطبري ٧ / ٦٦

وحقق الموالى تحت راية المختار انتصارات عظيمه عجز عنها جيشه الاول الذى يضم غالبية عربية ولقى الهزيمة أمام جند الشام فى ذى الحجه سنة ٦٦هـ، فلما أعد المختار جيشه الثانى فى أوائل سنة ٦٧هـ"وكان جلهم من أبناء الفرس" حقق انتصاراً ساحقا فى موقعة خازر، وقضى على الوالى الاموى عبيد الله بن زياد الذى يعده المسئول الاول عن دم الحسين (١)، ثم أحرز انتصاراً ثانياً على تجمع المعارضين من عرب الكوفة برغم كثرتهم وتعدد قبائلهم (٢).

ولا يعنى ذلك أن الموالى كانوا العنصر الوحيد فى جيش المختار بل كان فريق منهم من العرب، وكان رجاله الذين استسلموا بعد مصرعه لمصعب بن الزبير ستة آلاف منهم ألفان من العرب (٣) كما كان قادة جنده، ومعظم عماله الذين ولاهم على البلدان التى حكمها من العرب (٤).

لقد أثبت المختار أنه كان أبعد نظراً وأكثر استجابة لتطورات عصره بالإفادة من القوة الإيرانيه النامية التى أهملها كثير من معاصريه، ولم يفكر ابن الزبير فى الإفاده منها، وكان مصعب يرى أن الموالى أدنى درجه من العرب، وكان يعير من يتصل بالدم الفارسى من أهل الكوفة (٥)، كما كان ينوى قتل الاسرى العجم من أتباع المختار وترك العرب لولا معارضة رجالة الذين قالوا له :" أى دين هذا، وكيف ترجو النصر، وأنت تترك العرب وتقتل العجم

---

١) الدينورى ٢٩٣ (٢) الدينورى ٣٠٠
٣) الطبرى ٧/ ١٦٠، ١٦١ (٤) المصدر السابق ٧/ ١٠٩، ١١٢
٥) البلاذرى : أنساب الاشراف القسم الثانى من الجزء الرابع ص

ود بنهم واحد " .[1]

وأثبتت الأحداث صدق نظرته في عرب الكوفه ، فقد تخلى عنه كثير منهم وانحازوا الى مصعب بن الزبير ، ثم تخلوا عن مصعب وانضموا إلى الأمويين[2] ، كما خذلوا بعد ذلك ابن الأشعث وكانوا سبب هزيمته في دير الجماجم .

ولم يُقَدَّر لحركة المختار - التي تُعَدُّ أول انتصار حقيقي لقضية الموالي - أن تستمر طويلا ، لأن المختار لم يتمكن من إيجاد الموازنة الصحيحه بين العرب والعجم ، ولم ينجح في إرضاء الطرفين ، فنفر العرب منه ، وكانوا العنصر الغالب والاقوى في ذلك الوقت فدفعهم إلى الانضمام لابن الزبير ضده ، كما أنه اتخذ شعار الثأر لمصرع الحسين ، ولا يمكن أن يقوم نظام قوى تحت شعار الانتقام وحده ، إذ فتر حماس أتباعه بعد إشباع رغبتهم في الثأر ووهنت القوة الدافعه التي يستمدونها من هذا الهدف ، وبالغ في القتل وسفك الدماء ، فزاد في تنفير الكثيرين منه ، وجعلهم ينفضون من حوله .

ولكن ثورته فتحت عيون الحركات الثورية التالية على الجانب الاجتماعي لقضية الموالي ، فعملت على اكتسابهم لصفوفها بتبني مطالبهم ، وفتح منافذ الأمل أمامهم ومنها ثورة ابن الأشعث ، ودعوة العباسيين ، وثورة الحارث بن سريج .

---

١) الطبرى ٧ / ١٦٠ ، وكان شبث بن ربعى من قادة الكوفه يفعل مثل ذلك فيقتل العجم ويترك العرب (الطبرى ٧ / ١٠٣) .

٢) الدينورى ٣١٣ ، الطبرى ٧ / ١٨٤

دور الموالى الايرانيين
فى الدعوه العباسية

مرحلة الدعوة السرية :

كانت الدعوة العباسية فى بعض جوانبها امتداداً للحركة الشيعية ، و لثورة المختار، فقد اعتمدت فى بدايتها على القاعدة البشرية التى أوجدها الشيعة ، واستثمرت التضحيات والدماء التى بذلها العلويون ، وواصلت السياسة التى بدأها المختار فى أكتساب العناصر الإيرانية ، وتبشيرها بعهد جديد يحقق لها مزيداً من التقدم الاجتماعى والمكاسب السياسية ، وأرست دعائمها على القواعد التى أوجدها الكيسانية - خلفاء المختار- الذين تزعمهم أبو هاشم بن محمد بن الحنفية ، وورثت من بعده الخليه النشطة التى كونها فى العراق وإيران ، ووسعت نطاقها وطورت أساليبها .

وإذا كان الإيرانيون قد أخفقوا فى حركتهم الأولى تحت راية المختار فإنهم قد نجحوا فى حركتهم الثانيه تحت راية أبى مسلم ، لأن العنصر العربى الذى وقف ضدهم فى المرة الأولى ، ووجد موءازرة من القوى السياسية المسيطرة من زبيريين وأمويين ، كان قد ضعف وأصابه التفكك بسبب العصبيات القبلية والصراعات المحلية التى تحولت الى حرب أهليةفى خراسان ، وانشغال الخلافة عن نصرته بما انبثق حولها من فتن أخرى فى الشام والجزيره الفراتية.

وكان ارتباط الموالى الإيرانيين بالدعوة العباسية قويًا وثيقًا صاحب مولدها ، وواكب مسيرتها ، وإذا كانت الدعوة عربية القيادة والتخطيط فإنها كانت إيرانيه القاعدة والتنفيذ في مرحلتيها السرية والعلنية .

ولا نبالغ إذا قلنا إن ارتباط الإيرانيين بالعباسيين بدأ قبل دعوتهم ، وعرف الإيرانيون الولاء لهم عن طريق أحد موالى عبد الله بن العباس وهو أبو عكرمة السراج الذى هاجر الى خراسان، ونشر فيها علمه الذى أخذه عن أستاذه ومولاه فكان أهل المشرق يجلون ابن عباس عن طريق تلميذه ومولاه أبى عكرمة"[1] .

وعندما بدأت الدعوة العباسيه سنة ١٠٠ هـ اتخذت لها خليتين رئيسيتين ، إحداهما فى العراق ، والثانية فى خراسان وكان أبو عكرمة السراج أحد القادة الثلاثة الذين وكلت إليهم رئاسة الخلية الخراسانية ، ولقبه العباسيون " بأبى محمد الصادق" مما يدل على ثقتهم الكبيرة فيه . وأوكل إليه صاحب الدعوة محمد بن على العباسى اختيار النقباء الاثنى عشر ، فاختار من بينهم أربعة من الموالى هم : عمران بن إسماعيل أبو النجم مولى آل أبى معيط ، وعمرو بن أعين أبو حمزه مولى خزاعة ، وشبل بن طهمان أبو على الهروى مولى بنى حنيفه ، وعيسى بن أعين مولى خزاعة ، واختار لهؤلاء النقباء سبعين رجلا يأتمرون بأمرهم[2]

---

١) د . حسن أحمد محمود : العالم الإسلامى فى العصر العباسى ص ١٧

٢) الطبرى ٨ / ١٣٦ ، ابن الأثير ٤ / ١٥٩ ، ابن خلدون ٥ / ٢١٤ .

وكان أبو عكرمة همزة الوصل بين العباسيين فى مقرهم بالحميمة وخلية الدعوة الموجودة فى خراسان ، وكان ذا مكانة عظيمة لدى قادة الدعوه ، مطلعا على أسرارهم ، فقد حضر مولد عبد الله بن محمد ، الذى لقب فيما بعد بأبى العباس السفاح ، فى ربيع الآخر سنة ١٠٤هـ ، وكان بصحبته عدة من أصحابه القادمين معه من خراسان ، فقال لهم محمد بن على العباسى مشيرًا إلى ابنه الوليد وله خمسة عشر يوما : " هذا صاحبكم الذى يتم الأمر على يده "(١)

ولم يكن دور الموالى مقصورًا على الخلية الخراسانية ، بل كانوا يشاركون بنصيب وافر فى الخلية العراقية ، وتولى قيادتها واحد منهم هو ميسرة العبدى مولى على بن عبد الله بن العباس ، ثم تسلم زمامها من بعده بكير بن ماهان ، الذى كان قبل ذلك يعمل ترجمانا لدى قادة جيوش المسلمين فى السند ، وعندما رجع إلى الكوفة سنة ١١٥هـ التقى بقادة الدعوة هناك ، ومنهم أبو عكرمه وميسرة ، فأقنعوه بالانضمام إليهم ، وكان ذلك كسبا كبيرا للدعوة ، لأنه كان على قدر كبير من الثراء ، فلم يبخل بما يملك من أجل الدعوة ، وكان معه لبنة من الذهب وأربع لبنات من الفضة فأنفقها كلها فى سبيلها .(٢)

وزاد نشاط الخلية الخراسانية بانضمام داعيين نشطين من الموالى هما زياد أبو محمد مولى همدان ، وحرب بن عثمان مولى بنى قيس

---

١) ابن الاثير ١٨٨/٤ (٢) ابن الاثير ١٩٢/٤

ابن ثعلبة ، وأصبح لها مركزان فى بلخ ومرو ، ونشط زياد فى نشر الدعوة ، واستخدم أساليب متعددة لتأليف القلوب وترغيبهم فيها فكان يتودد إلى الناس ويقربهم إليه ويظهر لهم كرمه وسخاءه ويطعمهم الطعام ، كما أنه بذل جهوده لتحويل ولاء الشيعة من العلويين إلى العباسيين ، ودخل من أجل ذلك فى مناظرة مع رجل من أبرشهر[1] يسمى غالبا ، كان من المفرطين فى حب أبناء فاطمة كما كان زياد يثير الناس ضد بنى أمية ، فيصف حكمهم بالظلم ، وينال سيرتهم بالسوء ، وعرّضه ذلك إلى عقاب الوالى أسد القسرى الذى حذره عدة مرات فلم يرعوِ ، فأمر فى النهاية بقتله مع جماعة من أصحابه سنة ١٠٩ هـ[2] .

وتولى قيادة الخليه الخراسانية داعية من اهل الكوفه يسمى كثيرا ، كان يقيم فى دار أبى النجم سالف الذكر وقد يكون أبا الداعيه سليمان بن كثير وكان أميا ، لا يعرف القراءه والكتابه .

وعقب ذلك تعرضت الخلية لمحن قاسية ، من عمال بنى أميه ، ومن بين أعضائها أنفسهم ، ففى سنة ١١٧ هـ أشتد الوالى أسد القسرى فى تعقب خيوطها ، والبحث عن أعضائها ، ووقع فى يده كثير منهم ، فقتل بعضهم وعذب بعضهم ، ولم ينجُ من قبضته إلا اليمنية من أبناء عصبيته ، والربعية حلفاءهم ، ودفعه الميل لهم أن يصدق دفاعهم عن أنفسهم بأنهم تجار لا شأن لهم بالدعوة ، وأنهم ضحية وشاية مغرضة من أعدائهم المضرية[3] .

---

١) أبر شهر اسم من أسماء مدينة نيسابور (ياقوت ١ / ٦٥ ، ٥ / ٣٣١)

٢) الطبرى ٨ / ١٩٣ ، ١٩٤ (٣) ابن الاثير ٤ / ٢٢٢

وفى السنه التاليه ١١٨هـ ظهرت محاولة من داخل الخليـة للانحراف بها عن مسارها ، وتحويلها لخدمة دعوات هدامة ، ونحل فارسية قديمة ، وذلك عندما خُدِع كبيرُ الدعاة بكيرُ بن ماهان فى واحد من أصحاب هذه النحل وهو عمار بن يزيد فولاه قيادتها فنزل مرو ودعا إلى مذهب الخرَّمية ، والإباحية ، وإسقاط العبادات ورخَّص لبعض أتباعه فى النساء ، وأول الصومَ بأنه الإمساك عن ذكر الإمام ، فلا يذاع اسمه ، والصلاةَ بالدعاء له ، والحجَّ بالقصد إليه وتأول الآية الكريمة : " ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا ، إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات" (١) .

وسُمِّى هذا المُدَّعى بخَدَّاش، وقيل إن الذى أطلق عليه هذا الاسم هم الرافضون لدعوته لأنه خدش الدين ، وكان أصله نصرانيًا من الكوفة ، ثم تظاهر بالإسلام ، ولحق بخراسان ، وانضم إلى الدعوة ، وكان تأثيره خطيرًا ، لأنه أستطاع أن يجذب إليه عددًا من زعماء الخلية منهم مالك بن الهيثم ، والحريش بن سليم الأعجمى وغيرهما ، وزعم لهم أنه يفعل ذلك تنفيذًا لأمر صاحب الدعوة محمد بن على العباسى.

وانتهى أمره بأن قبض عليه الوالى أسد القسرى ، ويبدو أن ذلك تم بوشاية من أعضاء الخلية المنكرين لدعوته ، وأمر الوالى بقتله وصلبه مع جماعة من أتباعه ، وقال : " الحمد لله الذى انتقم لأبى بكر

الطبرى ٨ / ٢٢٨، ٢٢٩ ،ابن الاثير ٤ / ٢٢٤ ، ابن خلدون ٥ / ٢١٦

وعمر منك"، مما يشير الي أنه كان أيضا يخوض فى أمر الشيخين رضى الله عنهما ، وينتقص منهما (١) .

وأثر هذا العمل على نشاط الخلية ، فأصابها الشلل ، وبقيت فترة من الزمن فى عزلة عن القيادة العباسية بالحميمة ، ويبدو أن محمد بن على امتنع عن مكاتبتهم بعد هذه المحن خوفا من افتضاح أمر التنظيم السرى كله ، بعد وقوع بعض أفراد الخليه فى يد الوالى الأموى ، وغضباً على أعضائها الذين سمحوا لهذا المدعى أن يظهر بينهم ويشتد أمره .

ولكن المخلصين من أعضاء الخلية سارعوا إلى الاتصال بالقيادة لتوضيح موقفهم واعلان براءتهم مما وقع، واستمرارهم على الولاء والالتزام فأسرعوا زعيمهم سليمان بن كثير الخزاعى (الذى كان من النقباء الاثنى عشر ثم أصبح رئيسا لهم) إلى محمد بن على ليعلموه أمرهم، ويعرفوا سبب تركه مكاتبتهم، فلما وصل رسولهم عنفه محمد بن على وأرسل معه كتابا مختوما الى أعضاء الخليه ، فلما فضوه لم يجدوا فيه الا البسمله ، فأحسوا بالندم، وعلموا مخالفة خداش لأمره ، ثم أرسل اليهم بعد ذلك بكير بن ماهان ، فلم يصدقوا أنه موفد من عنده ، وطلبوا منه البينه ، فقدم لهم علامة متفقا عليها ، وهى عصا مضببه بالحديد والنحاس، فلما رأوها علموا صدقه وتابوا وراجعوا ، وعادت الخليه الى ممارسة نشاطها الأول سنة ١٢٠ هـ (٢) .

---

١) الطبرى ٨ / ٢٢٩

٢) ابن الأثير ٤ / ٢٣٥

وكانت الخليه الخراسانيه تمد القياده العباسية بالمال الذى تستعين به ، وكان دعاتها يحملون قدرا كبيرا منه الى الامام عند ما يلتقون به فى مكه فى موسم الحج (١)

في مرحلة العمل المسلح :

فى سنة ١٢٤ هـ بدأ الاستعداد لطور جديد من أطوار الدعوة العباسية وهو الانتقال الى مرحله العمل المسلح ، ومواجهة بنى أمية ، بعد أن تهيأ المناخ بايجاد قاعده شعبيه كبيرة موءيده من أهل خراسان والعراق ، وأهتز عرش بنى أميه بسبب ما اعتوره من صراعات داخل البيت الحاكم وما أندلع حوله من ثورات وفتن فى الشام والجزيره ، وتصدع القوة العربيه الموجوده فى خراسان نتيجة الصراعات العصبيه التى وصلت أوجها فى حركة الكرمانى وثورة الحارث بن سريج ، وقد اختارت القياده العباسيه لهذه المرحله أحد الموالى الايرانيين ، وهو أبو مسلم الخراسانى ، الذى تختلف الروايات فى نسبه وأصله ، ولكنها تلتقى جميعا على أنه من أصل أيرانى (٢)

نشأ أبو مسلم فى ظل الدعوه ، وتغذى بلبانها ، فقد كان أبوه من رجالها ، وكفله بعد وفاة أبية أحد دعاة العباسيين وهو

---

١) المصدر السابق ٤/ ٢٩١ ، ٢٩٩ ، ٣٠٢

٢) ارجع فى ذلك الى الروايات التى ذكرها ابن الاثير ٤/ ٢٥٢ ، وهناك قول ضعيف رفضه الموءرخون وهو أن أبا مسلم من ولد من ولد سليط بن عبد الله بن العباس.

عيسى بن موسى السراج ، وحمله معه الى محل أقامته بالكوفه عند ما كان فى السابعه من عمره ، وعند ما شب أتصل بابراهيم الامام فأسماه عبد الرحمن بم مسلم وكناه بأبى مسلم، وزاد ارتباطه بالدعوه مصاهرته للداعيه أبى النجم، فتزوج من ابنته بأمر من ابراهيم الامام، وهكذا اصبح ابو مسلم ابن الدعوه العباسيه منشأوفكرا ومصاهرة [1].

وكان العباسيون حريصين على اعداد أبى مسلم ومدومة الاتصال به ، وفى سنة ١٢٥ هـ كان من بين دعاة خراسان الذين سمح لهم بالالتقاء بصاحب الدعوه ابراهيم بم محمد فى مكه ، والتعرف على شخصه ، وتم خلال هذا اللقاء توحيد العمل بين خليتى الدعوه العراقيه والخرسانيه ، زأسندت القياده لاحد الموالى الايرانيين وهو أبو مسلمه الخلال ، وهو حفص بن سليمان ، وكان مقره الكوفة [2]

وعند ما أقتربت ساعة التنفيذ أسند ابراهيم الامام قيادة الدعوه فى خراسان الى أبى مسلم، ووجهه اليها سنة ١٢٨ هـ، وكان فى التاسعه عشره من عمره ، ومنحه سلطات واسعه ، وكتب بذلك الى أصحابه يأمرهم بالالتزام بطلعته قائلا ؛" انى.قد أمرته بأمرى فأسمعوا له وأطيعوا ، فانى قد امرته على خراسان ، وماغلب عليه بعد ذلك" وعند ما ظهر من بعض قادتهم التردد فى طلعته بسبب حداثة سنه وخوفهم ألا يستطيع القيام بالامر، استدعاهم ابراهيم الامام الى مكه

---

١)ابن الاثير ٤ /٢٥٢

٢) المصدر السابق ٤ / ٢٩١

وأمرهم بالسمع والطاعه له ، ورفع من قدره وأعلى من شرفه امامهم فقال له : " انك رجل منا آل البيت " ، وزودته بنصحه وتوجيهاته [(١)]

وحانت ساعة التنفيذ فى سنة ١٢٩ ، وكثر الاتصال الشخصى بين أبى مسلم وابراهيم الامام ، ثم جاءه كتابه يأمره بكشف النقاب واشهار السيف ، فأتخذ ابو مسلم من قرية فنين [(٢)] قرب مرو مركزا لعملياته العسكريه ، ونزل فى دار أحد الموالى وهو أبو الحكم عيسى بن أعين الفنينى مولى خزاعه ، كما اتخذ أخاه بديل بن أعين خازنا لبيت ماله ، ومنها بث الرسل فى انحاء خراسان يدعوهم للتجمع تحت رايته [(٣)] .

وقد أحسن أبو مسلم اختيار ساعة البدء ، حيث كان الوالى نصر ابن سيار مشغولا فى قتال عنيف مع الخوارج الذين يتزعمهم شيبان الحرورى ، وتجمع حوله فى ليلة واحده أنصار الدعوه من ستين قرية وفى رمضان من نفس السنة بدأ هجومه الواسع النطاق ، رافعا اللوائين اللذين أرسلهما اليه ابراهيم الامام ، وهما " الظل " و " السحاب " ، ولبس السواد شعار العباسيين ، وسارع الايرانيون من كل صوب ينضمون اليه بالالاف ، فاتخذ من حصن اسفيذيخ قاعده له ، وقام بترميمه وتقوية أسواره .

---

١) المصدر السابق ٤ / ٢٩٥ ، ٣٠٢
٢) بالفتح ثم الكسر وياء ساكنه ونون ، وأهلها يقولون فنى بغير نون (ياقوت ٤ / ٢٧٨) .
٣) ياقوت ٤ / ٢٧٩

وأمر أبو مسلم بتحويل الشعائر الدينيه لتوافق مذهب الدعوة فأمر أن تكون صلاة العيد قبل الخطبه بغير أذان ولا اقامة ، وأن يكون عدد التكبيرات فى الركعتين سبعا وخمسا خلاف ماأستقر عليه الأمر منذ عهد عثمان رضى الله عنه ، وما كان عليه بنوأميه .(1)

ونجح أبو مسلم فى مواجهة التكتل العربى الذى كاد أن ينعقد ضده ، فقد أحس العرب أن هذه الثوره فيها تهديد لسلطانهم ، وأوجسوا خيفة من أجتماع الفرس حولها ومناصرتهم لها ، يقول ابن الأثير" وتعاقدت عامة قبائل العرب بخراسان على قتال أبى مسلم" ولكن أبا مسلم عرف كيف يفسد هذا التجمع العربى ، فأوقع أولا بين المضريه واليمنيه ، وأيقظ العصبيات النائمة ، ثم أستطاع فى المرحله التاليه أن يوقع بين اليمنيه والربعيه ، وضاعت صيحات الوالى المضرى نصر بن سيار فى التحذير من الفرقه والدعوه الى الوحده والتآزر سدى ، وتمكن أبو مسلم فى النهاية من ضرب الفرق العربيه الثلاث ودخول مرو ظافرا سنة ١٣٠ هـ ، وبدأ يمارس سلطاته كنائب عن العباسيين ، ويعين العمال والنواب ، حتى صارت خراسان كلها فى يده ، وتوج قائده قحطبه بن شبيب - وهو عربى من طيىء هذه الجهود بدخول نيسابور ، ثم الزحف على العراق (2) .

---

١) ابن الأثير ٤ / ٢٩٩

٢) ابن الأثير ٤ / ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣١٣

وكان من مساعدى أبى مسلم وقحطبة بن شبيب كثير من القادة الذين تدل أسماؤهم المنسوبه إلى بلادهم على أنهم من الموالى الإيرانيين مثل أبى العباس المروزى ، وأبى عون عبد الملك بن يزيد الخراسانى ، ومالك بن طرافة الخراسانى (١) .

وإذا كان الدور الإيرانى -كما ذكرنا- واضحًا بارزًا فى الثورة العباسية فى جميع مراحلها وأطوارها ، فلا يمكن أن ننساق مع الاتجاه القائل باعتبارها انقلابا فارسيًا ضد السيادة العربية وثورة إيرانيه ضد العنصر العربى ، لأن الثورة العباسيه لم تقم إلا فى ظل قيادة عربية ، وبتخطيط عربى لخدمة أهداف فريق من العرب هم العباسيون ولم يُسمح للفرس بتحقيق شىء من المكاسب إلا برضاهم وموافقتهم لأنهم رأوا أن يعطوهم كما يأخذون منهم .

وشارك فى الدعوة منذ نشأتها دعاة من العرب كانوا يشكلون الركن الأساسى فى خليتى الدعوة فى خراسان والعراق ، وكان من بين النقباء الاثنى عشر أربعة فقط من الموالى ، والباقون من العرب من قبائل متعددة (٢) ، وقاتل تحت راية أبى مسلم عدد كبير من العرب اليمنية ، وكان قحطبة الطائى من أبرز القادة الذين انتزعوا النصر للعباسيين . (٣)

---

١) المصدر السابق ٤ / ٣١٩

٢) انظر اسماء هوءلاء الدعاه فى ابن الاثير ٤ / ١٥٩ ابن خلدون ٥ / ٢٦٣ .

٣) ابن الاثير ٤ / ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ابن خلدون ٥ / ٢٦٩

ويجب أن نلاحظ أن ماورد على ألسنة قادة الدعوة العباسية من أن شيعتهم وأنصارهم هم "أهل خراسان" يقصد به سكان خراسان عربًا وإيرانيين .

وبعد انتصار الدعوة ظلت القيادة في أيدي العرب، وبقي معظم الولاة والعمال من العرب خلال القرن الأول من العصر العباسي ولم يُسمح للتقدم الفارسي أن يتجاوز الحدود التي سَمحت بها القيادة العربية ، التي تصدت بكل قوة لكل من حاول أن يتخطاها مثل أبي سلمة الخلال ، وأبي مسلم الخراساني ، والبرامكة .

ولم يكن العصر العباسي عصر تقدم الإيرانيين وحدهم ، ولكنه شهد تقدم كثير من العناصر الأخرى التي دخلت في الإسلام مثل الأتراك ، والبربر ، مما ينفي عنه الصبغه الفارسيه .

وإذا كانت الدعوة العباسية قد اعتمدت في نجاحها على جهود الفرس بدرجة كبيرة ، ووجدت تأييدًا من العناصر الإيرانيه ، فإننا نسجل أيضًا أن هذا الموقف لا ينسحب على جميع الإيرانيين ، فقد وقف فريق منهم موقف المعارضة من قيام الدولة العباسية وأبدى تمسكه بالحكم الأموي ، ومنهم أهل الرّي الذين قال عنهم ابن الأثير[1] "ولما استقر أمر بني العباس بالري هرب أكثر أهلها لميلهم إلى بني أمية لأنهم كانوا سفيانية ، فأمر أبو مسلم بأخذ أملاكهم وأموالهم" .

---

١) الكامل ٤ / ٣٢١ ، ٣٢٢

ورفض صاحب دنباوند [(١)] المسمى " المصمغان" دعوة أبى مسلم وكتب إليه : " إنما أنت خارجى ، وإن أمرك سينقضى" ، وقاوم بقوة الجيش الذى وجهه إليه أبو مسلم بقيادة موسى بن كعب ، وظل يدفع برجاله من الديلم لقتاله كل يوم ، ولم يزل ممتنعا إلى أيام أبى جعفر المنصور ، فأغزاه جيشاً كثيفاً ففتح بلاده [(٢)] .

ولقيت جيوش أبى مسلم مقاومة عنيفه من أهل نهاوند ، وكان فيها كثير من العرب الخراسانيين والشاميين ، فقبل الشاميون المصالحة وأبى الخراسانيون إلا المقاومه حتى النهاية ، وظل العباسيون محاصرين لهم ثلاثة أشهر من سنة ١٣١هـ (٣)

وفى سنة ١٣٤ خلع زعيم خراسانى يدعى بسام بن إبراهيم طاعة العباسيين ، وانسلخ مع أصحابه عن الجيش العباسى [(٤)] .

وواجه العباسيون مقاومة مماثله من سكان ماوراء النهر ، وهم لغةً ودماً من العناصر الإيرانية ، وتمرد عليهم أهل بخارى ، وقال زعيمهم شريك بن شيخ المهرى : " ماعلى هذا اتبعنا آل محمد ، أن تُسفك الدماء ويُعمل بغير الحق" واتبعه على رأيه أكثر من ثلاثين ألفاً [(٥)] .

---

١) دنباوند بضم أوله وسكون ثانيه ، وتسمى أيضا دباوند بفتح أوله وضمه ، ودماوند بالميم ،كورة من كور الرى بينها بين طبرستان ، وفى وسطها جبل شديد الارتفاع (ياقوت ٢ / ٤٣٦ ، ٤٧٥)

٢) ابن الاثير ٤ /٣١٨ (٣) الطبرى ٩ / ١١٣

٤) الطبرى ٩ / ١٤٨ ، ١٤٩

٥) ابن الاثير ٤ /٣٤٢

وتحصن ملك الختل ابن الشبل وجماعةٌ من الدهاقين والشاكرية عندما دخلت جيوش العباسيين بلادهم ، فلما ضعفت مقاومتهم فروا إلى بلاد الترك.[١]

وحفل العصر العباسى بحركات معارضةٌ من جانب الإيرانيين لا تقل خطراً عما ظهر من معارضتهم للحكم الأموى مثل ثورة المقنع الخراسانى ، وسنباذ ، والزط ، والخرمية ، وغيرها .

---

١) ابن الاثير ٤/ ٣٤٢ ، الطبرى ٩/ ١٤٨

الفصل السادس

حركات المعارضة التي تبنت مطالب الإيرانيين

المعارضه الإيرانية ـ العراقية للحكم الأموى :

ارتبط الموقف الإيرانى من الحكم الأموى إلى حد كبير بالموقف العراقى، للصلة الوثيقة بين الإقليمين ـ كما سبق أن تحدثنا فى بداية هذا البحث ـ فقد دخل الإقليمان فى طاعة الأمويين، وارتباطابهم، وساهما فى تدعيم حكمهم والدفاع عن سلطانهم بالتصدى لكثير من حركات المعارضة، والمشاركة فى الفتوح فى المناطق الثغرية المجاورة، والتعاون مع ولاة بنى أميه وعمالهم ولكن هذه الطاعة لم تكن كاملة خالصة، وإنما كانت طاعة على دخن، يكمن تحت رمادها الساكن كثير من الجذوات المتأججة التى يسهل أن تشتغل من جديد إذا هبت عليها الريح.

لم يكن من السهل على هذه الجبهة أن تتناسى أن قيام دولة بنى أميه كان نتيجة مالحق بها من هزيمه سياسية وعسكرية، وأن انتقال العاصمة من الكوفه إلى دمشق، وتقديم أهل الشام عليهم باعد بينهم وبين الصفوف الأولى، وعبَّر الشاعر [١] عن هذه الحقيقة بقوله:

أرى الشام تكره ملك العراق ... وأهل العراق لهم كارهونا

وبقى كثير ممن دخل فى طاعة الأمويين على حبهم للعلويين ورفضوا أن ينال الأمويون سيرتهم بسوء، ومنهم الأحنف بن قيس الذى ثار على معاوية وأهل الشام، وأنذرهم بالشر [٢]

---

١) كعب بن جعيل (انظر الأخبار الطوال للدينورى ص ١٦٠)

٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٤/٢٨

وكان بنو أمية يعلمون حقيقة موقف الجبهة الإيرانية العراقية ويحاولون مداراة العراقيين باللين والمال ، ولذا نصح معاوية ابنه يزيد قبل وفاته بقوله : " وانظر أهل العراق ، فان سألوك عزل عامل في كل يوم ، فاعزله عنهم ، فإن عزل عامل في كل يوم أهون عليك من سل مائة ألف سيف ، ثم انظر إلى أهل الشام ، فاجعلهم الشعار دون الدثار ، فان رابك من عدوك ريب فارمه بهم . . " (١)

وكان عمال بني أمية يبذلون المال ليسكنوا الفتنة ويطفئوا نار الشنآن ، ومنهم خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد الذى قال للخليفه عبد الملك بن مروان مدافعاً عن نفسه عندما اتُّهم بأنه كسر خراج العراق : " استعملتني على العراق وأهله رجلان ، سامع مطيع مناصح ، وعدو مبغض مكاشح ، فأما السامع المطيع المناصح ، فإنا جزيناه ليزداد وداً إلى وده ، وأما المبغض المكاشح فإنا دارينا ضغينته ، وسللنا حقده ، وكثّرنا لك الموده في صدور رعيتك" (٢)

وقد اجتمعت عدة عوامل على توحيد هذه الجبهة المشرقية (إيران والعراق) في شعورها العدائي لبني أمية ، وهي ميولها العلوية التي أصبحت جزءاً من تاريخهم وتكوينهم ، فكانوا يعتبرون الفتره التي حكمهم فيها علي بن أبي طالب عهدهم الذهبي ، ورمز عزهم ومجدهم وزعامتهم السياسية ، وترتب على هذا أيضا كراهيتهم لأهل الشام الذين سلبوهم هذه المكانة ، وتقدموهم في مراتب السيادة ، وفَضَلوهم

---

١) الجاحظ : البيان والتبيين ٢ / ١٣١

٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٤ / ٢٤

فى العطاء والفيء ، وقد أوضح الطبري[1] جانبا من ذلك فقال :
" كان أهل الكوفه (فى سنة ٦٥هـ) يطالبون بسيرة على بن ابى طالب فى توزيع فيئهم عليهم ، وألا يقسم الا فيهم ، ولا يرضون بحمل فضل فيئهم الى أحد " .

وكان هذا الموقف المعارض والشعور العدائى المستكن فى النفوس دفع العراقيين والخراسانيين الى التقاعس وعدم الحماس من الدفاع عن النفوذ الاموى فى كثير من الاحيان ، وظهر ذلك فى مواجهتهم لثورة الخوارج سنة ٧٧هـ بقيادة شبيب الحرورى ، مما جعل الحجاج على غضبته عليهم ويقول لهم : " لا اراكم تناصحون فى قتال هؤلاء القوم باهل العراق ، انى كاتب الى أمير المؤمنين ليمدنى باهل الشام"[2] .

وتكرر مثل ذلك فى خراسان عند مواجهة ثورة الحارث بن سريج سنة ١١٦هـ حتى قال والى خراسان عاصم بن عبد الله : " ياأهل خراسان قد بايعتم الحارث بن سريج لا يقصد مدينه الا اخليتموها له ، انى لاحق بأرض قومى أبرشهر ، وكاتب منها الى امير المؤمنين حتى يمدنى بعشرة الاف من أهل الشام"[3] .

وكان الخراسانيون والعراقيون عربا وايرانيين يشعرون الى حد كبير انهم جبهه واحده ، يجمعهم وطن واحد ، وتوءلف بينهم مواقف عديدة مشتركه ، وكانوا يعتزون بهذه الرابطه ، ويرون أنها تعطيهم القوه فى مواجهة أهل الشام حتى يمكن أن نقول أنه ظهر

---

١) تاريخ الامم والملوك ٧ / ٩٥
٢) الطبرى ٧ / ٢٥٢ (٣) المصدر السابق ٨ / ٢٢٠

لديهم نوع من الشعور القومى أو الاحساس بالانتماء ، ولكن العصبيات والصراعات كانت تحول دون نمو هذا الشعور وبلوغه غايته .

ويتضح ذلك في حديث الاحنف بن قيس الى مختلف القوى العربيه في العراق وايران اذ قال لهم : " يامعشر الازد وربيعة أنتم إخواننا في الدين ، وشركاؤنا في الصهر ، وأشقاؤنا في النسب ، وجيراننا في الدار ، ويدنا على العدو . . " (٢)

وكان أول من حاول إحياء هذه النعرة واستثمارها في الدعوة لنفسه عبيد الله بن زياد عندما دعا أهل العراق لمبايعته سنة ٦٤هـ فقال لهم : " ياأهل البصرة انسبوني ، فوالله لتجدوني مهاجر (في الاصل أهاجر) والدي ومولدي فيكم ، وداري . . . وان أمير المؤمنين يزيد بن معاويه قد توفي ، وقد اختلف أهل الشام ، وأنتم أكثر الناس عددا ، وأعرضه فناء ، وأغناه عن الناس ، وأوسعه بلادا ، فاختاروا لانفسكم رجلا ترتضونه لدينكم وجماعتكم . "

وكانت ثورة ابن الاشعث ـ كما سنذكر بعد قليل ـ تمثل المعارضه العراقية الإيرانية بكل طوائفها ، ولذلك كان الخليفة عبد الملك يقول أثناء ذلك : " إن أهل العراق طال عليهم عمرى ، فاستعجلوا قدرى ، اللهم سلط عليهم سيوف الشام حتى يبلغوا رضاك . . " (٤)

وحاول قتيبة بن مسلم أن يستغل هذا الموقف لمصلحته أثناء ثورته

---

١) ابن عبد ربه ٤ / ١٣٤
٢) الطبرى ٧ / ١٨
٣) الطبرى ٨ / ١٠

على الخلافه فقال : حتى متى ينبطح أهل الشام بأفنيتكم وظلال دياركم، ياأهل خراسان ، انسونى تجدونى عراقى الام والاب ،عراقى المولد ، عراقى الهوى والرأى والدين"[١]

واتبع يزيد بن المهلب نفس السبيل ، فجمع أهل البصرة ،ودعاهم إلى قتال أهل الشام، وزعم أن قتالهم أعظم أجرًا من جهاد الترك والديلم[٢]، وكان يدعو الناس إلى مبايعته على عدة مبادئ منها " ألا تطأ الجنود بيضتنا ، ولا يُعاد علينا سيرة (الفاسق) الحجاج"[٣]

فلا غرو - بعد ذلك - أن تكون الجبهة المشرقية التى تضم العراق وايران ، الميدان الارحب للمعارضة ، والحقل الخصب الذى يقصده كل مناوئ ومناهض، وتنطلق منه الثورات التى أرقت الحكم الاموى طوال عهده .

---

١) المصدر السابق ٨ / ١٠٥

٢) نفس المصدر ٨ / ١٤٩

٣) الطبرى ٨ / ١٥٢

ثورة ابن الاشعث

التجمع العراقي الإيراني في هذه الثورة :

بدأت ثورة ابن الاشعث من صفوف الجند الخراساني الموجودة في سجستان بأقصى الشرق ، لكنها مالبثت أن امتدت واتسع نطاقها لتمثل الميدان المشرقي بمختلف تياراته واتجاهاته ، واجتاحت إيران والعراق حتى كادت أن تزلزل عرش بني أمية ، لولا اصطدامها بالقوة الشامية التي يعتمد عليها،واستطاعت أن تقف كالصخور الصلبة لتصد هذا السيل الجارف .

لم يكن بدور بخلد الحجاج بن يوسف الثقفي أن الجيش العظيم الذي وجهه إلى سجستان سنة ٨٠هـ ، مؤملاً من ورائه النصر والمجد والذي سُمّي بجيش الطواويس لقوته وكمال عدته [١] ، سينقلب سلاحاً ضده ، ويصبح سيفاً موجهاً إلى صدره .

وبدأت الثورة بتمرد عسكري ألهبته روح التذمر والسخط بين الجند الذين يحاربون في هذا الثغر النائي لسوء معاملة القيادة العليا لهم ، دون أن تدري شيئا عن مشاكلهم أو تهتم بإصلاح أحوالهم ومعرفة مطالبهم ، وقد انقطعوا في هذا الثغر النائي عن أهلهم وديارهم ، وطالت غربتهم ، وكلّت سيوفهم ، وبدلا من أن تفكر في التخفيف عنهم ، اتجهت إلى زيادة أعبائهم ومضاعفة

---

١) الطبري ٨ / ٥

همومهم ، فأمر الحجاج بتجميرهم ، واتهم قائدهم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بالتخاذل ومهادنة العدو ، وأظهر نيته في توطينهم في هذا الثغر القصي ، وحرمانهم من العودة إلى أوطانهم ورؤية أحبابهم ، وكتب الحجاج إلى ابن الأشعث : " كتابك كتاب امرئ يحب الهدنة ، ويستريح إلى الموادعة ، قد صانع عدوًا قليلاً ذليلاً . . " واتهمه بالضعف وسوء الرأى ، وأمره بسرعة التوغل فى أرض العدو ، ثم أردفه كتابا آخر قال فيه : " مُرْ من قبلك من المسلمين فليحرثوا وليقيموا فإنها دارهم حتى يفتحها الله عليهم" ، وتوالت كتب الحجاج مهددة متوعدة تصب الغضب والنقمة على ابن الأشعث ومن معه .

عندئذ ثارت ثائرة الجند ، وجمع ابن الأشعث رجاله ، وعرض عليهم الموقف ، وسألهم الرأى ، وأحس الجند أن الحجاج لا يعنيه الا النجاح ولو وصل اليه على رقابهم ، وقال بعضهم : " إنكم إن أطعتم الحجاج جعل هذه البلاد بلادكم مابقيتم ، وجمركم تجمير فرعون الجنود ، فإنه بلغنى أنه أول من جمر البعوث ولن تعاينوا الأحبة فيما أرى ، أو يموت أكثركم" . واجتمع أمرهم على الثوره ومبايعة ابن الأشعث على النصرة والطاعة ، وخلع الحجاج من أرض العراق (١) .

وسرعان ما اتسع نطاق الثورة ، وتحولت من نقمة على الحجاج إلى ثوره على الحكم الأموى كله ، وبلغ الثائرون فى زحفهم إقليم فارس واجتمعوا فقالوا : " إنا إذا خلعنا الحجاج عامل عبد الملك ، فقد

---

١) الطبرى ٨ / ٨

خلعنا عبد الملك" فقام بعضهم وقال : " إني خلعته كخلعي قميصي هذا" ، وبايعوا ابن الاشعث بيعة جديدة " على كتاب الله وسنه نبيه ، وخلع أئمة الضلالة ، وجهاد المحلين" ، وقال رئيسهم ابن الاشعث : " وأما الحجاج فليس بشيء ، ولكننا نريد غزو عبد الملك" .

وكان أنصار الثورة والمنضمون إليها يتزايدون باستمرار ، كلما مروا بقوم انضموا اليهم ، ومنهم أربعه آلاف من أهل العراق كانوا في فارس ، وعندما وصلوا إلى البصرة في ذي الحجة سنة ٨١هـ بايعهم جميع أهلها .(١)

وأنضمت إلى الثوره جماعات كثيرة واتجاهات متعددة ، ولكل منها هدف ومأرب ، لكنها تلتقي جميعًا على عداوة بني أمية ، وتتضافر لتجعل من هذه الثورة التي بدأت بحركة عصيان عسكري ، ثورة سياسية واجتماعية متعددة الدوافع والغايات .

فاليمنيون الذين ناصروا هذه الثوره ، رأوا فيها انتصارًا لهم على القيسية ، وبخاصة أن قائد الثورة ينتمي إليهم ، ولذلك كانوا أسبق الناس إليها كما يقول الطبري(٢) : " وسبقت إليه همدان" ، وعبّر الاعشى الشاعر عن ذلك في أبيات قال فيها " أمكن ربي من ثقيف همدان"(٣) ، ووقف ابن الاشعث معترضًا على استئثار قريش بالخلافة

---

١) الطبري ٨ / ٩ -١١
٢) تاريخ الامم والملوك ٨ / ١٤
٣) ابن الاثير ٤ / ٧٨

والحكم فقال : "إن يكن هذا الأمر فى قريش فعنى فقئت بيضة قريش (١) وإن يك فى العرب فأنا ابن الأشعث ومد بها صوته يسمع الناس (٢).

ودخل فى نطاق الثورة بعض العلويين وأشياعهم ، وعند ما أقبل ابن الأشعث على البصره تشجع أهلها وبايعوا أحد الهاشميين وهو عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، فقاتلوا الحجاج خمس ليال أشد قتال ، ثم لحقوا بابن الأشعث ، فولى هذا الهاشمى على ميمنته (٣) ، وكان يحارب تحت راية ابن الأشعث عدد من القراء الذين حاربوا من قبل تحت راية على بن أبى طالب مثل عبد الرحمن بن أبى ليلى الذى كان يحرض أصحابه على القتال ، ويذكرهم بكلمات على يوم صفين (٤)

وظهر الجانب الاجتماعى فى هذا الثورة ، بانضمام طائفة القراء والفقهاء ، الذين كانوا يطالبون بتطبيق المبادىء الإسلامية كاملة وتحقيق المساواة بين العرب والموالى ، وكانوا يشكلون كتيبة كاملة فى جيش ابن الأشعث عرفت باسمهم ، وكانوا من أشد الناس على الحجاج حتى أنه خصص لمواجهتهم فى واقعة دير الجماجم ثلاث كتائب ، ومنهم عامر الشعبى ، وسعيد بن جبير ، وأبو البخترى الطائى ، وعبد الرحمن بن أبى ليلى سالف الذكر ، ورجل من الأزد

---

١) كذا فى الطبرى ، وفى ابن الاثير "فمنى تقويت بيضه قريش" والمعنى غير واضح ، وذكر الناشر فى هامشه أن المقصود " تقشرت بيضه قريش" أى تخلصت منها ، كما يتخلص الفرخ من البيضة .

٢) الطبرى ٨ / ١٦ ، ابن الأثير ٤ / ٨٢

٣) الطبرى ٨ / ١٣ ، ١٧

٤) الطبرى ٨ / ١١

له صحبةً ، يسمى عقبةً بن عبد الغافر (١)

وهكذا تعددت الروافد التى تصب فى هذه الثورة ، واكتمل التجمع العراقى الإيرانى تحت لوائها بانضمام الموالى الايرانيين اليها ، وهو ماسنتحدث عنه فى المبحث التالى .

دور الموالى الإيرانيين فى هذه الثورة :

لم يهتم كثير من الباحثين بإبراز دور الموالى فى ثورة ابن الأشعث بل إن بعضهم اتجه إلى انكار هذا الدور ، يقول الدكتور نبيه عاقل (٢) تحت عنوان " رأى فى ثورة ابن الاشعث" : " إننا لا نجد فى الطبرى ولا فى غيره من المصادر مايشير إلى أن الموالى كانوا سبب ثورة ابن الاشعث ، أو أنهم الذين أحدثوا الفتنه".

وحقيقةً لم يكن دور الموالى واضحًا فى المرحلةً الأولى من اندلاع الثورة ، عندما كانت مجرد تمرد من الجند ، ولا تعبر إلا عن مطالب فئة العسكريين ، ولكن دور الموالى يظهر بوضوح فى المرحلةً التاليةً والحاسمةً من الثورة عندما امتدت إلى العراق ودخلت البصرةً وصحيح أن المصادر لم تلح على إبراز هذا الدور ، ولكنها أيضا لم تهمله وأشارت إليه اشارات موجزه لكنها بالغةً الاهميه ، ولا يجب أن تفلت من أيدى الباحثين ، أو يمروا عليها مرور الكرام .

---

١) المصدر السابق ٨ / ١١

٢) تاريخ خلافة بنى أمية ص ١٨٠

كان دور الموالى فى هذه الثورة ذا جانبين ، أولهما أنهم كانوا عنصرًا محركاً ودافعاً لطائفة القراء والفقهاء الذين أغضبهم وأثارهم ماوقع لهؤلاء الموالى من مظالم فى عهد الحجاج ،اعتبروها منافية لمبادىء الدين ، عندما أمر بردهم إلى قراهم ، ووسمهم على أيديهم ، وحرمهم من المشاركه فى الجندية والعطاء ، يقول ابن الاثير(١) : "إن عمال الحجاج كتبوا إليه إن الخراج قد انكسر ، وان أهل الذمة قد أسلموا ولحقوا بالامصار ، فكتب إلى البصرة وغيرها "إن من كان له أصل من قرية فليخرج إليها". فأخرج الناس لتوءخذ منهم الجزيه ، فجعلوا يبكون وينادون : يامحمداه يامحمداه ، ولا يدرون أين يذهبون ، وجعل قراء البصرة يبكون لما يرون ، فلما قدم ابن الاشعث عقيب ذلك بايعوه على حرب الحجاج ، وخلع عبد الملك".

والجانب الثانى فى دور الموالى أنهم شاركوا مشاركه فعليه فى القتال ضد الحجاج ، بسبب ماأظهره من شدة عليهم ، ورفضوا ما أظهره من تفرقة بينهم وبين العرب ، قال ابن عبد ربه(٢) : "ذكر الجاحظ أن الحجاج لما خرج عليه ابن الاشعث وعبد الله بن الجارود ولقى مالقى من قرى أهل العراق ، وكان أكثر من قاتله ، وخلعه وخرج عليه ، الفقهاء والمقاتله والموالى من أهل البصرة ، فلما علم أنهم الجمهور الاكبر ، والسواد الاعظم ، أحب أن يسقط ديوانهم

---

١) الكامل ٤ / ٧٩

٢) العقد الفريد ٣ / ٤١٦

ويفرق جماعتهم، حتى لا يتآلفوا ولا يتعاقدوا، فأقبل على الموالى وقال: أنتم علوج وعجم وقراكم أولى بكم، ففرقهم، وفض جمعهم كيف أحب، وسيرهم كيف شاء ونقش على يد كل منهم أسم البلدة التى وجهه إليها"

وذكر الطبرى [١] فى أخبار سنة ٨٢هـ أن الذين قاتلوا مع ابن الاشعث فى موقعة دير الجماجم كانوا مائة ألف من العرب الذين يأخذون العطاء، ومعهم مثلهم من مواليهم، وهذا يوضح مدى حجم الموالى وثقلهم فى هذه الثورة.

وكان الموالى أشد المقاتلين حماسا وبلاء فى هذه الثورة، ومنهم شخص يدعى نصيرا، قيل إنه مولى للمفضل بن عباس الهاشمى، وقتل فى المعركه سنة ٨٢هـ [٢]، ومنهم فيروز حصين (بالإضافه) [٣]، من موالى آل الخشخاش، كان من أشد الناس بلاء ضد الحجاج حتى قال: "من جائنى برأس فيروز فله عشرة آلاف درهم" فقال فيروز: "ومن جائنى برأس الحجاج فله مائة ألف درهم"، وفر إلى خراسان بعد هزيمة ابن الاشعث حتى وقع فى قبضة يزيد بن المهلب فبعث به إلى الحجاج فنكل به وقتله [٤].

---

١) تاريخ الامم والملوك ٨ / ١٥   (٢) الطبرى ٨ / ٨٢
٣) سبق ذكره فى الفصل الثانى.
٤) الجاحظ: البيان والتبيين ٢ /٤٣، ١٤٧

وبانضمام الموالي والفقهاء إلى ثورة ابن الأشعث أصبح لها جانب اجتماعي له أهميته ، مما يجيز لنا أن نضعها في عداد الثورات التي تبنت قضية الموالي ودعت إلى إصلاح أحوالهم ، وإيجاد الحلول لمشاكلهم .

ونستطيع أن نقول إنها ثورة عراقية إيرانية شاملة في مواجهة بني أمية وأهل الشام ، تمثلت فيها معظم التيارات المعارضة عدا التيار الخارجي ، الذي لم يكن يقبل المشاركة مع مخالفيه في المذهب ولم يكن يحظى بقاعدة شعبية واسعة ، رأى فيها الجند خلاصاً من مشكلاتهم وقسوة القيادة عليهم ، ورأى فيها اليمنيون كسراً لاحتكار المضرية ، وبخاصة قريش ، للسيادة دونهم ، ورأى فيها العلويون فرصة للثأر من بني أمية ومحاولة إعادة الكرة عليهم ، ورأى فيها القراء وسيلة لتحقيق المثل الإسلاميه التي يطالبون بها ، ورأى فيها الموالي الإيرانيون خلاصاً من مظالمهم وتبشيراً بعهد جديد تتحقق لهم فيه المساواة الكاملة ، ويفتح لهم طريق التقدم السياسي والاجتماعي .

وأصبحت الثورة تمثل الرابطة العراقية على اختلاف فئاتها ، ولذا نجد المؤرخين يطلقون على أتباع ابن الأشعث " العراقيين" وعلى أنصار بني أميه" الشاميين" ، وأوضح الطبري (١) العناصر التي ساهمت في هذه الثورة فقال : " اجتمع أهل الكوفه ، وأهل البصرة ، وأهل

---

١) تاريخ الأمم والملوك ٨ / ١٥

الثغور، والمسالح، والقراء، من أهل المصرين، اجتمعوا جميعا على حرب الحجاج وهم إذ ذاك مائة ألف مقاتل ممن يأخذون العطاء ومعهم مثلهم من مواليهم".

ولكن الثورة لم يكتب لها النجاح رغم هذا التجمع الهائل، وهذا الحماس الشديد، لأن هذه الجماعات العراقية الإيرانيه التى وحد بينها الصف، لم يوحد بينها الهدف، كانوا جميعا يلتقون على كراهية بنى أمية وأهل الشام، ولكن كان لكل منهم وجهة ومرمى ولم يكن يعنيهم كثيرًا أمر قائدهم ابن الاشعث، وأن تصير الخلافة إليه، وانطفأ حماس الجند عند ما وصلوا إلى العراق ورووا ظمأهم برؤية أهليهم وديارهم وكان رجال الأمويين يتوقعون منهم ذلك وينتظرون هذه الفرصة، إذ كتب يزيد بن المهلب إلى الحجاج ينصحه: "إن لأهل العراق شرة فى أول مخرجهم، وصبابة إلى أبنائهم ونسائهم، فليس شيء يردهم حتى يسقطوا إلى أهليهم، ويشموا أولادهم، ثم واقعهم(١) عند ما، فإن الله ناصرك عليهم" (٢)

وكان جند الشام أكثر طاعة والتزاما، وأقوى تدريبًا، وأحسن تخطيطا وقيادة، تجمعهم رابطة واحدة، وليسوا قبائل متعدده متنافسة، وأجناسا مختلفه كأتباع ابن الاشعث، ومن ورائهم الخلافة التى يمثلها فى ذلك الوقت خليفة حازم محنك هو عبد الملك بن مروان، الذى اكتسب خبرة فى حرب العراقيين فى انتصاره على مصعب

---

١) كذا فى ابن الاثير وفى الطبرى واقفهم
٢) الطبرى ٨/ ١٠ ، ابن الاثير ٤/ ٧٩

ابن الزبير سنة ٧١هـ، وتمكن جيشه بقيادة الحجاج من إحراز نصر حاسم فى دير الجماجم وأتبعه بنصر آخر فى مسكن سنة ٨٣هـ، وكانت نهاية ابن الأشعث أن فر الى سجستان لاجئا إلى ملكها رتبيل، فأسلمه إلى الحجاج فقتله سنة ٨٥هـ.

دعاة الاصلاح في الجيش الخراساني

ظهر في الجيش الخراساني ، وبخاصة الفرق الموجوده منه في مناطق الثغور، في جبهة ماوراء النهر وتركستان عدد من القراء والفقهاء وأهل التقى والدين الداعين إلى الالتزام بالقرآن والسنه ومبادئ العدل والمساواة بين جميع المسلمين على اختلاف أجناسهم والعمل على فتح أبواب الإسلام، وتشجيع أهل الذمة على الدخول فيه ، بإعفائهم من الأعباء المالية من جزية وخراج .

وتعتبر هذه الحركة الإصلاحية امتدادًا لجهود جماعه قراء البصرة الذين تعاطفوا مع الموالي وتبنوا مطالبهم، وانضموا من أجل ذلك إلى ثورة ابن الأشعث.

وفي بداية الأمر لم يشكل دعاة الإصلاح في الجيش الخراساني جبهة واحدة ،أو حزبًا مناوئًا ، ولكنهم كانوا مجرد أفراد ناصحين اكتفوا بإسداء الرأي وإرشاد القائمين بالأمر، وكان رباط المودة والصداقة يجمع بين كثير من أفرادهم، ثم تطور أسلوبهم الإصلاحي إلى معارضة منظمه قوية تعتمد على القوة والسيف في مواجهة الإدارة الأموية التي رفضت نصحهم واستهانت بدعوتهم.

ونجد على رأس هؤلاء الدعاة أبا الصيداء صالح بن طريف(١) من موالي بني ضبة، وكان زعيم هذه الحركة المتصدر لها ، وكان من

---

١) في بعض الروايات : " ابن طريق"

زعماء الوفد الخراساني الذى أرسله الوالى للقاء الخليفة عمر بن عبد العزيز فى دمشق ، كما عُيِّن بعد ذلك رئيسا لبعثة الدعاة الذين كُلِّفوا بنشر الإسلام بين سكان ماوراء النهر وتركستان [(١)] ، وكان رفيقه فى الكفاح صديقه الشاعر ثابت قطنة ، وهو عربى من قبيلة الأزد، وأسمه بالكامل ثابت بن كعب بن جابر العتكى الأزدى ، وسمى بقطنة لأنه فقد إحدى عينيه ، فكان يحشو مكانها بقطعة من القطن [(٢)] ،وبعض الكتاب يخلط بينه وبين ثابت قطبة الخزاعى ، وذكر الطبرى [(٣)] أنه من ربيعة ، ولكن ابن الأثير [(٤)] نبه إلى مايحدث فيه من خلط وأكد على اسمه ونسبه كما ذكرناه . وكان ثابت قطنة من أشجع المجاهدين الذين أبلوا فى فتوحات ماوراء النهر ، وله أشعار عديدة تعبّر عن مواقفه السياسية ، ووصفه ابن خلكان [(٥)] بأنه من شعراء خراسان وفرسانها ، وقال عنه الطبرى [(٦)] "إنه كان فاضلاً فى دينه" .

ومن دعاة الإصلاح أبو رؤبة رئيس طائفة المرجئة ، وكان معه جماعة من أصحابه [(٧)] ، والجهم بن صفوان زعيم فرقة القدرية ، التى تعرف أيضا بالجهمية نسبة إليه ، وهو مولى راسب [(٨)] .

---

١) ابن الأثير ٤/١٥٨ ، ٢٠٢ .
٢) ابن خلكان ٦/٣٠٧ ، البلاذرى : فتوح البلدان ٤١٨
٣) تاريخ الأمم والملوك ٨/٦٣ (٤) الكامل ٤/١٧٧
٥) وفيات الأعيان ٦/٣٠٧ (٦) تاريخ الأمم والملوك ٨/١٣٤
٧) الطبرى ٨/١٥٣ ، ابن الأثير ٤/١٧٢ ، ١٧٤
٨) الطبرى ٩/٢٦٨ ، ابن الأثير ٤/٢٩٢

ومنهم الحارث بن سريج الذى قام بثورته العارمة ضد الحكم الاموى ،وكان صديقا للشاعر ثابت قطنه، ورفيقه في الجهاد فيما وراء النهر وكان أثناء الفتوحات يحمس المسلمين ويحرضهم على قتال الكفار[١].

وإلى جوار هذه الشخصيات التى كان لها دور بارز نجد إلى جوارهم أسماء أخرى من أهل الفقه والعلم ، ممن ينتمون إلى قبائل عربيه متعددة مثل أبى فاطمة الايادى[٢] ، وربيع بن عمران التميمى والقاسم الشيبانى ، وبشربن جرموز الضبى ، وخالد بن عبد الله النحوى ، وبشر بن زنبور الازدى ، وعامر بن قشير[٣] الخجندى ، وبيان العنبرى ، وإسماعيل بن عقبة[٤] ، وأضاف إليهم ابن خلدون[٥] بشير الجحدرى ، وقد ظهر دور هؤلاء المصلحين فى أحداث سنة ١١٦ه عندما تبنوا قضية الموالى وتصدوا للدفاع عنها .

وباستعراضنا لأسماء هؤلاء الدعاة السابق ذكرها ، نجد من بينهم العرب والموالى ، والمضريه واليمنية ، مما يدل على أن حركتهم الإصلاحية قد تلاشت فيها الفوارق الجنسية والبواعث العنصرية ، وتجلى فيها التمازج الإسلامى ، ورابطة المبادىء والمثل .

---

١) ابن الاثير ٢٠٢/٤ ، وسنعود للحديث عن ثورة الحارث بن سريج فى المبحث التالى .

٢) كذا فى الطبرى وفى ابن الاثير ، وابن خلدون (١٨٧/٥) الأزدى

٣) أو ابن بشير

٤) الطبرى ١٣٤/٨ ، ابن الاثير ١٥٨/٤

٥) العبر ١٨٦/٥ ، ١٨٧

وقد بدأت هذه الجماعة بعرض مطالبها على الخلافة بصورة هادئة في سنة ١٠٠ هـ، على لسان ممثلهم أبي الصيداء الذي مُثِّل أمام الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز ضمن الوفد الذي بعثه والي خراسان الجراح بن عبد الله الحكمي، وقد استفاد هذا المولى من هذه الفرصة، ووجد من الخليفة رغبة في الاستماع إليه فقال له:

" يا أمير المؤمنين، عشرون ألفا من الموالي يغزون بلا عطاء ولا رزق، ومثلهم قد أسلموا من أهل الذمة يؤخذون بالخراج، وأميرنا عصبي جاف، يقوم على منبرنا فيقول: أتيتكم حفيا، وأنا اليوم عصبي، والله لرجل من قومي أحب إلي من مائة من غيرهم... وهو بعدُ سيف من سيوف الحجاج [(١)]، قد عمل بالظلم والجور".

ونلاحظ أن أبا الصيداء قد عرض مطالب فريقين من الموالي الذين ينتمي إليهم، المحاربين بلا عطاء، والمأخوذين بالجزية، والأرجح أن الأولين هم الإيرانيون الذين رسخ قدمهم في الإسلام، وأصبح لهم دور في الجيوش المحاربة، والآخرين هم سكان ماوراء النهر حديثو العهد بالإسلام، وكانوا لا يزالون يعاملون كأهل ذمة.

وقد أبدى الخليفة إعجابه بهذا الرسول المتحدث، وأثنى على شجاعته وصدقه، وقال له: " مثلك فليوفد"، وأمر الوالي بتحقيق هذه المطالب، وإعفاء كل من يدخل في الإسلا من الجزية بلا قيد ولا شرط [(٢)].

---

١) الطبري ٨ / ١٣٤

٢) المصدر السابق، ونفس الصفحه، وابن الأثير ٤ / ١٥٨

ولكن أسلوب الحوار الهادئ لم يعد يجدي بعد وفاة الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، وعادت السياسة الأموية في تقديم مصلحتها المالية على المبادئ، والاشتداد في معاملة الرعايا من غير العرب، بصوره أشد مما كانت عليه، ولم يكن دعاة الإصلاح في ذلك الوقت - وهم أفراد معدودون - يستطيعون بقوتهم المحدوده تنفيذ برنامجهم الاصلاحي، فاتجه بعضهم الى تحقيقه من خلال المشاركة في حركات المعارضه الاخرى التي يرى أنها توافقه في الهدف، ممن يرفع شعار العمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فكان أبو رؤبة زعيم المرجئة وجماعته يحاربون مع يزيد ابن المهلب ضد بني أميه عندما وجدوه يرفع هذا الشعار، وكان أبو رؤبة أشد أنصاره على بني أمية، وبرغم ذلك أصر في حربه معهم على الالتزام بالمبادئ، ورفض أن يسلك معهم سبيل الغدر والمخادعة.(١)

وبقي الفريق الاكبر من دعاة الإصلاح يحاول من جديد تحقيق مبادئه سلميا من خلال التعاون مع الإدارة الأموية، ولكن العمال لم يفوا لهم، ولم يلتزموا بما أعطوهم من عهود، فعندما تولى خراسان أشرس بن عبد الله السلمي سنة ١٠٩ هـ، فرحوا بمقدمه، وكان الناس يسمونه الكامل لفضله(٢)، وأبدى في بداية عهده رغبة في نشر الإسلام فيما وراء النهر والدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة بدلاً من السيف والحرب، فأيده في ذلك جماعة الإصلاح وعلى رأسهم

---

١) الطبري ٨/١٥٣، ابن الاثير ٤/١٧٢، ١٧٤

٢) ابن الاثير ٤/٢٠٠

زعيمهم أبو الصيداء الذى وافق على الاضطلاع بهذه المهمة، لكنه اشترط على الوالى" أن من أسلم يعفى من الجزية" وأشهد عليه أصحابه فقال لهم: " إن لم يفِ العمال أعنتمونى عليهم؟ قالوا: نعمْ.

وكلل أبو الصيداء مهمته بالنجاح، وأقبل أهل سمرقند على الإسلام، ولكن الوالى تراجع عن الوفاء بوعده خوفا أن ينكسر الخراج وكتب إلى عماله: " خذوا الخراج ممن كنتم تأخذونه منه"، ويقال إن الذى زين له هذا الأمر كاتب نبطى يسمى عميرة، ويكنى بأبى أمية، فزاد وظائف خراسان، واستخف بالدهاقن(١).

وكان هذا الموقف سببًا فى فساد العلاقة بين الإدارة الأموية فى خراسان، وجماعة الإصلاح، الذين اضطروا بعد ذلك إلى اتباع الأساليب العنيفة، وإعلان معارضتهم للسياسة الأموية، وانضم عدد منهم وعلى رأسهم أبو الصيداء إلى آلاف الثائرين من أهل السغد، فاحتال عليهم الوالى، وأمر قائد جيشه باستدعائهم، ثم قام باعتقال رءوسهم، ووضع أبا الصيداء وصديقه ثابت قطنة فى السجن.

عندئذ اجتمع باقى دعاة الإصلاح وولوا أمرهم أبا فاطمة الأيادى فاحتال عليهم نائب الوالى، واستمهلهم مدّعيًا أنه ينتظر رد الوالى على مكاتباته، ثم قبض عليهم وأرسلهم إلى الوالى أشرس، وبقى ثابت قطنة محبوسًا، حتى أطلقه الوالى بكفالة بعض سادة العرب، ولم

---

١) البلاذرى: فتوح البلدان ٤١٧

يمتد أجله بعد ذلك طويلا إذ لقى الشهادة سنة ١١٠هـ، وهو يقاتل كفار الترك إلى جوار رفيقة الحارث بن سريج ، وكان قبل ذلك يدعو الله قائلا : " اللهم اجعلني ضيفاً عندك الليلة"(١).

وقد أفسدت هذه السياسة على المسلمين ولاية ماوراء النهر وتمرد عليهم أهل السغد ، وتحالفوا مع جيرانهم الترك الذى كانوا لا يزالون على وثنيتهم ، وهاجموا مدن ماوراء النهر الاسلامية مثل كَمَرْجَة(٢) وبخارى ، ومالبثوا أن تجرأوا على عبور النهر ، ومهاجمة خراسان نفسها(٣)، كما أدت هذه السياسة إلى اتجاه جماعة الإصلاح إلى حمل السلاح ضد بنى أمية فى ثورة قوية قادها الحارث بن سريج ، وامتدت إلى أواخر العصر الأموى .

---

١) الطبرى ١٩٨ ، ١٩٩

٢) بفتح أوله وثانيه وسكون الراء ، من قرى الصغد (ياقوت ٤ / ٤٧٩)

٣) ابن الأثير ٤ / ٢٠٤ ، ٢٠٨ ، ٢٢٦

ثورة الحارث بن سريج

أهداف الثورة :

لم نجد في المصادر التي رجعنا إليها نصاً صريحاً عن نسب الحارث بن سريج وأصله ، وقد ذكر ابن خلدون[1] أنه كان عظيم الأزد بخراسان ، وهذا القول لا يمكن التسليم به ، لأن أكثر أنصار الحارث كانوا مضرية وكان أعداؤه اليمنية يعيرونه بانهزامهم[2] ، وقد دخل في صراع عنيف مع الأزد وزعيمهم جديع بن علي الملقب بالكرماني وكانوا أشد الناس عداء له ، وبلاء في حربه ، ولكننا نستطيع أن نستشف من أبيات هجاه بها أعداؤه ، تنسب إلى الوالي نصر بن سيار الكناني[3] ، أن الحارث كان عربياً مضرياً ينتمي إلى قبيلة تميم ويعضد ذلك أن المضرية وبخاصة تميم كانوا أسرع الناس إلى مبايعته ونصرته[4] .

---

١) العبر ٥ / ١٩٧

٢) انظر ابن الأثير ٤ / ٢٠٤ ، ٢٠٨ ، ٢٢٦

٣) جاء في هذه الأبيات :

يا مدخل الذل على قومه	بعدا وسحقا لك من هالك
شؤمك أردى مضرا كلها	وحزمن قومك بالحارك
ما كانت الأزد وأشياعها	تطمع في عمرو ولا مالك
ولا بني سعد إذا ألجموا	كل طمر لونه حالك

وعمرو ومالك وبنو سعد بطون من تميم

انظر الطبري ٩ / ٧٣ ، ابن الأثير ٤ / ٢٩٤

٤) الطبري ٩ / ٥٣ ، ابن الأثير ٤ / ٢٩٣

وتبدأ معرفتنا بالحارث عندما يرد اسمه كثيرًا فى حركة الإصلاح التى ظهرت بين الجند الخراسانى فى ماوراء النهر، وكان من الفرسان أصحاب البلاء، كما كان صديقا ورفيقا للشاعر ثابت قطنة سالف الذكر.

وعن أفكار الحارث وعقيدته، فقد نص الطبرى(١) أنه كان يرى رأى المرجئة"، وهى فرقة تتصف بالاعتدال، ولا تكفر أحدًا من المسلمين وترجىء الحكم إلى الله يوم القيامة"، ولم نجد لآراء هذه الفرقة تأثيرًا عمليًا على ثورة الحارث بن سريج، لأن آراءها متصلة" بالاعتقاد القلبى، وكانت رد فعل للاختلافات الحادة" التى وقعت بين فرق المسلمين ومتكلميهم حول مرتكب الكبيرة، ولم تكن ثورة الحارث تتعلق بهذه القضية" الكلامية، ولم يكن معظم الذين يقاتلون معه من أتباع هذه الفرقة"، بل أننا نرى من بين أنصاره من لا يشاركونها الرأى مثل الجهمية أو الجبرية، وعلى رأسهم زعيمهم الجهم بن صفوان موءسس الفرقة، وكان يقوم بدور المتحدث بلسان الحارث، ويدعو الناس إليه ويقوم بقراءة سيرته وبرنامجه الإصلاحى عليهم، كما كان ممثله لدى الوالى نصر بن سيار عندما طلب اللجوء إلى التحكيم(٢).

ولكن ثورة الحارث كانت امتدادًا لحركة الإصلاح التى ظهرت بين المجاهدين فيما وراء النهر، وقد تصدى لزعامتها عندما تحولت من اللسان إلى السنان، بعد أن هاله ماحل بزعمائهم

---

١) تاريخ الامم والملوك ٨/ ٢٢٣

٢) الطبرى ٩/ ٦٨ ، ابن الاثير ٤/ ٢٩٢

على أيدى عمال بنى أمية من اعتقال وسجن ، وكان يرفع أهم شعاراتهم وهى العمل بالكتاب والسنة ، وكان يقاتل تحت رايته عدد منهم ، وهم الذين أسماهم الطبرى " أهل البصائر" ، وقتل بعضهم دون مبادئه ، ومنهم أبو فاطمة الايادى الذى بويع من قبل رئيسا لهم.(١)

وكان الحارث يرفع الرايات السود ، ويلبس السواد ، ويدعو للرضا ، وهى نفس الشعارات التى رفعها العباسيون الذين أظهروا دعوتهم بعده بقليل ، ولكن هذا التشابه فى الشعارات لا يدل على تشيع الحارث أو ارتباطه بالدعوة العباسية ، لأن حركته بدأت من منطقة ماوراء النهر ، ولم يكن للعباسيين ولا للشيعه نشاط بها فى ذلك الوقت ، لأن خلاياهم السرية لم تكن تتجاوز العراق وخراسان ، ولم يثبت أن الحارث اتصل بهم أو تعاون معهم ، وقد عاصر الحارث فى المرحلة الأخيره من ثورته بداية ظهور أبى مسلم الخراسانى داعية العباسيين ، ومع ذلك ، لم يفكر أبو مسلم ولا دعاة العباسيين فى التعاون معه أو مناصرته عندما اصطدم بالكرمانى فى مرو ، ودارت عليه الدائرة .

كما أن الحارث لم يفكر فى التعاون مع بعض الثائرين العلويين الذين ظهروا فى المنطقة فى ذلك الوقت مثل عبد الله بن معاوية الذى أعلن ثورته سنة ١٢٧ هـ ، ولكن الحارث كان يرفع الرايات السود على أعتبار أنها شعار إسلامى كان يستخدمه الرسول صلى الله عليه وسلم فى غزواته ، وكان يدعو للرضا من المسلمين دون أن

---

١) الطبرى ٩/٦٨ ، ابن الاثير ٤/٢٩٢

يحدد نسبه في آل محمد أو أبناء علي أو غيرهم.

لقد كان الحارث يدعو إلى منهج اصلاحي يتمثل في العمل بالكتاب والسنة، واستعمال أهل الخير والصلاح من العمال في الولاية والإدارة، ولم يقبل التنازل عن هذا المطلب أو المساومة عليه، أو المهادنة في المطالبة به، حتى في أحلك الظروف التي مرت به، وعندما جاء إلى خراسان سنة ١٢٧هـ، وحصل على الأمان لنفسه، لم يكن معه في البداية قوة ولا أنصار، ومع ذلك رفض عرضاً من الوالي نصر بن سيار باستعماله، وإعطائه مائة ألف دينار، وكتب إليه: "إني لست من هذه الدنيا، ولا هذه اللذات، ولا من تزويج عقائل العرب في شيء، وإنما أسألك كتاب الله عز وجل، والعمل بالسنة، واستعمال أهل الخير والفضل، فإن فعلت ساعدتك على عدوك" (١)

وعندما رأى الحارث أن بني أمية وعمالهم لم يرتضوا هذه المطالب ولم يلتزموا بها، طوّر من أهدافه ومطالبه، ووسع نطاقها فأعلن رفضه لحكم بني أمية، وأصر أن يكون الأمر شورى، وأن يرد الأمر إلى المسلمين ليختاروا لأنفسهم (٢)، وقد أظهر عداءه الصريح لبني أمية في المرحلة الأخيرة من ثورته سنة ١٢٨هـ، وأعلن أنه ينوي أن يهدم أسوار دمشق، ويزيل ملك بني أمية (٣).

---

١) الطبري ٩/٥٣
٢) المصدر السابق ٩/٦٦، ٦٨
٣) ابن الأثير ٤/٢٩٢

مراحل الثـــورة :

بدأت ثورة الحارث بن سريج سنة ١١٦هـ، ولم تنته إلا بمقتلـه سنة ١٢٨هـ، ولم تكن متصلة مستمرة، ولكنها كانت على ثلاث مراحل تهدأ لتبدأ من جديد بعد حين، وكان طابع الثورة يختلف في كل مرحلة، من حيث الميدان الذى تنطلق منه، والقوه التى تعتمد عليها، والمطالب التى تنادى بها.

بدأت المرحله الاولى فى سنة ١١٦هـ بعد اصطدام زعماء جماعة الإصلاح بالإدارة الأموية بحوالى خمس سنوات، وكان ميدانها منطقة نهر جيحون واعتمدت على العناصر التركية والفارسية بصفة أساسية.

ولكن لماذا تأخر رد فعل الحارث طوال هذه الفتره؟

لا بد وأن الحارث سكت عما حاق بزملائه ثم استيقظ فجأه بعد هذه السنوات الخمس ليثأر لهم، ونعتقد أنه كان من بين فريق المصلحين الذين انحازوا إلى أهل سمرقند فى غضبتهم على عمال عمال بنى أميه سنة ١١٠هـ، وأنه كان يحمس أهل البلاد ويحرضهم على المطالبه بحقوقهم وتقوية أنفسهم بالتعاون مع قبائل الترك ذات البأس والقوه، لأن هذه الفتره التى سبقت ثورته حفلت بالهجمات التركية العنيفة على المسلمين فى حصونهم، وفى المدن التى استقروا بها فى إقليم ماوراء النهر مثل بخارى وسمرقند، وقُتِل خلالها بعض قادة المسلمين الكبار مثل الجراح الحكمى، وسورة بن الحر التميمى.

وعند ما انتصر المسلمون فى النهاية ، وفشلت الهجمات التركية القويه فى النيل منهم ، بدأ الحارث يظهر فى صفوف الاتراك ويشارك فى قيادة هجومهم .

وكان الحارث فى هذه المرحله يركز نشاطه على المنطقة الواقعة على جانبى جيجون ، وهى ملتقى العنصرين التركى والإيرانى ، ويتخذ من الفارياب (١) وبلخ قاعدتين له ، ويستعين بعناصر من الترك والفرس إلى جوار أنصاره من العرب ، وتمكن خلالها من الاستيلاء على بعض المدن ، وطرد عمال بنى أمية منها ، واستعمل عليها عمالا من قبله .

وفى هذه المرحلة يتجلى بوضوح دور الموالى الإيرانيين فى مناصرة الحارث ، اذ كان معه منهم دهاقين الجوزجان والفارياب وملك الطالقان ، ودهقان مرو الروذ وغيرهم (٢) .

ولكن الحارث اصطدم بالمقاومة الباسلة التى أبداها الوالى عاصم بن عبد الله ورجاله عند مرو سنه ١١٦ هـ ، فارتد مهزوما ، ومنى بهزيمة أخرى عند بلخ سنة ١١٧ هـ أمام جيش الوالى التالى أسد ابن عبد الله القسرى الذى يقوده الكرمانى (٣) .

وفى المرحلة التالية اضطر الحارث إلى التراجع إلى بلاد الترك وعاش بينهم أكثر من عشر سنوات ، ولكنه كان بين الحين والحين يظهر فى مقدمة صفوف خاقان ملك الترك فى هجماته على خراسان

---

١) بكسر الراء مدينة مشهوره بخراسان من أعمال جوزجان غربى جيحون قرب بلخ ، وربما أميلت فيقال لها فيرياب (ياقوت ٤ / ٢٢٩)

٢) ابن الاثير ٤ / ٢١٨ (٣) ابن الاثير ٤ / ٢٢٥

وكان يقود ميمنته سنة ١١٩هـ ، ويمده بالرجال[١] ، وبعد مقتل خاقان في هذه السنة اختفى الحارث عن مسرح الأحداث وكل ما نعرفه أنه قضى هذه الحقبة في بلاد الترك ، وليست لدينا أية معلومات عن نشاطه وحياته هناك ، والغالب أنه كان يبذل جهداً في نشر الإسلام بين وثنيي الترك ، ويتنقل من أجل ذلك في مناطق إقليم السغد .

وفي سنة ١٢٦هـ تبدأ المرحلة الثالثة من نشاط الحارث بن سريج ، ودارت اتصالات بينه وبين الإداره الأموية في خراسان لأن وجوده في بلاد الترك كان مصدر خوف وقلق لهم ، فعملوا على مسالمته وإرضائه ، واستقدامه إلى خراسان ليكون تحت أعينهم ولعلهم اشتموا من أخباره أنه يفكر في تحرك جديد ، فبعثوا إليه بوفد من زعماء العرب والموالي ، وتم الاتفاق بينهم وبينه على أن يحصلوا له على أمان من الخليفة يزيد بن الوليد نفسه ، وردت إليه جميع أمواله ، وقدم الحارث عقيب ذلك إلى خراسان سنة ١٢٧هـ ، وحاول الوالي نصر بن سيار أن يتودد إليه فبعث إليه هو وزوجته المرزبانة بنت قديد بهدايا ثمينة ، لكنه باعها جميعاً وفرق ثمنها في أصحابه بالسوية ، وآثر حياة الزهد والتقشف فكان يجلس على برذعة ، وتثنى له وسادة غليظة ، ويكتفي بلون واحد من الطعام[٢] .

وكانت سيرة الحارث ونمط حياته يجذب إليه الأنصار والمريدين

---

١) الطبرى ٨ / ٢٢٤ ، ابن الاثير ٤ / ٢٢٧ ، ٢٢٨

٢) الطبرى ٨ / ٢٢٤ ، ابن الاثير ٤ / ٢٢٧ ، ٢٢٨

حتى بلغ عددهم فى فترة المسالمة هذه ثلاثة آلاف.

ولم يتخلَ الحارث أثناء ذلك عن برنامجه الإصلاحى، بل اكتفى بالدعوة إليه سلما، فكان يكاتب كلاً من زعيم المضرية الوالى نصر بن سيار وخصمه زعيم اليمنية الكرمانى يدعو كلاً منهما إلى العمل بالكتاب والسنة، ويعده بالتأييد والنصرة إن فعل(١)

ولكن الحارث لم يجد رداً يرضيه ويقنعه من الطرفين، ولم يكن فى نفس الوقت راضياً عن سياسة بنى أمية، ولكنه لا يستطيع أن يتحلل من عهده معهم، ولكنه كان يترقب الفرصة، ويتلمس الاسباب ليجدد ثورته، وبخاصة بعد أن وقع الصراع بين الوالى والكرمانى، وقتل الخليفة يزيد بن الوليد، وآل الامر إلى مروان بن محمد، وكان كثير من الناس يعتبرونه مغتصبا للخلافة، فوجد الحارث مندوحة لنقض العهد وقال: "إنما أمننى يزيد، ولم يؤمنى مروان.(٢)

وأعلن الحارث ثورته العارمة فى سنة ١٢٨ هـ وكانت أعنف وأشد من ثورته السابقة، ودعا إلى إسقاط حكم بنى أمية ولكن أنصاره لم يشاركوه فى هذا الرأى، ورأوا الاقتصار على السيطرة على خراسان.

ولم يكن للموالى دور فى هذه المرحلة، لان أنصار الحارث كانوا من العرب وبخاصة المضرية، مما أداه إلى التورط فى صراع قبلى، وانحرفت الثوره - رغما عنه - عن أهدافها الإصلاحية إلى فتنة عصبية قبلية، اذ اتخذها أنصاره المضرية سلاحا لضرب منافسيهم

---

١) ابن الاثير ٤/ ٢٨٦
٢) ابن الاثير ٤/ ٢٩٢

من اليمنية والربعية المتحالفين تحت لواء الكرمانى ، وأغفلوا قضية الموالى والمثل الإسلامية التى أمضى الحارث سنين طويلة يقاتل من أجلها .

وهكذا بدأت ثورة الحارث بآمال عريضة ، وشعارات عظيمة ، ثم تحولت إلى ثورة محلية ضيقة ، ولم تنجح فى تجميع العناصر الخراسانية كلها - عرباً وايرانيين - تحت رايتها .

وكان الوالى نصر بن سيار حصيفاً حين آثر أن يترك غريميه يقتتلان ، وينسحب هو من الميدان ، لانه رأى أن جنده المضريه لن يخلصوا فى قتال الحارث وأتباعه الذين ينتمون إلى أرومتهم وأدت هذه العوامل الى هزيمة الحارث ومصرعه امام الكرمانى سنة ١٢٨هـ .

واذا كانت ثورة الحارث قد فشلت تحقيق برنامجها الإصلاحى فانها مهدت من حيث لا تدرى لحركة ثورية أخرى هى دعوة العباسيين التى استثمرت نتائج الفتنة بين اليمنية والمضرية ، ووجهتها لما يحقق مصلحتها هى وإذا كانت الرايات السود قد ظهرت فى كل منهما ، فان ذلك لم يكن يعنى وحدة الهدف ، ولو توحدت الغايات لتوحدت الرايات ، ولكن أنصار الحارث المضرية كانوا أعداء أبى مسلم وأعداءه اليمنية كانوا أنصاره .

وفشلت ثورة الحارث لأنها لم تتمكن من الحفاظ على سلامة مبادئها ، وأصبحت تابعة لهوى أتباعها ، أما الثورة العباسية فقد كانت أقدر منها على تجميع العناصر الإيرانية والعربية ، وتطويعها لخدمة أهدافها ، وجعلت الأهداف فوق الأتباع.

موقف الإيرانيين من الفتنة في خراسان :

يرتبط بثورة الحارث بن سريج حدث آخر كان للموالي الإيرانيين موقف منه هو الفتنه الخطيرة التي وقعت بين العناصر العربية المقاتلة في خراسان من اليمنية المتحالفين مع الربعية ، والمضرية .

وكانت نفوس اليمنية ، وعلى رأسهم الأزد ، قد امتلأت بتراكمات السخط والنقمة على السياسة الأموية التي صرفت وجهها عنهم ، منذ أقصت المهلب وأبناءه ، الذين كانوا يمثلون عز الأزد ومجد اليمنة ، ومالبثت بعد ذلك أن عزلت خالدًا القسرى الذي ينتمي الى بجيلة التي يعدونها منهم ، ثم أقصت زعيمهم جديع بن علي الملقب بالكرماني (لمولده في كرمان) ، ومنعته من مشاركة الوالي نصر بن سيار في السلطة ، واتخذ الوالي عدة إجراءات عنيفة ضده .(1)

وعندئذ تفجرت ثورة اليمنية بقيادة الكرماني ، وأعلنوا تمردهم على الوالي ، وفي نفس الوقت جدّد الحارث بن سريج ثورته في خراسان ١٢٧هـ على النحو الذي ذكرناه ، وانضم إليه المضرية،

---

١) ابن الأثير ٤/ ٢٧٤ وما بعدها .

وغلب جانب العصبية على ماتدعواليه ثورته من مبادئ ومثل ، ولم يكن في استطاعة الوالي أن يواجه الفريقين ، وبخاصه أنه لم يتلق مددا من الخلافه التي شُغلت عن نصرته بما انبثق ضدها من فتن واضطرابات في الجزيرة والشام ، فآثر أن ينسحب ويترك الميدان للمتصارعَيْن يوهن أحدهما الآخر ، وشهدت مرو قتالا طاحنا بين الفريقين ، أسفر في النهاية عن انتصار اليمنية ، ولكن الغنيمه كانت من نصيب طرف ثالث أشد ذكاء وأحكم تدبيرا ، وهو أبو مسلم الخراساني قائد الثورة العباسية في خراسان .

وكان الموالي أثناء هذه الفتنة العصبية بمنأى عنها ، بعيدين عن المشاركة فيها ، إذ لا ناقة لهم فيها ولا جمل ، كما أنها لا تمثل شيئاً من مطالبهم وآمالهم ، وآثروا الالتفاف حول لواء الحركة الجديدة التي يقودها أبو مسلم أملاً في زيادة مكاسبهم السياسية ، وفتح أبواب المشاركة في الصفوف الأولى أمامهم .

وكان دور الموالي خلال هذه الفتنة ، التي تشمل أيضا المرحلة الأخيرة من ثورة الحارث بن سريج ، مقصوراً على بذل المساعي السياسية ومحاولة التقريب بين الأطراف المتصارعة ، والدعوة إلى مناصرة الإدارة الأموية في محنتها .

وكان يتزعم هذا الدور زعيم الموالي في خراسان مقاتل بن حيان النبطي ، الذي ورث كثيراً من مكانة أبيه ، ولكنه لم يكن مثله قائداً عسكرياً ، بل كان يسلك سبيل العمل السياسي والإصلاح السلمي ويتضح مما رواه عنه الطبري أنه كان من أهل الفقه والدين ، وكان يحظى بالثقة والاحترام من جميع الأطراف المتصارعة في خراسان .

ولذلك وقع عليه الاختيار ليكون رسول سلام بين الولاة الأمويين والحارث بن سريج ، واستخدمه من أجل هذا الغرض عاصم بن عبد الله الهلالى (الذى تولى خراسان من سنة ١١٦ الى ١١٧هـ) ونصر بن سيار (آخر الولاة الأمويين فى خراسان)(١) .

ومن خلال اطلاع مقاتل على الموقف عن كثب، وتقديره للعواقب ولقاءاته المتعددة مع الحارث بن سريج ، رفض الانغماس فى الفتنة ودعا أهل خراسان على اختلاف عناصرهم إلى الوحدة والجماعة والالتفاف حول ولاة الأمر، وقال فى حديث وجهه إلى رجال الحارث ابن سريج سنة ١١٦هـ :" يأهل خراسان ،إنا كنا بمنزلة بيت واحد وثغر واحد ،ويدنا على عدونا واحدة ، وقد أنكرنا ماصنع صاحبكم ووجّه إليه أميرنا (عاصم بن عبد الله الهلالى) بالفقهاء والقراء من أصحابه .. "(٢) وكان مقاتل لا ينفك خلال المرات العديدة التى أوفده فيها نصر ابن سيار إلى الحارث بن سريج يبصره بالعواقب ويوجه إليه النصح(٣) .

وكان مقاتل حريصًا على الالتزام بالعهود ، والوفاء بالمواثيق رافضًا أساليب الغدر والخداع، فقد أراد والى العراق أن ينقض العهد الذى أعطاه نائبه نصر بن سيار للحارث وقال له :" إنك أمنت الحارث بغير إذنى ولا إذن الخليفة" وبعث رجلا من قبله ليغتال الحارث ، يُدْعى يزيد بن الاحمر ، وأمره أن يفتك به إذا صار معه فى السفينة ، وكان مقاتل فى هذه الاثناء عائدًا من سفارته

---

١) الطبرى ٨ / ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٩ / ٦٦ ، ١٦٧

٢) الطبرى ٨ / ٢٢١ (٣) الطبرى ٩ / ٤٢

إلى الحارث فالتقى بيزيد بن الأحمر، فكفّه عن الحارث وأقنعه بالعودة.(١)

وعندما توصل الحارث إلى اتفاق مع الوالي نصر بن سيار سنة ١٢٨هـ على العمل بالكتاب والسنة واختيار عمال من ذوي الفضل والدين، كان مقاتل بن حيان من بين الأعضاء الأربعة الذين اختارهم الطرفان ليشرفوا على تنفيذ الاتفاق، وانتخاب العمال الصالحين(٢).

ولم يكن حيان يحابي الوالي أو يتحيز له، بل كان يؤثر ما يراه عدلا وصوابا، وعندما تناظر الحارث ونصر، تراضيا أن يحكم بينهما حيان باعتباره ممثلا للوالي، والجهم بن صفوان باعتباره ممثلا للحارث، فالتقى رأي الحكمين أن يعتزل نصر، ويكون الأمر شورى، ولكن نصرًا لم يقبل هذا الحكم(٣).

ورفض مقاتل تجاوز هذا الدور الإصلاحي، ورفض أعمال العنف والتخريب مهما كان مصدرها، وعندما سيطر الكرماني على مرو، وأمر بهدم الدور ونهب الأموال، اعترض عليه مقاتل، وقال له: "أفي كتاب الله هدم الدور ونهب الأموال؟ وتعرض بسبب ذلك إلى الحبس في خيمة بمعسكر الكرماني، إلى أن توسط له أحد أقاربه يدعى معمرا(٤)، فتم الإفراج عنه(٥).

---

١) الطبري ٩ / ٤٣ (٢) الطبري ٩ / ٦٧
٣) المصدر السابق ٩ / ٦٧
٤) قد يكون ابن مقاتل أو أخاه (انظر الطبري ٩ / ٧٢)
٥) ابن الأثير ٤ / ٢٩٤

خاتمة

حاولنا فى هذه الدراسة أن نبرز دور العناصر الإيرانيه خلال العصر الأموى ، ونعيد مناقشة بعض القضايا التى تتعلق بالعلاقة بين العرب والموالى وموقف الدولة الأموية من رعاياها الإيرانيين .

وقد اتضح لنا فى الفصل الأول أن العرب كانوا يتوافدون على المناطق الإيرانية فى حركات هجرة متتابعة متخذين من العراق معبرًا لهذه الهجرة ، وأن الايرانيين قد رحبوا بهذه الهجرات ولم يتخذوا منها موقفًا عدائيًا ، وحدث بينهم وبين العرب تعايش وتقارب وتمازج كان يتزايد مع الأيام ويقوى بمرور الزمن ، ولكن العرب حملوا معهم كثيرًا من سمات حياتهم القبلية الأولى فى جزيرة العرب ، وكثيرًا من المؤثرات التى لحقت بهم خلال وجودهم فى مصرى العراق ، وأدى ذلك إلى حدوث الخلافات والانقسامات العصبية بينهم .

ولم تكن الدوله الأموية تعمل على تشجيع هذه العصبيات وتوسيع هوة الخلاف بين القبائل العربية بهدف إضعافها وشغلها ، بل على العكس كانت تحاول إيجاد موازنة بينها ، وتوجيه هذه العصبيات إلى مايحقق المصلحة العامة بالإفادة منها فى الفتوح ومواجهة الاضطرابات .

ولم يحاول الإيرانيون استثمار هذه الصراعات وزيادة ضرامها بل كانوا فى أكثر الأحيان بمنأى عنها ، وقد أوضحنا فى الفصل الأخير الدور السلمى الذى حاوله بعض القادة الإيرانيين لإخماد الفتنة ، وتوحيد الصفوف ، والطرف الوحيد الذى حرص على استثمار هذه الصراعات العربية اهم صحاب الدعوة العباسية والقائمون عليها .

وتحدثنا فى الفصل الثانى عن أوضاع الموالى الإيرانيين ، وبينا أن علاقة الولاء التى كانت تربطهم بالعرب لم تكن تحط من أقدارهم وتجعلهم طبقة دنيا ، بل على العكس كانت تتيح لهم الحصول على مكاسب كثيرة ، ولذلك كانوا يسعون إليها بأنفسهم ، ولا يحاولون التحلل من هذه الرابطه أو التبرؤمنها ، بل كانوا ينظرون إليها بمزيد من الاعتزاز .

وكان هناك اتجاه اجتماعى وسياسى متعصب ضد الموالى ، ولكنه لا يمثل الاتجاه العام أو الغالب ، كما أنه كان يتضاءل مع الزمن بفعل التمازج الاجتماعى ، وكانت الدولة الأموية تعدّل من سياستها بما يحقق مصالح الموالى ، ولا يدفعهم إلى معاداتها .

ولم يكن الموالى يُحْرَمون من العطاء ، ويعانون من التزامات مالية لا يقرها الإسلام إلا فى فترات محدودة ، ولأسباب رأى الولاة أنها تهدد أمن الدولة واقتصادها ، وكان الاتجاه الإسلامى الإصلاحى يفرض نفسة فى أغلب الأحيان ، ولم يكن الموالى يقفون وحدهم فى المطالبة بحقوقهم ، بل كان فريق من العرب يؤازرهم ، ويبدى حماساً أكثر منهم لتحسين أحوالهم .

وفى الفصل الثالث أوضحنا أن الباب لم يكن موصداً أمام مشاركة الموالى فى الإدارة والحكم، وأنهم تولوا مناصب قيادية هامة، وبعض الإمارات على البلدان، كما أوكل إليهم أمر الدواوين وجباية الخراج وعندما اتجهت الدولة الى تعريب إداراتها أسهم هؤلاء الموالى بنصيب وافر فى هذا المجال.

وكان الموالى يُستخدَمون فى السفارة إلى المناطق الثغرية المجاورة، ويُعتمَد عليهم فى عقد المصالحات والتفاوض، لعلمهم وخبرتهم بأهل هذه المناطق ولغتهم، وكانوا لا يألون جهداً فى خدمة دينهم والدولة التى يمثلونها.

وشارك الإيرانيون فى النشاط العسكرى والفتوحات، كما أوضحنا فى الفصل الرابع، وكانت منهم أعداد كبيره فى مناطق الثغور كما كانت لهم فرقة أساسية فى الجيش الخراسانى يقودها واحد منهم وتعمل جنبا الى جنب مع فرق القبائل العربيه، وكان أصحاب الرأى والتدبير من الموالى يشاركون فى إعداد الخطط الحربية، وتدبير أمر الحرب.

ولم يتوان هؤلاء الموالى العاملون فى الجيش الخراسانى عن الدفاع عن النفوذ الاموى عندما تعرض للخطر، وأبدوا إخلاصا فى التصدى للثائرين والمنشقين، وقد عرفت الخلافة الاموية قدر هؤلاء الموالى فأحسنت إلى قادتهم، ونظرت إليهم بعين الإنصاف عندما شكوا من بعض الولاة.

وفى الفصل الخامس تحدثنا عن موقف الموالى من التيار الخارجى وبيّنا أنّ مشاركتهم للخوارج كانت ضئيلة لا تكاد تبين ، وتحدثنا عن أسباب ذلك وقارنا موقف الإيرانيين بموقف غيرهم من الشعوب الأخرى من حركة الخوارج ، وبينا أن ارتباط الإيرانيين الأكبر كان بالحركة الشيعية ، وناقشنا نظرية براون وجوبينو التى تفسر هذا الارتباط على أساس اقتناع الفرس القديم بالحق الملكى المقدس ، وامتزج الدم الفارسى بالدم العلوى عن طريق المصاهرة ، وأوضحنا أنّ هذه النظرية لا تكفى وحدها فى تفسير هذا الارتباط ، وأنه ارتباط تاريخى له جذوره وتطوراته ، وله مواقف ألهبته ، وعقول خططت له ووجهته .

وناقشنا فى هذا الفصل آراء المؤرخين فى المختار ، وأوضحنا أنها تحتاج إلى تقويم جديد ، وأن أكثر الاتهامات التى وجهت إليه فيها تحامل أو تهافت ، ثم أوضحنا أسباب ارتباط الفرس بالدعوة العباسية ودورهم فى تنشيط خلايا الدعوة فى خراسان ، وأوضحنا أيضا أن الدعوة العباسية لم تلق تأييدًا وحماسًا من جميع الفرس ، بل تصدى فريق منهم لمعارضتها .

وفى الفصل السادس تحدثنا عن ارتباط الإيرانيين بالحركات التى دعت لإصلاح أحوالهم وتحسين أوضاعهم ، والتى تولى قيادتها بعض القادة العسكريين فى الجيش الخراسانى .

وفى هذا الإطار أوضحنا دورهم فى حركة ابن الأشعث ، وأثبتنا خطأ الرأى القائل بأنها كانت ثورة عسكرية عربية فقط ، فأوضحنا أنها كانت تمثل التجمع الإيرانى العراقى بمعظم فئاته ، وأنها كانت

ذات أبعاد اجتماعية إصلاحية .

وتتبعنا جماعة الإصلاح التى انبثت فى الجيش الخراسانى وفى مناطق الثغور وأوضحنا أهدافهم ونشاطهم ومدى ارتباطهم بالموالى ، ثم كيف انبثقت عن حركتهم ثورة الحارث بن سريج وتحدثنا عن مراحلها وتطوراتها ، وكيف حاولت الارتباط بالعناصر التركية والايرانية ، وكيف انحرفت عن أهدافها فى النهاية وتحولت إلى فتنة عصبية عندما اتخذها المضرية مطية لتحقيق مآربهم وأصبح الموالى الإيرانيون بمعزل عنها .

وبعد فإننا لا نزعم أننا أحطنا فى هذه الدراسة بكل جوانب الموضوع، وقتلناه بحثًا ، فإنه لا يزال فى حاجه إلى مزيد من الجهد والفكر ، وحسبنا أننا حاولنا تفتيق جوانب جديدة ، وتوجية النظر إلى ضرورة الاهتمام بها .

مصادر البحث

١ - أبو يوسف (القاضى ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم - ت ١٨٢ هـ): كتاب الخراج - ضمن موسوعة الخراج التى نشرتها دار المعارف للطباعه والنشر فى بيروت سنه ١٩٧٩م.

٢ - ابن الاثير (عز الدين على بن ابى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى الجزرى - ت ٦٣٠هـ) : الكامل فى التاريخ - دار الكتاب العربى فى بيروت ١٩٨٣.

٣ - د . أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية الجزء الثانى : الدوله الاموية والحركات الفكريه والثوريه فى عهدها - الطبعة الرابعة - مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٣م.

٤ - الإصطخرى (ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسى الاصطخرى المعروف بالكرخى - توفى فى النصف الاول من القرن الرابع الهجرى) : المسالك والممالك - تحقيق الدكتور محمد جابر الحينى - مراجعة محمد شفيق غربال - من سلسلة " تراثنا " ١٩٦١م

٥ - البغدادى (أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد - ت٤٢٩هـ) : الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجيه منهم - مطبعة المعارف بمصر ١٩١٠م.

٦- البلاذرى (أبو الحسن احمد بن يحيى بن جابر - ت ٢٧٩هـ) : أنساب الاشراف - طبعة بغداد .

٧- المؤلف السابق : فتوح البلدان - قام بمراجعته رضوان محمد رضوان - دار الكتب العلمية فى بيروت ١٩٧٨م.

٨- الجاحظ (عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى) : البيان والتبيين تحقيق عبد السلام هارون - الطبعة الرابعة فى بيروت .

٩- الجهشيارى (أبو عبدالله محمد بن عبدوس - ت ٣٣١هـ) :كتاب الوزراء والكتاب - مطبعة الحلبى ١٩٣٨ .

١٠- د .حسن إبراهيم حسن :تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى - الطبعه السابعة - يناير ١٩٦٤م

١١- د . حسن أحمد محمود ،ود . أحمد إبراهيم الشريف : العالم الاسلامى فى العصر العباسى - الطبعة الخامسه- دار الفكر العربى .

١٢- حمادة (محمد ماهر حمادة) : الوثائق السياسية والاداريه العائده الى العصر الاموى - الطبعة الرابعة - دارالفكر فى بيروت ١٩٨٥م.

١٣- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرى - ابو زيد ،ولى الدين - ت ٨٠٨هـ) : العبر وديوان المبتدا والخبر - دار الكتاب اللبنانى فى بيروت ١٩٨٣م.

١٤- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن ابى بكر - ت ٦٨١هـ) : وفيات الاعيان ، وأنباء ابناء الزمان - تحقيق احسان عباس - دار الثقافه فى بيروت .

١٥- د للافيدا (ليفى) : مادة "بنو أمية" - دائرة المعارف الاسلاميه مترجمة عن الاصلين الانجليزى والفرنسى .

١٦- د . دولت أحمد صادق : جغرافية العالم - الجزء الاول : أسيا وأوربا - مكتبة الانجلو المصرية سنة ١٩٧٠م

١٧- الدينورى (أبو حنيفة أحمد بن داود - ت ٢٨٢هـ) : الاخبار الطوال - تحقيق عبد المنعم عامر - مراجعة جمال الدين الشيال - من سلسلة "تراثنا" - طبعة بالاوفست - مكتبة المثنى فى بغداد .

١٨- الزركلى (خير الدين) : الاعلام قاموس تراجم اشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين فى الجاهلية والاسلام والعصر الحاضر - الطبعة الخامسة - القاهرة ١٩٥٩م .

١٩- د . السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية - دار النهضة العربية فى بيروت .

٢٠- السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى ت ٩١١هـ) : تاريخ الخلفاء - الطبعه الرابعه - القاهره ١٩٦٩م .

٢١- الشرقاوى والصياد (محمد عبد المنعم الشرقاوى، ومحمد محمود الصياد : هذا العالم - دار المعارف بمصر سنة ١٩٥١م.

٢٢- الشهرستانى : الملك والنحل - مكتبة الحلبى فى مصر

٢٣- الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير - ت ٣١٠هـ) : تاريخ الامم والملوك - دار الفكر فى بيروت ١٩٧٩.

٢٤- عبد الأمير حسين دكسن (بجامعة بغداد) : الخلافه الامويه من سنة ٦٥هـ الى ٨٦هـ (٦٨٤م-٧٠٥هـ) دراسة سياسية - دار النهضه العربيه فى بيروت - الطبعة الاولى ١٩٧٣.

٢٥- ابن عبد ربه : العقد الفريد - طبعة بيروت.

٢٦- عبدالله مهدى الخطيب (دار التربية فى بغداد) : الحكم الأموى فى خراسان - مؤسسة الاعلمى فى بيروت الطبعة الأولى ١٩٧٥م.

٢٧- د. عبد المنعم ماجد : الاطلس التاريخى للعالم الاسلامى فى العصور الوسطى - رسم خرائطه على البنا - دار الفكر العربى بالقاهره ١٩٦٧م.

٢٨- د. على حسنى الخربوطلى : المختار الثقفى مرآة العصر الأموى- من سلسلة أعلام العرب رقم١٦ - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر.

٢٩ - فلهوزن (يوليوس) (مستشرق المانى) : تاريخ الدولة العربيةمن ظهور الاسلام الى نهاية الدوله الامويه ترجمة وتعليق د . محمد عبد الهادىأبو ريده مراجعة د . حسين مؤنس - لجنة التأليفوالترجمه والنشر - القاهره ١٩٦٨

٣٠ - فلوتن (فان) : السيادة العربية والشيعة والاسرائليات فى عهد بنى امية - ترجمة عن الفرنسية وعلق عليه د . حسن ابراهيم حسن ، ومحمد زكى ابراهيم - مكتبة النهضه المصرية ١٩٦٥م.

٣١ - ابن كثير : البداية والنهاية - دار الفكر فى بيروت.

٣٢ - د . محمد جمال الدين سرور : الحياة السياسية فى الدولة العربية الاسلامية خلال القرنين الاول والثانى بعد الهجرة - الطبعة الرابعة - دار الفكر العربى ١٩٧٣م.

٣٣ - د . محمد حلمى أحمد : الخلافة والدولة فى العصر الاموى أعادة الطبعة الاولى ١٩٧٤ .

٣٤ - محمود شاكر : ايران - من سلسلة مواطن الشعوب الاسلاميه فى اسيا - رقم ١٣ - المكتب الاسلامى .

٣٥ - محمود شيت خطاب : قادة فتح بلاد فارس (ايران) - الطبعة الثالثة - بيروت ١٩٧٤ .

٣٦- المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين - ت ٣٤٦هـ) :
مروج الذهب ومعادن الجوهر - دار الاندلس
للطباعه والنشر في بيروت.

٣٧- المقدسي (شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد ابي بكر
البناء الشامي المقدسي المعروف بالبشاري) . :
أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم - مطبعه
بريل في ليدن ١٩٦٧م.

٣٨- نبيه عاقل : تاريخ خلافة بني أمية - طبعة بيروت.

٣٩- ولبر (دونالد) : ايران ماضيها وحاضرها - ترجمة الدكتور
عبد النعيم حسنين ، مراجعة ابراهيم أمين
الشواربي - القاهره ١٩٥٨ .

٤٠- ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي
الرومي البغدادي) : معجم البلدان - دار صادر
في بيروت - ١٩٨٤م.

٤١- اليعقوبي (احمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب
المعروف بابن واضح الإخباري) : تاريخ اليعقوبي
يتضمن التاريخ منذ بدء الخليقه الى زمن الخليفه
المعتمد على الله العباسي سنة ٢٥٩هـ - دار
صادر في بيروت.

٤٢- . . . . : دائرة المعارف الاسلامية : مترجمة عن الأصلين الانجليزى والفرنسى - نقلها الى العربية عباس محمود ، وعبد الحميد يونس وأحمد الشنتناوى ، وابراهيم زكى خورشيد وراجعها محمد أحمد جاد المولى-

****